موسوعة العقيدة
[٦]

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

المجلد السادس





النار

التعريف لغةً:

أصلها: النون والواو والراء، و«النار مؤنثة وقد تُذَكَّر[١] وهي من الواو؛ لأن تصغيرها نويرة، والجمع نور ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها»[٢].

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على الإضاءة واضطراب وقلة الثبات. منه النور والنار سُمِّيا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة»[٣]، والنار: تقال للهيب، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب[٤].

التعريف شرعًا:

هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين[٥].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي خصص المعنى اللغوي، فالنار في اللغة تشمل كل نار، وفي الشرع النار التي يعذب الله تعالى بها العصاة.

سبب التسمية:

سميت النار بذلك؛ لأنها سريعة الحركة والاضطراب[٦].

الأسماء الأخرى:

جهنم، الجحيم، الحطمة، السعير، سقر، هاوية، السموم، لظى.

الحكم:

ويجب الإيمان بأنها حق، والإيمان بها جزء من الإيمان بيوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، وهي وموجودة الآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران]، وقال النبي ﷺ: «**من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن**

(١) القاموس المحيط (٤٥٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ].
(٢) الصحاح (٢/٨٣٩) [دار العلم للملايين].
(٣) مقاييس اللغة (١٠٠٣) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٤) ينظر: المفردات (٨٢٨) [دار القلم، ط٣، ١٤٢٣هـ].
(٥) الجنة والنار (١١) [دار النفائس، ط٧، ١٤١٨هـ].
(٦) انظر: مقاييس اللغة (١٠٠٣).

محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[(١)].

الحقيقة:

هي نار حقيقة، وأشد حرارة من نار الدنيا بكثير، قال النبي ﷺ: «**ناركم هذه التي يُوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم**» قالوا: والله؛ إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: «**فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها**»[(٢)].

الأدلة:

الأدلة على النار في نصوص الوحي كثيرة جدًّا، منها ما تقدم، ومنها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥﴾ [الليل]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

ومن السُّنَّة: قول النبي ﷺ: «**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**»، حتى لو كان رجل كان في أقصى السوق سمعه، وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر»[(٣)]، وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة لما دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعم وخص فقال: «**يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**»[(٤)]، وهناك غير هذا من الأدلة الكثيرة، حتى إن كثيرًا من المحدثين خصصوا كتبًا وأبوابًا في مصنفاتهم، وقد أجمع المسلمون على أن النار هي دار الكافرين يوم القيامة أبدًا، ودار العصاة المعذبين أمدًا.

أقوال أهل العلم:

نصَّ كثير من أهل العلم على وجود النار الآن، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة]: «فيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أن النار موجودة مخلوقة، خلافًا

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٦٥)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٣) واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/٣٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٥٤)، والحاكم (كتاب الجمعة، رقم ١٠٥٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦٥٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٤).

للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن»[١].

وقال ابن كثير «استدل كثير من أئمة السُّنَّة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن، ﴿أُعِدَّتْ﴾؛ أي: أرصدت وهيئت، وقد وردت أحاديث كثير في ذلك»[٢].

ونقل ابن أبي العز الحنفي على ذلك اتفاق أهل السُّنَّة، فقال: «اتفق أهل السُّنَّة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن»[٣].

وقال ابن عثيمين: «الجنة والنار موجودتان الآن ودليل ذلك من الكتاب والسُّنَّة»[٤].

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: مكان النار:**

اختلفت أقوال أهل السُّنَّة في مكان النار[٥]، بعد أن اتفقوا على وجودها وأنها مخلوقة الآن[٦]، فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى، وقال الآخرون: هي في السماء، وتوقف فيها الآخرون، وهذا هو الصواب؛ لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها، ومن الذين توقفوا في تحديد موقعها: السيوطي[٧] وولي الله الدهلوي والقنوجي[٨] وغيرهم[٩].

- **المسألة الثانية: فناء النار أو عدم فنائها:**

هذه مسألة عظيمة، والكلام فيها قديم، وليست وليدة الزمن القريب، وقد تكلم فيها العلماء قديمًا وحديثًا[١٠]، والقول بفنائها قول باطل مردود وصاحبه على غير صواب[١١]، والذي عليه جمهور المسلمين أن النار باقية بإبقاء الله لها أبدًا سرمدًا على دهر الدهور، قال القرطبي: «فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى

---

(١) تفسر القرطبي (١/٣٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣١٨) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/٥٤) [دار الثريا، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٥) انظر: التخويف من النار (٦٢)، ويقظة أولي الأبصار (٤٣).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥).

(٧) إتمام الدراية لقراءة النقاية (١٥) [مطبعة مظهر العجايب، كلكته، ١٨٦٤م].

(٨) يقظة أولي الأبصار (٤٦).

(٩) الجنة والنار للأشقر (٢١).

(١٠) كالغزالي في المقصد الأسنى، وابن عطية في المحرر الوجيز، والفخر الرازي في التفسير الكبير، والقرطبي في التذكرة، والذهبي في وصف النار، وابن القيم في حادي الأرواح، وابن رجب في التخويف من النار، وابن الوزير في إيثار الحق، والصنعاني في رفع الستار، والسفاريني في لوامع الأنوار، والقنوجي في يقظة أولي الاعتبار، والألوسي في جلاء العينين، والشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وغيرهم في مصنفاتهم.

(١١) الغاية (٤٢٦) [دار القاسم، ط١، ١٤٢٦هـ] ناقلًا كلام الفوزان.

وتهلك، فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السُّنَّة والأئمة العدول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء]، وإنما تخلى جهنم، وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد»[(١)].

ـ المسألة الثالثة: نقل إجماع فرق الأمة على أبدية النار وعدم فنائها:

قال ابن حزم: «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف وبعض الروافض»[(٢)]. وقال القرطبي: «أجمع العلماء وأهل السُّنَّة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها؛ كإبليس، وفرعون، وهامان، وأجمع أهل السُّنَّة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد، وبالجملة فلا مدخل للعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور]»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السُّنَّة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم، ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[(٤)].

وقال أيضًا: «إن نعيم الجنة، وعذاب النار دائمان مع تجدد الحوادث فيهما»[(٥)].

وقال ابن القيم: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»[(٦)]. وقال صدِّيق حسن خان: «أجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع»[(٧)].

---

(١) التذكرة (٢/ ٩٢٠)، [در المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٥) [دار الجليل، ط٢، ١٤١٦هـ].
(٣) التذكرة للقرطبي (٢/ ٩٢٠).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/ ٣٠٧) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].
(٥) منهاج السُّنَّة النبوية (١/ ١٤٦، ١٤٧) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].
(٦) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (٤٢، ٤٣) [دار عالم الفوائد]. وانظر: طريق الهجرتين (٢٩٦، ٢٩٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].
(٧) يقظة أولي الاعتبار (٣٩) [دار التراث الإسلامي].

ـ المسألة الرابعة: ما نقل عن ابن تيمية من القول بفناء النار:

هذا النقل إما أنه لم يثبت عنه وإما أنه قول رجع منه، كما دلَّت عليه نصوصه الصريحة المتقدمة ونقله الإجماع على عدم فنائها[(١)]، قال الصنعاني بعد أن ذكر أثرًا عن عمر رضي الله عنه: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه»[(٢)]: «يقال: كلام عمر كغيره من الأقوال الدالة على خروج الموحدين من النار، وهو قول عليه جماهير الأئمة منهم ابن تيمية»[(٣)]. وقال الألباني: والظن بمن هو دون ابن تيمية علمًا ودينًا أن لا يخالف سلف الأمة وأئمتها، ولِمَ لا وهو حامل راية الدعوة إلى اتّباعهم والسير على منهجهم والتحذير من مخالفتهم والخروج على سبيلهم، كما لا يخفى ذلك على كل من اطلع على شيء من كتبه، وتغذى من طرف علمه»[(٤)].

الحكمة:

ليجازي الله بها العصاة والكفار ـ نعوذ بالله منها ـ كما يجازي المتقين بالجنة ـ نسأل الله الفوز بها ـ، وأن المتقين والفجار ليسو سواء، قال تعالى: ﴿...فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

مذهب المخالفين:

زعمت المعتزلة ومن وافقهم أن النار لم تخلق بعد، قال ابن أبي العز في شرح قول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان»: «اتفق أهل السُّنَّة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السُّنَّة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية؛ فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة»[(٥)]، وقول المبتدعة من المعتزلة وغيرهم مخالف لأدلة كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران]، فقد أعدها الله وعبَّر عنها بصيغة الماضي، وفي حديث صحيح: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: **تدرون ما هذا؟** قال: قلنا: الله

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/٣٠٧)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/١٤٦، ١٤٧).

(٢) قال ابن حجر: أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله، وهو منقطع. فتح الباري (١١/٤٢٢) [دار المعرفة].

(٣) رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (٦٧) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ]. .

(٤) مقدمة الألباني لكتاب رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (١٥).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥) [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ].

ورسوله أعلم! قال: **هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»**[(١)]، فسقوط الحجر قبل سبعين خريف، وسماع صوته زمن النبي ﷺ دليل صريح على أن النار مخلوقة من قبل، وهي موجودة الآن.

وزعمت الباطنية أن النار ليست حقيقية، وإنما هي مثال وخيال[(٢)]، فأوَّلوها تأويلات مختلفة، والمقصود من جميعها إنكار أن تكون هناك نار حقيقة، فقال أحدهم: «أما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النية، غير أنها تفسد الصور الطبيعية، وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة»[(٣)]. وقال الآخر: «إن الجحيم عبارة عن الباطل والفناء والألم، وأهل الجحيم هم أهل الباطل والفناء والألم، وأن أبواب الجحيم السبعة كما ورد في القرآن، وأن هذه الأبواب السبعة هي الحواس الخمسة الظاهرة والخيال والوهم»[(٤)]، ويبطل مزاعم الباطنية ما تقدم من الأدلة في رد قول المعتزلة بأنها مخلوقة حقيقة وليست خيالًا ووهمًا، وأن أهلها يرونها عين القين، وأن يقال لهم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المرسلات].

وزعمت الفلاسفة أن العذاب في النار للروح فقط؛ وذلك لأنهم ينكرون المعاد الجسماني. قال ابن تيمية: «أما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط»[(٥)]، وقول منكري المعاد الجسماني، وأن العذاب يقع على الروح دون الجسد مخالف لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، والجلد يكون للجسد لا للروح، وقوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد]، والأمعاء أيضًا تكون للبدن لا للروح، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»**[(٦)]، وهذه كلها تدل أن

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٣٦).

(٣) الينابيع لأبي يعقوب السجستاني الإسماعيلي (١٣٨) [المكتب التجاري للطباعة، ط١، ١٩٦٥م].

(٤) الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٦١) [إدارة ترجمان السُّنَّة] نقلًا عن (سي وشش صحيفة) (٦٧، ٨٦٨) لسهراب ولي بدخشاني الإسماعيلي.

(٥) مجموع فتاوى (٤/ ٣١٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٥١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٢).

العذاب يكون للبدن، كما أن هناك أدلة تدل أن العذاب يكون كذلك للروح، مثل قوله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»**[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإسماعيلية»، لسليمان السلومي.

٢ ـ «البحور الزاخرة» (ج٢)، للسفاريني.

٣ ـ «البدور السافرة»، للسيوطي.

٤ ـ «التخويف من النار»، لابن رجب.

٥ ـ «رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»، للصنعاني.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز

٧ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ١٣، ١٨)، لابن تيمية.

٩ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج١٧)، لابن تيمية.

١٠ ـ «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» (٤٢)، لابن القيم.

النار التي تحشر الناس

التعريف لغةً:

النار: تقال للهيب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة[(٢)]، قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات. منه النور والنار، سُمِّيا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة»[(٣)].

والحشر: هو السّوق والبعثُ والانبعاث. وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سَوْقٍ، وكلُّ جمع حَشْر. والعرب تقول: حَشرَتْ مالَ بَني فلانٍ السنة كأنّها جمعته؛ أي: ذهبت به وأتَتْ عليه. ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، وسمي يوم القيامة يوم الحشر؛ لأن الخلائق تجمع فيه[(٤)].

التعريف شرعًا:

هي آخر أشراط الساعة المؤذنة بانتهاء الدنيا، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، ويكون خروجها من اليمن، من

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٢٨) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٥/٣٦٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٢/٦٦)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢٣٧)، والصحاح (٥٣٩) [دار الحديث، ١٤٣٠هـ].

قعرة عدن، ثم تنتشر في الأرض فتحيط بالناس تحشرهم إلى أرض المحشر. قال القاضي عياض: «هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراطها»[(١)].

الحكم:

يجب الإيمان بخروج نار في آخر الزمان تسوق الناس إلى أرض المحشر، وهي من علامات الساعة الكبرى، التي تدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر.

الأدلة:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»، وفي رواية: «**نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس، تنزل معهم إذا نزلوا، وتقيل معهم حيث قالوا**»[(٢)]. وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[(٣)]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت** ـ أو: من حضرموت ـ **تحشر الناس**. قالوا: فبما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **عليكم بالشام**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال السفاريني: «وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام: حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام، كما أتى ذلك مصرحًا به في محكم الأخبار، وفي صحيح الآثار»[(٥)]. وقال صديق حسن خان: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا منامًا، ومن ذلك: أشراط الساعة وتخرج الدابة والنار»[(٦)]. وقال

---

(١) إكمال المعلم (٨/ ٣٩١) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٢٩).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢١٧) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٩/ ١٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٨).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٤٩) [المكتب الإسلامي].

(٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٧ ـ ١٢٩) [ط١، ١٤٠٤هـ].

التويجري: «والحق أن النار التي أخبر النبي ﷺ بخروجها في آخر الزمان في عدة أحاديث صحيحة؛ أنها نار على الحقيقة، وهي من أشراط الساعة، ومن أنكر خروجها أو شكَّ في ذلك؛ فهو ممن لم يحقق الشهادة بأن محمدًا رسول الله»[(١)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: النار التي خرجت من عدن سنة ٦٥٢هـ:

ذهب السيوطي والبرزنجي إلى أن النار التي تحشر الناس هي التي خرجت من عدن سنة ٦٥٢هـ في خلافة المستعصم، وكان يظهر شررها في الليل إلى البحر، ويصعد منها دخان عظيم في النهار[(٢)]. وفيما ذهبا إليه نظر؛ وذلك أن هذه النار هي التي تقوم بعدها القيامة بنص الحديث.

ـ المسألة الثانية: النار التي خرجت في الحجاز سنة ٦٥٤هـ:

هذه النار هي غير التي تقود الناس إلى محشرهم، وقد ورد ذكر هذه النار في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تُضيءُ لها أعناق الإبل ببصرى**»[(٣)]. فاختلاف مكان الظهور بيّن بنص الأحاديث، فضلًا عن أن نار الحجاز معدودة في أشراط الساعة الصغرى، كما أن كثيرًا من العلماء قد جزم بوقوعها، فقد ذكر القرطبي والنووي، وأبو شامة، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، والبرزنجي وغيرهم أن هذه النار ظهرت في عام (٦٥٤هـ)[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: وقت خروج النار:

ورد في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه؛ أن خروج النار هو آخر الآيات، في حين جاء في حديث أنس رضي الله عنه؛ أن خروج النار أول الآيات، والجمع بينهما أن يقال: إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة رضي الله عنه، وأوليتها المذكورة في حديث أنس رضي الله عنه، باعتبار أنها أول

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٤٠) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء (٤٠١) [مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (١٢٠) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١١٨)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠٢).

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٣٦) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وشرح صحيح مسلم (١٨/ ٣٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ]، وذيل الروضتين (١٩٠) [دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤]، والنهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٤) [دار الكتب الحديثة، ط١]، وفتح الباري (١٣/ ٨٥) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ]، والقناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٦) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (٩٠) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ].

الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة ﵁، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا[(١)].

ـ **المسألة الرابعة: مكان خروجها:**

جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من عدن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيجاب عن ذلك: بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله ﷺ: «**تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**» إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب[(٢)].

ـ **المسألة الخامسة:** هيئة الناس حينما تحشرهم النار: الناس عندما تحشرهم هذه النار على ثلاثة أقسام: القسم الأول: راغبون طاعمون كاسون راكبون. والقسم الثاني: يمشون تارة ويركبون تارة، يعتقبون على البعير الواحد. والقسم الثالث: تحشرهم النار وتحيط بهم وتسوقهم لأرض المحشر ومن تخلف أكلته النار. فعن أبي هريرة ﵁، قال: رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. ويحشر بقيتهم النار: تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة؛ سار على فسحة من الظهر، ويسرة في الزاد، راغبًا فيما يستقبله راهبًا فيما يستدبره وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث. ومن توانى حتى قلَّ الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم، اشتركوا وركبوا عقبة فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد، وكذا الثلاثة، ويمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة في الواحد فالظاهر من حالهم التعاقب؛ وقد يمكنهم إذا كانوا خفافًا أو أطفالًا، وأما العشرة فبالتعاقب وسكت عمَّا فوقها إشارة إلى أنها المنتهى في ذلك، وعمَّا بينها وبين الأربعة إيجازًا واختصارًا، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث. وأما الصنف الثالث فعبَّر عنه بقوله:

(١) ينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٤).

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٢)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦١).

«**تحشر بقيتهم النار**» إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فرارًا من النار التي تحشرهم»[(١)].

ـ المسألة السادسة: النار تحشر الناس إلى الشام:

هذه النار تقود الناس إلى الشام التي هي أرض المحشر، كما دلَّ عليه حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون (ثلاثًا) ركبانًا ومشاة وعلى وجوهكم**» فأشار بيده إلى الشام، فقال: «**إلى هاهنا تحشرون**»[(٢)]. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت** ـ أو من حضرموت ـ **تحشر الناس**. قالوا: فبم تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **عليكم بالشام**»[(٣)]. وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»[(٤)].

ـ المسألة السابعة: حشر النار للناس في الدنيا:

أن حشر النار للناس إنما يقع في الدنيا، ويشمل من كان حيًّا وقت خروجها، وليس المراد به الحشر بعد القيام من القبور الذي يعم الخلق كلهم الأحياء منهم والأموات، بدليل سؤال الصحابة للنبي في الحديث: «فبم تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **عليكم بالشام**»[(٥)].

قال الخطابي: «هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر [النار] الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة: من الركوب على الإبل والتعاقب عليها. وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب: حفاة عراة مشاة[(٦)]»[(٧)].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض المعاصرين إلى أن هذه النار يمكن حملها على نار الفتنة التي يمتحن بها الدين، وتتعرض لها العقيدة[(٨)]، وهذا تأويل فاسد مردود على

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٢٤) وحسنه، وأحمد (٣٣/ ٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٣٠٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الربعي في فضائل الشام (٨) [المجمع العلمي العربي بدمشق، ط١]، وسنده ضعيف جدًّا، كما ذكر الألباني في تخريجه (١٤) [مكتبة المعارف، ط١]. وله طريق آخر عند ابن عساكر (١/ ١٧٤)، صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (الموضع السابق)، وذكر له شاهدًا آخر أيضًا.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

(٧) فتح الباري (١١/ ٣٨٧).

(٨) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٤٢).

قائله، وهو من تحريف الكلم عن مواضعه، «والحق أن النار التي أخبر النبي ﷺ بخروجها في آخر الزمان في عدة أحاديث صحيحة؛ أنها نار على الحقيقة، وهي من أشراط الساعة، ومن أنكر خروجها أو شكَّ في ذلك؛ فهو ممن لم يحقق الشهادة بأن محمدًا رسول الله»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (ج٣)، لحمود التويجري.

٢ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.

٣ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٤ ـ «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٥ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٦ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.

٧ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٨ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٨)، للنووي.

٩ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر العسقلاني.

١٠ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١١ ـ «الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٤٠).

الناصر

يراجع مصطلح (النصير).

النافع

يراجع مصطلح (النافع الضار).

النبوة

التعريف لغةً:

النبوة: للنبوة في اللغة معان ثلاثة؛ **الأول**: الإتيان بالخبر، من النبأ وهو الخبر. **الثاني**: الارتفاع، من النَّبْوة وهي الارتفاع. **الثالث**: الطريق، فمن النبيّ كغنيّ بمعنى الطريق، والأنبياء طُرُق الهدى[(٢)]. ومن «النبأ: الخبر؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان، ومَنْ هَمَزَ النبيَّ؛ فلأنه أنبأ عن الله تعالى»[(٣)].

(٢) انظر المعاني الثلاثة في: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٨٦) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م]، والقاموس المحيط (١٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) مقاييس اللغة (١٠١٠).

التعريف شرعًا:

النبوَّة: خبر خاص يكرم الله ﷻ به أحدًا من عباده؛ فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، فخصَّه الشارع بالإخبار عن الله.

سبب التسمية:

لأنها إخبار عن الله تعالى، وهي رفعة لصاحبها؛ لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه[(٢)].

الحكم:

الإيمان بنبوة الأنبياء واجب بل ركن من أركان الإيمان، وأنها مِنّةٌ، ورحمة، وفضل من الله تفضل بها على عباده لشدة حاجتهم إليها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وقال النبي ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[(٣)].

الحقيقة:

حقيقة النبوة: أنها «واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمٰن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عبيده، وفضل إلٰهيّ يتفضّل بها عليهم. هذا في حقّ المرسَل إليهم، أما في حقّ المرسَل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الربّ له من بين سائر النّاس، وهبة ربانيّة يختصّه الله بها من بين الخلق كُلّهم. والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظنّ من في عقله بلادة، وإنّما هي محض فضل إلٰهيّ، ومجرّد اصطفاء ربانيّ، وأمر اختياريّ؛ فهو ﷻ كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران]، فالنبوة إذًا لا تأتي باختيار النبيّ، ولا تنال بطلبه»[(٤)].

المنزلة:

النبوة: منزلة شريفة فاضلة؛ بل هي أفضل منازل البشر بعد الرسالة،

---

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٢٨٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ]، وحقوق النبي ﷺ على أمته (١/ ٦٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته (١/ ٦٣).

(٣) أخرجه البزار (١٦/ ١٢٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
لكن أخرجه الدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ١٥) مرسلًا، وصوَّب الإرسال: البزارُ، والدارقطني في العلل (١٠/ ١٠٥) [دار طيبة، ط١].

(٤) مقدمة محقق كتاب النبوات (١٩) [الجامعة الإسلامية، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ].

اصطفى الله الأنبياء واختارهم على الناس؛ فالنبوة لا تنال بالجهد والرياضة؛ بل يهبها الله لمن يشاء من عباده.

الأهمية:

تظهر أهمية النبوة في أمور؛ منها:

١ ـ العباد لا يدركون بعقولهم الأمور الغيبية التي هي من أصول إيمانهم، وفي النبوة إخبار بها.

٢ ـ الخلق بحاجة إلى القدوة حسنة في معاشهم، وحاملو النبوات قدوة حسنة للخلق.

٣ ـ في النبوة تبصير الناس بما خلقوا له من عبادة الله وحده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

الأدلة:

دلَّت أدلة كثيرة على إرسال الله الأنبياء والرسل؛ منها: قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقول النبي ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وبُعثت إلى الناس كافة، وأُعطيت الشفاعة**»[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفات الأنبياء:

إن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا من البشر يأكلون ويشربون ويصحون ويمرضون، وتعتريهم العوارض التي تمر على البشر إلا أنهم يتصفون بأوصاف جليلة هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم؛ كالصدق، والأمانة، والفطانة، والعفة، والشجاعة، والسلامة من العيوب المنفرة، والعصمة عن الكبائر وفي التبليغ، قال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ـ المسألة الثانية: دلائل النبوة:

دلائل النبوة لكل نبي تختلف عن نبي آخر وهي تدل على صدق ذلك النبي، ومن أبرز تلك الدلائل الآيات التي يجريها الله على يديه ويعجز عن الإتيان بها غير نبي، ومن الدلائل كذلك إخبار النبي بأمور مستقبلية تحققت في حياة نبي أو بعد وفاته، أو أمور حسية تتحقق في الحال من استجابة الدعاء ونحوها، ودلائل نبوة الأنبياء كثيرة، وقد خص بعض العلماء لذكر بعض دلائل نبوة محمد ﷺ مؤلفات ذوات أجزاء عديدة؛ كأبي نعيم الأصفهاني، وأبي بكر البيهقي، وأبي بكر الفريابي وغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

- **المسألة الثالثة: خصائص الأنبياء كثيرة؛ منها:**

- **الوحي**: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ [النحل: ٤٣].

- **العصمة في التبليغ**: ولذا ألزم الأمم بطاعتهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

- **التخيير عند الموت**: لحديث: «**ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة**»[١]. ومنها: أن الأرض لا تأكل أجسادهم، قال النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٢].

- **أنهم أحياء في قبورهم يصلُّون**: لحديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون**»[٣].

- **أن أموالهم لا تورث بل هي صدقة**: لحديث: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»[٤].

- **أنهم يقبرون حيث يموتون**: لحديث: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**»[٥].

- **المسألة الرابعة: عددهم:**

ورد حديث في عدد الرسل: أنهم ثلاثمائة وخمسة عشر، وأن عدد الأنبياء مائة ألف وعشرون ألفًا[٦]. وضعفه بعض

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٣) أخرجه البزار (١٣/ ٢٩٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وأبو يعلى (٦/ ١٤٧) [دار المأمون، ط١]، وصححه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٤) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وجوَّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٢٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠١٨)، وقال: (هذا حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه)، لكن ذكر له الألباني شواهد، وقواه بها. انظر: أحكام الجنائز (١٣٧) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ] واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٧) [مكتبة العلوم والحِكَم بالموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ]، من حديث أبي ذرٍّ ﵁، وفيه: قال: قلتُ: يا رسول الله؛ كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**»، قلت: يا رسول الله؛ كم الرُّسُل من ذلك؟ قال: «**ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**»... الحديث.

قال الهيثمي في موارد الظمآن (١/ ٥٤) [دار الكتب العلمية]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم وغيره: كذَّاب».

وأما إسناد أحمد والطبراني ففيه المسعودي، وقد اختلط، كما ذكر الهيثمي في المجمع (١/ ١٦٠) [مكتبة القدسي].

لكن صحَّحَه الألبانيُّ بمجموع طرقه وشواهده؛ كما في السلسلة الصحيحة (٦/ القسم الأول/ ٣٦٣/ رقم ٢٦٦٨) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤١٦هـ]. =

العلماء، منهم الشيخ ابن باز، حيث قال: وجميع الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، بل عدّ ابن الجوزي حديث أبي ذر من الموضوعات، والمقصود أنه ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يعتمد عليه، فلا يعلم عددهم إلا الله ﷻ، لكنهم جمّ غفير[(١)].

ـ المسألة الخامسة: التفضيل بين الأنبياء:

التفضيل بين الأنبياء ثابت، قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وأما ما ورد في بعض الأحاديث الصحيحة من النهي عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض، فقد جمع العلماء بين تلك الأحاديث والنصوص القرآنية بأوجه متعددة، منها ما نقله القرطبي فقال: «إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل، وإنما تتفاضل بأمور أخر زائدة عليها، ولذلك منهم رسل، وأولو عزم، ومنهم من اتُّخذ خليلًا، ومنهم من كلَّم الله، ورفع بعضهم درجات... وهذا قول حسن؛ فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ»[(٢)].

ـ المسألة السادسة: سبُّ الأنبياء كفر بالإجماع:

قال القاضي عياض في من استخف بمحمد ﷺ، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم، أو قتل نبيًّا أو حاربه، فهو كافر بإجماع[(٣)]، وقال ابن تيمية في الأنبياء: «المسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سبّ نبيًّا من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء، وفي استتابته نزاع»[(٤)].

ـ المسألة السابعة: ختم النبوة:

سلسلة الأنبياء قد ختمت بالنبي محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فمن ادعى النبوة فهو من أظلم الظالمين وأكفر الكفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ

= وقد وردَ في تعدادهم أحاديث أخرى؛ من رواية: أبي أمامة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وجابر ﷺ وغيرهم. وقد ضعَّف الأحاديث الواردة في عَدَدهم: الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل ومحمدُ بنُ نصر المروزي وغيرهما.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/٦٦، ٦٧).

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٥٥) [البقرة: ٢٥٣].

(٣) الشفاء (٢/٢٨٣) [دار الكتب العلمية].

(٤) الصفدية (٥٥٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٣هـ].

﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام: ٩٣]. قال القاضي عياض: «وكذلك [أي: نكفر] من ادعى نبوة أحد مع نبيِّنا ﷺ أو بعده، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدّع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين؛ فهؤلاء كلهم كفّار مكذبون للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا»[(١)].

ـ المسألة الثامنة: نبوة النساء:

ذهب جمهور العلماء من أئمة أهل السُّنَّة والجماعة ـ وحكاه غير واحد إجماعًا[(٢)] ـ أنّ الله لم يبعث نبيًّا إلا من الرجال الذكور، وأنّه ﷻ لم يوحِ إلى امرأة من بنات بني آدم عليه السلام وحي تشريع؛ فليس في النساء نبيّة؛ وإنّما فيهنّ صدّيقات.

واحتجوا لذلك بقول الله تعالى في غير موضعٍ من القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [الأنبياء: ٧]؛ «فأثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم، وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم؛ فلا تكون أنثى نبيّة»[(٣)].

وقد وصف ربنا ﷻ مريم ـ وهي من خير النساء، وممن كمل منهن ـ بالصدِّيقيَّة في أشرف مقاماتها وأعلاها ـ دفعًا لغلوّ النصارى فيها ـ؛ فقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، فلو كانت نبيّة لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام؛ فغايتها أنّها صدِّيقة بنص القرآن، ولو كان للمسيح عليه السلام رتبة فوق الرسالة أو لها رتبة فوق الصدّيقيّة لذكرت. وهذا كما يقال لمن ادَّعى في رجل أنَّه ملك من الملوك: ما هو إلا رئيس قرية أو صاحب بستان؛ فيذكر غاية ما له من الرئاسة والمال!

ولم يأت معارضهم بحجة قويّة ودليل صريح على دعواه بثبوت النّبوة للنّساء، بل القول بنبوة النساء لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة، فهو خلاف شاذ مسبوق بالإجماع.

هذا فضلًا عن علو مرتبة الذكورة على الأنوثة، وأنّ النّبوة والرسالة تقتضي

(١) الشفاء (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦).
(٢) انظر: الأذكار للنووي (١٠٠) [دار الملاح، ١٣٩١هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦، ١١/ ٣٦٤، ١٨/ ٢٦٦)، والصَّفديَّة لابن تيميَّة (١/ ١٩٨) [ط٢، ١٤٠٦هـ]، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩، ٤/ ٤٢٣) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].
(٣) لوامع الأنوار البهيَّة للسَّفاريني (٢/ ٢٦٥) [المكتب الإسلامي، بيروت].

الإبلاغ والظُّهور للنَّاس والاشتهار بالدَّعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بينهما من التمانع! ثم إنّ نفوس الرجال ـ بحسب الطبع ـ تميل في ذواتهنّ؛ فيغفلون عن مقالهنّ![1].

الفروق:

الفرق بين النبوة والرسالة:

قيل: يوجد فرق بين النبوة والرسالة، وقيل: هما شيء واحد. والذين قالوا هما مختلفان اختلفوا في الفرق بين الرسول والنبي على أقوال، وأضبطها ـ والله أعلم ـ قول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، إذ يقول: «النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول»[2]، وعلى هذا كل رسول نبي وليس كل نبي رسول[3].

الآثار:

من الآثار: العلم بسعة رحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الأنبياء ليهدوهم إلى صراط الله العزيز الحميد، ويبينوا لهم كيفية عبادة الله تعالى.

ومنها: شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى. **ومنها:** محبة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده[4].

الحكمة:

الحكمة من النبوة: إقامة الحجة على الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾

(١) انظر: المُفْهِم للقرطبي (٦/ ٣١٤، ٣٣٢) [دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٨٣، ١٣/ ٢٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والجواب الصَّحيح لمَن بدَّل دينَ المسيح (٢/ ٣٤٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٩٦، ١١/ ٣٦٤، ١٨/ ٢٦٦)، والصَّفديَّة له (١/ ١٩٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٧، ٤٧٠، ٤٧٣) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ]، ولوامع الأنوار البهيَّة للسَّفاريني (٢/ ٢٦٥)، والرُّسُل والرِّسالات للأشقر (٨٦) [دار النفائس بالأردن، ط١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) النبوات (١/ ٧١٤).

(٣) انظر: الشفاء للقاضي عياض (١/ ٢٥٠) [دار الكتب العلمية]، وتفسير القرطبي (١٤/ ٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٠، ١٨/ ٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٥٥)، [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ]، وروح المعاني (١٠/ ٢٥٦) [دار الفكر]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٣٦٤) رقم (٢٦٦٨)، وكتاب التعريفات الاعتقادية (١٨٠، ٣١٤) [دار الوطن، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان (١٤٦) [ط١ مجمع الملك فهد].

[إبراهيم]. وبيَّن النبي ﷺ هذه الحكمة لأهل نجران بقوله: «**أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد**»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «هذا من جملة إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فبيّن تعالى أن هذا من مِنَنِه على عباده المؤمنين»[(٢)].

مذهب المخالفين:

ضلَّت الفلاسفة ولم يعرفوا النبوة على حقيقتها[(٣)]، وجعلوها مكتسبة بعد توفر الشروط التي وضعوها[(٤)]، لكن إنكار النبوات مخالفة لإجماع الأمم. وجعلها مكتسبة تناقض منهم في القول، إذ لم نر منهم ـ حتى الآن ـ نبيًّا اكتسب النبوة.

وزعم غلاة الرافضة أن الإمامة أجل وأعلى درجة من النبوة[(٥)]، ولهذا يقول الخميني: «إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل»[(٦)]، وزعمهم هذا باطل بإجماع المسلمين.

وزعم ملاحدة الصوفية أن النبوة تنال بالجهد والرياضة، وأن الولاية أفضل من النبوة[(٧)]، حيث ينشد بعضهم: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[(٨)]، و«هذا قلب للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون، وهو أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تنتظم النبوة والولاية، كما أن النبوة تنتظم الولاية»[(٩)]، كما أجمعوا

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٣١).

(٣) النبوات (١/ ١٩٥، ١٩٧)، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ٤١٥، ٥/ ٤٣٥)، [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٥/ ٣٥٣)، [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٣٢٢) [إدارة ترجمان السُّنَّة]، وأصول الإسماعيلية (٥٨٦) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) أصول الكافي (١/ ١٧٥) [دار الكتب الإسلامية طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ]، وأصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٩٤ ـ ٧٩٥) [دار الرضا، ط٣، ١٤١٨هـ] نقلًا عن ودائع النبوة في الولاية والمقتل (١١٤)، [دار العلم ١٣٩١هـ].

(٦) الحكومة الإسلامية (٥٢) [منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى].

(٧) انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٩٠) [دار الكتب العربية الكبرى]، وفصوص الحكم (٦٢ ـ ٦٤) [دار الكتاب العربي]، وانظر: إبطال القول بوحدة الوجود (٨٩) [دار ابن عباس، ط١، ٢٠٠٦م] وبمثل قولهم قالت الباطنية. انظر: الإسماعيلية تاريخ عقائد (٣٢٢)، أصول الإسماعيلية (٥٨٧).

(٨) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (١٩٦)، [دار الفضيلة]، ومجموع الفتاوى (٢/ ٢٢١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٤٣). وانظر: درء التعارض (٥/ ٣٥٥).

(٩) الصفدية (٢٥٤) [أضواء السلف، ط١ ١٢٢٤هـ].

على أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق، ولم يحصل له ذلك الفضل إلا بشدة اتباعه للنبي محمد ﷺ.

قال ابن تيمية فيمن فضَّل غير النبي عليه أو جعل النبوة مكتسبة: «وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهروا في قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق والتأله، وأولئك ظهروا في قالب التشيع والموالاة، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الأنبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة، وهؤلاء يعظمون أمر الإمامة حتى قد يجعلون الأئمة أعظم من الأنبياء والإمام أعظم من النبي كما يقوله الإسماعيلية، وكلاهما أساطين الفلاسفة الذين يجعلون النبي فيلسوفًا، ويقولون: إنه يختص بقوة قدسية، ثم منهم من يفضل النبي على الفيلسوف، ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبي، ويزعمون أن النبوة مكتسبة»[(١)]

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول مذهب الشيعة» (ج٢)، للقفاري.

٢ ـ «إبطال القول بوحدة الوجود»، لعلي القاري.

٣ ـ «حقوق النبي ﷺ على أمته» (ج١)، للتميمي.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٥)، لابن تيمية.

٥ ـ «دلائل النبوة» (ج٥)، للبيهقي.

٦ ـ «زاد المعاد» (ج٣)، لابن القيم.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ ـ «الصفدية»، لابن تيمية.

٩ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة» (ج١)، لابن تيمية.

١١ ـ «النبوات»، لابن تيمية.

نبوة النساء

يراجع مصطلح (النبوة).

النذر

التعريف لغةً:

يطلق النذر في اللغة على الإلزام والإيجاب، يقال: نذر؛ إذا ألزم وأوجب، وجمعه نذور، وأصل كلمة النذر تدل على تخويف أو تخوف، قال ابن فارس ـ بعد كلامه على أصل الكلمة ـ: «ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف»[(٢)].

ويطلق على النذر في اللغة: النَّحب،

(١) منهاج السُّنَّة (٨/ ٢٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٤١٤).

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال الطبري: «والنحب: النذر في كلام العرب»[1]، وهو أيضًا يدل على الإلزام والإيجاب.

وفي لغة أهل الحجاز إطلاق لفظ النذر على الأرش في الجراحات، قال ابن الأثير: «وأهل الحجاز يُسمُّون الأرش نَذْرًا، وأهل العراق يُسمُّونه أَرْشًا»[2]، وقد سار بعض الفقهاء كالشافعي وغيره على لغة أهل الحجاز، فسموا ما يجب في الجراحات من الديات نذرًا[3].

التعريف شرعًا:

قال ابن عثيمين: «هو إلزام المكلف نفسه شيئًا غير واجب»[4].

ومن أقوال العلماء المقاربة لهذا التعريف، **ما يلي**:

١ ـ قال الراغب الأصفهاني: «النذر: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر»[5].

٢ ـ وقال القرطبي: «هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه»[6].

٣ ـ وقال البهوتي: «هو: إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئًا غير محال بكل قول يدل عليه»[7].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان النذر في اللغة يطلق على الإلزام والإيجاب، جاء المعنى الشرعي موافقًا للمعنى اللغوي، إلا أنه خصص ذلك بإيجابه على نفسه ما لم يوجبه الشرع عليه.

الأسماء الأخرى:

النَّحْب[8].

الحكم:

أثنى الله تعالى على الذين يوفون بنذرهم ومدحهم على ذلك، وهذا يدل على أنه محبوب لله تعالى، وكل محبوب له تعالى فهو عبادة، وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، هذا أمر منه سبحانه بالوفاء بالنذور، والأمر يدل على أنه عبادة؛ لأن العبادة ما أمر به شرعًا.

وقد اختلف العلماء في حكم ابتداء النذر على **ثلاثة أقوال**:

(١) تفسير الطبري (١١/١٤٥).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٣٩).
(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٤/١٩٧).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٣٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].
(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٧٩٧).
(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٢١/٤٥٧).
(٧) الروض المربع شرح زاد المستقنع (١/٣٧٥).
(٨) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٥١٨).

القول الأول: أن ابتداء النذر بنوعيه المطلق والمعلق مكروه، وهذا قول جمهور العلماء، واستدلوا بنهي النبي ﷺ عن النذر، وقوله: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[١]، قالوا: فنهي النبي ﷺ دليل على كراهيته له[٢].

القول الثاني: أن ابتداء النذر بنوعيه حرام يأثم بفعله، واستدلوا بالحديث السابق على التحريم، وقالوا: إنه يشعر بعدم الثقة بالله تعالى، لا سيما النذر المعلق، وهذا رواية عند الحنابلة، مال إليها شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، وتبعه على ذلك ابن عثيمين[٤].

والقول الثالث: التفصيل في حكم النذر:

وهؤلاء اختلفوا في التفصيل **على قولين:**

أ ـ «القول بالتفريق بين النذر في التقرب بالأموال وبين غيرها من العبادات؛ كالصلاة والصيام ونحوهما، فقالوا بتحريم النذر في الأموال دون بقية القربات، وقد رجح ذلك الصنعاني[٥].

ب ـ التفريق بين النذر المعلق والنذر المطلق، فقالوا: إن المكروه في الابتداء هو النذر المعلق بشرط؛ بدليل قول النبي ﷺ: «**لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر بشيء**»[٦]، وفي رواية: «**إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئًا لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج**»[٧]، فهذه الرواية ظاهرة في أن المراد بالنذر المنهي عنه هو النذر الذي يريد العبد به أن ينفع نفسه بجلب نفع أو دفع ضر، أما النذر الذي لا مشارطة فيه بل هو على وجه التقرب الخالص المحض فهذا مستحب ابتداؤه، لورود المدح على الوفاء به في النصوص ـ كما تقدم ـ، وهذا القول هو اختيار الشنقيطي رحمه الله[٨].

والقول الأول هو الراجح في هذه المسألة، وهو قول جمهور العلماء ـ كما تقدم ـ، ورجحه كثير من المحققين من العلماء؛ كابن قدامة، والنووي، وابن حجر، وغيرهم[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٩٣)، ومسلم (كتاب النذر، رقم ١٦٣٩) واللفظ له.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٦٢١) [دار هجر، ط١، ١٤٠٨هـ]، والمجموع شرح المهذب (٨/ ٤٥١) [مكتبة الآثار، جدة]، وشرح مسلم للنووي (١٦/ ٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٧٨)، وسبل السلام للصنعاني (٤/ ٢١٢)، وأضواء البيان (٥/ ٦٧٧).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٢٨).

(٤) انظر: القول المفيد (١/ ٢٤٩).

(٥) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام (٤/ ٢١٢).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب النذر، رقم ١٦٤٠).

(٧) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٨) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٦٧٧).

(٩) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٦٢١)، المجموع شرح المهذب (٨/ ٤٥١)، وفتح الباري (١١/ ٥٧٨).

❁ **الحقيقة:**

النذر هو إلزام المكلف نفسه شيئًا لم يكن لازمًا عليه شرعًا؛ تعظيمًا للمنذور له.

ولا شك أن النذر عبادة عظيمة من أجلِّ العبادات التي أمر الله تعالى بها، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان]، فقد أثنى الله عليهم ومدحهم لوفائهم بالنذر، وهذا يدل على أن ذلك محبوب لله تعالى، وكل محبوب له تعالى فهو عبادة، وقوله تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]، وهذا أمر منه سبحانه بالوفاء بالنذور.

❁ **الأدلة:**

قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»(١).

وقوله ﷺ: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»(٢).

وقوله ﷺ: «**لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر بشيء**»(٣)، وفي رواية: «**إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئًا لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج**»(٤).

❁ **أقوال أهل العلم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنذر ما يقصد به التقرب إلى الله، ولهذا أوجب سبحانه الوفاء بالنذر؛ لأن صاحبه التزم طاعة الله، فأوجب على نفسه ما يحبه الله ويرضاه؛ قصدًا للتقرب بذلك الفعل إلى الله»(٥).

وقال أيضًا: «وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم، أو لقبورهم، أو المقيمين عند قبورهم، فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى، سواء كان النذر نفقة، أو ذهبًا، أو غير ذلك، وهو شبيه بمن ينذر للكنائس، والرهبان، وبيوت الأصنام، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، وقد اتفق العلماء على أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به؛ بل عليه كفارة يمين في أحد قولي العلماء، وهذا إذا كان النذر لله، وأما إذا كان النذر لغير الله فهو كمن يحلف بغير الله، وهذا شرك فيستغفر الله

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٦٧٠٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٣٤) [مجمع الملك لطباعة المصحف].

منه، وليس في هذا وفاء ولا كفارة، ومن تصدق بالنقود على أهل الفقر والدين فأجره على ربِّ العالمين»[(١)].

وقال الصنعاني رحمه الله ـ في شرحه لحديث النهي عن النذر ـ: «قلت: القول بتحريم النذر هو الذي دلَّ عليه الحديث، ويزيد تأكيدًا تعليله بأنه لا يأتي بخير؛ فإنه يصير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال، وإضاعة المال محرمة، فيحرم النذر بالمال كما هو ظاهر قوله: **«وإنما يستخرج به من البخيل»**، وأما النذر بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ونحوها من الطاعات فلا تدخل في النهي»[(٢)].

ـ وقال عبد الرحمٰن بن حسن: «إن الناذر لله تعالى وحده قد علَّق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والنذر عبادة، فإذا صرف لغير الله صار ذلك شركًا بالله؛ لالتفاته إلى غيره فيما يرغب فيه أو يرهب، فجعله شريكًا لله في العبادة»[(٣)].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «نذر القربة **على نوعين:**

أحدهما: معلق على حصول نفع؛ كقوله: إن شفى الله مريضي، فعليَّ لله نذر كذا، أو: إن نجاني الله من الأمر الفلاني المخوف، فعلي لله نذر كذا، ونحو ذلك.

والثاني: ليس معلقًا على نفع للناذر؛ كأن يتقرب إلى الله تقربًا خالصًا بنذر كذا، من أنواع الطاعة، وأن النهي إنما هو في القسم الأول؛ لأن النذر فيه لم يقع خالصًا للتقرب إلى الله، بل بشرط حصول نفع للناذر»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ النذر لغير الله عز وجل:

وهذا القسم داخل في الشرك الأكبر، وذلك أن النذر لله تعالى عبادة يثاب المسلم على الوفاء بها، فكان صرفه لغير الله داخلًا في الشرك الأكبر[(٥)].

وقد نبَّه كثير من العلماء على خطورة النذر لغير الله، ودخول صاحبه في الشرك الأكبر، كغيره من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وذلك لما شاهدوا ظهور تلك البدعة الشركية وانتشارها في أزمانهم[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٠٤).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني (٤/ ٢١٢).

(٣) قرة عيون الموحدين لعبد الرحمٰن بن حسن (٨٥) بتصرف [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ]. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٢٩٣).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٦٧٧).

(٥) انظر: قرة عيون الموحدين لعبد الرحمٰن بن حسن (٨٥)، ونواقض الإيمان القولية والعملية (٢٩٣).

(٦) انظر: كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٥٠٤)، وصاحب تيسير العزيز الحميد (٢٠٣ ـ ٢٠٧) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ]، وكلام الشوكاني في الدر النضيد ـ ضمن الرسائل السلفية =

والمقصود: أن العلماء رحمهم الله قد حذَّروا من النذر لغير الله تعالى، وجعلوه داخلًا في الشرك كغيره من العبادات، من صلاة وصيام وذبح ونحو ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها.

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد على الإطلاق، ولا تجب فيه كفارة كنذر المعصية، وإنما تجب فيه التوبة والاستغفار مما بدر منه من الشرك بالله تعالى.

الفروق:

الفرق بين النذر واليمين:

١ ـ النذر في أصله مكروه، بخلاف اليمين فلا تكره في أصلها، وإنما تكره أو تحرم بعض صورها.

٢ ـ النذر واليمين متقاربان، كلاهما فيه التزام فعل أو ترك، ولذا يذكران في باب واحد في كتب الفقه، بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن النذر نوع من اليمين، فقال: «والنذر نوع من اليمين، وكل نذر فهو يمين، فقول الناذر: لله عليّ أن أفعل، بمنزلة قوله: أحلف بالله لأفعلن، موجب هذين القولين التزام الفعل معلقًا بالله»[1].

٣ ـ النذر يختلف في صيغته عن صيغة اليمين؛ إذ يصح بلفظ: لله علي نذر، أو: إن شفى الله مريضي لأتصدقن بكذا، ونحو ذلك، ولا يلزم في تأكيده ذكر معظم على وجه مخصوص، بخلاف اليمين.

٤ ـ اليمين المنعقدة تجب فيها الكفارة، ولو كان الحلف على طاعة، بخلاف النذر فإن نذر الطاعة يجب الوفاء به ولا تصح فيه الكفارة إلا مع العجز عنه.

ـ الفرق بين نذر المعصية والنذر لغير الله:

١ ـ نذر المعصية قصد به الله تعالى، وإن كان المنذور معصية، بخلاف النذر لغير الله فإنما قصد به غير الله من الجن والقبور ونحوها.

٢ ـ نذر المعصية ينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين، بخلاف النذر لغير الله فإنه لا ينعقد أصلًا، ولا تجب فيه كفارة.

٣ ـ أن حكم نذر المعصية محرم يأثم عليه فاعله، وأما النذر لغير الله فهو داخل في الشرك الأكبر.

الآثار:

أ ـ آثار النذر لله تعالى:

١ ـ أن النذر لا يأتي بخير كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

٢ ـ أن فيه إلزامًا للنفس مما هو في

= (٢٠)، وكلام الشيخ المبارك الميلي في رسالة الشرك ومظاهره (٢٣٣).

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٢٥٨).

حلٍّ منه، وفي ذلك زيادة تكليف عليه.

٣ ـ أن الغالب على من نذر أنه يندم على ذلك، ويشق ذلك عليه.

٤ ـ أن صاحبه قد يعرض نفسه للإثم إذا قصَّر فيما أوجب على نفسه.

ب ـ آثار النذر لغير الله:

١ ـ أنه يوقع في الشرك الأكبر، المخرج عن ملة الإسلام.

٢ ـ أن فيه ترويجًا للخرافة والدجل، بفعل مثل ذلك عند القبور.

٣ ـ أن فيه إفسادًا للأموال وتضييعًا للأوقات من دون فائدة أو منفعة.

٤ ـ أن في ذلك تشجيعًا لسدنة القبور بصرف تلك النذور لهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «المغني»، لابن قدامة.

٢ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١، ١١)، لابن تيمية.

٣ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٤ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٥ ـ «الدين الخالص»، لصديق حسن.

٦ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٧ ـ «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

٨ ـ «المجموع شرح المهذب»، للنووي.

٩ ـ «الموسوعة الفقهية الكويتية» (مادة نذر).

١٠ ـ «النذر: أنواعه ـ أحكامه ـ بدعه»، لإبراهيم بن محمد الحمد.

النزول

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولًا، ونزل المطر من السماء نزولًا»[1].

النزول: في لغة العرب هو إتيان شيء ومجيؤه من علو إلى سفل، يقال: نزل الراكب عن دابته، والرجل من علو إلى سفل، وأنزلت الناقة: إذا نزل اللبن من ضرعها، وهكذا[2].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما تقضيه النصوص الشرعية، نزولًا يليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الحكم:

الإيمان بنزول الله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته واجب؛ لثبوت النص

(١) مقاييس اللغة (٥/٤١٧) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥/٤١٧)، والمحيط في اللغة لابن عباد (٩/٥٤) [عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ]، والصحاح (٥/١٨٢٩) [دار العلم للملايين، ط٣].

المتواتر بهذا عن رسول الله ﷺ، مع عدم معرفة كيفية نزوله سبحانه وتعالى[(١)].

الحقيقة:

حقيقة النزول هو مجيء الشيء من الأعلى إلى الأسفل، هذا هو الثابت في لغة العرب، وهو ما جاء به الشرع، والنزول المضاف إلى الله هو نزوله سبحانه بنفسه حقيقة، على ما يدل عليه النص، لا نزول ملائكته، أو أمره، أو نحو ذلك[(٢)].

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[(٣)].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطى سؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة رحمه الله: «باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبيّنا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين

---

(١) انظر: التوحيد (١/ ٢٨٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٨هـ]، والشريعة للآجري (٣/ ١١٤٥) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٩٠)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١١٠٠) [أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٤٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٧/ ٣١٠) رقم (٣٦٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ٧٥٨)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢٢١، ٢٢٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣١٥) [مكتبة الرشد، ط٥، ١٤١٤هـ]، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٤٢٣) [دار الوطن، ط١]: (رجاله ثقات)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٢٢٢): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ١٩١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو يعلى (٩/ ٢١٩) [دار المأمون، ط١]، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٣) [مكتبة القدسي]: (رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح)، وصححه الألباني في الإرواء (٢/ ١٩٩).

القول بصفته، أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول»[(١)].

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب الإيمان والتصديق بأن الله عَزَّ وَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، الإيمان بهذا واجب، لا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل، ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق، فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحَّت عن رسول الله ﷺ أن الله عَزَّ وَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء منهم ذلك، كذلك قبلوا هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث يحذرون منه»[(٢)].

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويوردون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله تعالى»[(٣)].

(١) التوحيد (١/٢٨٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٨هـ].
(٢) الشريعة (٣/١١٤٥) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].
(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٤٦) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢، ١٤١٥هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خصائص الرب عَزَّ وَجَلَّ ليست كخصائص المخلوقين:

نزول الرب جَلَّ وَعَلَا لا يقاس على نزول المخلوقين، ولا يتوهم فيه ما يتوهم في المخلوقين؛ إذ لا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في الخصائص، ولهذا يشترك الإنسان والحيوان والنبات في اسم الحياة، ويفترقون في الخصائص، فالإنسان له حياة تخصه، والحيوان له حياة تخصه، والنبات له حياة تخصه، بل الإنسان وهو حي حياته تتفاوت؛ ففي اليقظة له خصائص، وفي النوم له خصائص، وفي القبر له خصائص، وكونه جنينًا في بطن أمه له خصائص، فإذا تبينت المفارقة وعدمت المماثلة في المخلوق، فانتفاؤها بين الخالق والمخلوق من باب أولى وأعظم.

- المسألة الثانية: ما نقل عن بعض الأئمة من تأويل نزول الله عَزَّ وَجَلَّ[(٤)].

نقل عن الإمام مالك والإمام أحمد في تأويل نزول الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا لا يصح عنهما، وهو مخالف لما ثبت عنهما، وعن أئمة السلف من القول بإمرار نصوص الصفات، على ما جاءت، وإجرائها على ظاهرها، والألفاظ الصريحة عنهم في عدم تأويل شيء من

(٤) انظر: صفة النزول الإلهي (٥٥٧).

نصوص الصفات كثيرة، ومتواترة.

قال ابن القيم: «فإن المشهور عنه [أي: مالك] وعن أئمة السلف: إقرار نصوص الصفات، والمنع من تأويلها»[(١)].

وقال المقريزي: «لم يتأول السلف شيئًا من أحاديث الصفات»[(٢)].

- **المسألة الثالثة: دنو الله ﷻ:**

ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ أن الله ﷻ يدنو عشية عرفة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[(٣)].

دنو الله تعالى من عباده المؤمنين، هو من جنس الصفات الاختيارية الفعلية الثابتة له على ما يليق بجلاله وعظمة سلطانه، ودنوه يوم عرفة هو معلق بأفعال العباد؛ إذ لو لم يقف أحد بعرفة، لم يحصل هذا الدنو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه، وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستوائه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»[(٤)].

وقال أيضًا: «ودنوه يوم عرفة هو لما يفعله الحاج ليلتئذ من الدعاء، والذكر، والتوبة، وإلا فلو قدر أن أحدًا لم يقف بعرفة لم يحصل منه سبحانه ذلك الدنو إليهم؛ فإنه يباهي الملائكة بأهل عرفة، فإذا قدر أنه ليس هناك أحد لم يحصل»[(٥)].

- **المسألة الرابعة: هل يقال: ينزل بذاته؟**

أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

١ ـ **القول الأول:** قول من قال: ينزل بذاته، وأطلق هذه اللفظة، قال ابن عثيمين «نزول: يعني إلى السماء الدنيا؛ وذلك لأنه تواتر عن النبي ﷺ، أو اشتهر اشتهارًا قريبًا من التواتر أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ينزل نزولًا حقيقيًّا بذاته إلى السماء الدنيا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟**

(١) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٣٧).

(٢) المواعظ والاعتبار (٢/ ٣٦٢) [دار صادر].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤١).

من يستغفرني فأغفر له؟»[(١)]، وقائل ذلك هو النبي ﷺ، ونحن يجب علينا أن نؤمن بأنه أعلم الناس بالله ﷻ، وأنه أصدق الخلق مقالًا، وأنصحهم مقصدًا، وأفصحهم نطقًا، فلا أحد أنصح من رسول الله ﷺ للخلق، ولا أحد من الخلق أفصح منه ولا أبلغ، ولا أحد من الخلق أصدق منه، ولا أحد من الخلق أعلم منه بالله. وهذه صفات أربع يتصف بها كلام الرسول ﷺ، وبها يتم الكلام، وهي: العلم والصدق والنصح والفصاحة. فإذا قال: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فإن مراده يكون نزوله تعالى بذاته، وقد صرح أهل السُّنَّة بأن المراد نزوله بذاته، وصرحوا بكلمة بذاته مع أننا لا نحتاج إليها؛ لأن الأصل أن كل فعل أو اسم أضافه الله ﷻ إليه فهو إلى ذاته، فهذا هو الأصل في الكلام»[(٢)].

٢ ـ **القول الثاني**: قول من قال: لا ينزل بذاته، وهو قول أهل التأويل.

قال ابن رجب رحمه الله: «ومنهم من مال في حديث النزول خاصة إلى التأويل؛ كابن قتيبة، وابن عبد البر، والخطابي، وهذا نوع من تأويل أخبار الصفات»[(٣)].

٣ ـ **القول الثالث**: قول من يقول: نقول ينزل، ولا نقول بذاته، ولا بغير ذاته.

ومن هؤلاء أبو القاسم التيمي، والذهبي، قال الذهبي رحمه الله: «ومسألة النزول فالإيمان به واجب وترك الخوض في لوازمه أولى، وهو سبيل السلف، فما قال: هذا نزوله بذاته إلا إرغامًا لمن تأوله، وقال: نزوله إلى السماء بالعلم فقط، نعوذ بالله من المراء في الدين، وكذا قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر] ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، وننهى عن القول: ينزل بذاته، كما لا نقول: ينزل بعلمه، بل نسكت ولا نتفاصح على الرسول ﷺ بعبارات مبتدعة، والله أعلم»[(٤)].

وتحقيق المسألة: أنه إذا كان الأمر يتعلق بباب الرد على الجهمية المعطلة ومن وافقهم، فلا بأس بذكرها؛ لأن معناها صحيح، وإن كان الأمر يتعلق بباب الإخبار بنزول الله تعالى، فلا تذكر.

قال الألباني رحمه الله: «وهذه اللفظة: بذاته، وإن كانت عندي معقولة المعنى، وأنه لا بأس من ذكرها، فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة

(١) تقدم تخريجه.
(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٢٧٢ ـ ٢٧٤) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٣) فتح الباري (٩/٢٨٧) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١].
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ].

السلف، وهي لفظة: بائن من خلقه، وهاتان اللفظتان لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة، ولكن لما ابتدع جهم القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء بلفظ بائن دون أن ينكره أحد منهم، ومثل هذا تمامًا قولهم في القرآن: إنه غير مخلوق»[(١)].

ـ المسألة الخامسة: مسألة خلو العرش:

اختلف أهل السُّنَّة في ذلك **على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: قول من قال: إن العرش يخلو منه. وإلى هذا ذهب عبد الرحمٰن بن محمد بن منده، الإمام المحدث المشهور، وألف مصنفًا في الرد على من قال بعدم خلو العرش منه.

القول الثاني: التوقف، فلا يقال يخلو، ولا لا يخلو. وإلى هذا ذهب الحافظ عبد الغني المقدسي، وبعض أهل الحديث.

القول الثالث: قول من قال: إن العرش لا يخلو منه. وهذا مذهب جمهور أهل السُّنَّة ونقل ذلك عن الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد وعبيد الله بن بطة وغيرهم[(٢)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توقف أصحاب القول الثاني: إما لشكِّهم في ذلك وأنهم لم يتبين لهم جواز أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يشك في ذلك لكونه ليس في الحديث، ولما يخاف من الإنكار عليه.

وقد رجح القول الثالث، حيث قال: «والقول الثالث: وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه، ونزوله إلى سماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسُّنَّة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم؛ بل الله عَزَّ وَجَلَّ منزه عن ذلك»[(٣)].

الثمرات:

نزول الرب جَلَّ وَعَلَا يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلٰهية وبتجليات الرب سبحانه لعباده، وذلك لخلو القلب، وانقطاع الشواغل، وسكون الليل ورهبته أقوى على استحضار القلب وصفائه[(٤)].

مذهب المخالفين:

ذهب الجهمية والمعتزلة، وكثير من الأشعرية إلى تأويل نزول الله عَزَّ وَجَلَّ بنزول

(١) انظر: مختصر العلو (١٧، ١٨).
(٢) انظر: صفة النزول الإلٰهي لعبد القادر الجعيدي (٢٨٩، ٢٩٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/٤١٥).
(٤) انظر: أضواء البيان (٩/٣٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته[1].

الردّ عليهم:

الأول: أن النزول أضيف إلى الله ﷻ بألفاظ صريحة، لا تحتمل إلا أن يفسر النزول بنزول الله ﷻ، وعلى هذا مذهب أهل السُّنَّة، أعلم الناس بمراد الله، ومراد رسوله، وألفاظهم صريحة في هذا المعنى.

الثاني: أنه جاء في الحديث ما يمنع حمله على الملائكة، أو أمر الله، أو رحمته؛ وهو قوله: «**من يسألني فأعطيه؟ ومن يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»، وهذا القول لا يجوز أن يقوله ملك عن الله تعالى بالاتفاق؛ بل لا يقوله إلا مَلِكُ الملوك.

الثالث: نزول أمر الله ورحمته وملائكته ليس له حد زماني ولا مكاني، فهم ينزلون في كل وقت وساعة، وليس نزوله مقيدًا بالسماء الدنيا؛ إذ لا منفعة تحصل للعباد من ذلك، وهذا بخلاف نزوله سبحانه وتعالى، فقد ورد أنه ينزل إلى السماء الدنيا، وفي الشطر الثاني من الليل أو في الأسحار.

الرابع: أن من يتأول نزول الله ﷻ بنزول أمره، أو رحمته، أو ملائكته، ليس له دليل من كتاب الله، ولا من سُنَّة رسول الله، وليس له شاهد من سياق النص.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأربعين في صفات ربِّ العالمين»، للذهبي.

٢ ـ «التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ»، لابن خزيمة.

٣ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

٤ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد أمان جامي.

٥ ـ «صفة النزول الإلٰهي»، لعبد القادر الجعيدي.

٦ ـ «الصفات الإلٰهية»، لمحمد خليفة التميمي.

٧ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥)، لابن تيمية.

٩ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

١٠ ـ «النزول» لأبي الحسن، الدارقطني.

نزول القرآن

يراجع مصطلح (القرآن).

(١) انظر: الانتصار للباقلاني (٢/ ٧٣٧)، والإرشاد للجويني (١٦١، ١٦٢) [مكتبة الخانجي، ط١٣٦٧هـ].

نزول عيسى عليه السلام

التعريف لغةً:

النزول: الهبوط من علو إلى سفل[(١)].

التعريف اصطلاحًا:

ينزل نبي الله عيسى عليه السلام في آخر الزمان من السماء إلى الأرض حكمًا عدلًا، لا رسولًا، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويصلي وراء الإمام منّا؛ تكرمة من الله تعالى لهذه الأمة، ثم يتوجه لبيت المقدس، ويقتل الدجال عند باب لُدّ، ويحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقتله للدجال. وظهوره من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بها يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٩٩) [دار القلم، ط١]، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤/ ١٨٨) [عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٤ ـ ٤٧) [دار الكتب العلمية].
وسيأتي ذكر الأحاديث ضمن الأدلة.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**»، ثم يقول أبو هريرة: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء]»[(٣)]. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال: «**فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله**»[(٤)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»[(٥)].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**ليس بيني وبينه نبي - يعني: عيسى - وإنه نازل؛ فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه المِلل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون**»(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطة: «ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء إلى الأرض، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويكون الدعوة واحدة»(٢).

وقال القاضي عياض: «نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال: حق وصحيح عند أهل السُّنَّة؛ للأحاديث الصحيحة فى ذلك. وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته»(٣).

وقال ابن كثير: «قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا، وحكمًا مقسطًا»(٤)، وقال السفاريني: «أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها»(٥).

وقال الغماري: «اعلم أنه تواتر عن النبي ﷺ تواترًا لا خلاف فيه ولا نزاع، بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان»(٦).

وقال محمد شفيع: «إن مسألة نزول المسيح عليه السلام، وكونه هو عيسى ابن مريم النبي الإسرائيلي بعينه: مما صدعت به النصوص القرآنية، وتواترت فيه الأحاديث النبوية، وأجمعت عليه الأمة، من لدن عهد النبي الكريم ﷺ إلى يومنا هذا بحيث لا يسع فيه التأويل، ولا يسع فيه القال والقيل»(٧).

= ٣٤٤٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٤)، وأحمد (١٥/٣٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢١٨٢).

(٢) الشرح والإبانة (١٤٧) [دار الأمر الأول، ط١، ١٤٣٢هـ].

(٣) شرح صحيح مسلم (١٨/١٠٠) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٣٦) [دار طيبة، ط٤].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٩٤، ٩٥) [المكتب الإسلامي]، ونحوه: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/٥١٢) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٦) إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان (٢٥) [عالم الكتب، ط٣، ١٤١٠هـ].

(٧) في تقديمه لكتاب: التصريح بما تواتر في نزول =

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة، ودلالة على قربها:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، قال ابن كثير: «أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد؛ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم»[(١)]. وأنه عليه السلام إذا نزل يقضي على الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]، ويبقى ما شاء الله له أن يعيش، ثم يتوفاه الله الوفاة الكبرى، وهذا يدل على أنه لا يزال حيًّا عليه السلام حين رفعه الله تعالى، وأن وفاته وفاة منامية.

- المسألة الثانية: المنارة التي ينزل عليها عيسى عليه السلام:

لم يثبت حديث صحيح في تحديد المنارة التي ينزل فيها عيسى عليه السلام، وإن رجح بعضهم أن المقصود بها منارة الجامع الأموي، قال ابن كثير: «هذا هو الأشهر في موضع نزوله: أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي بدمشق من شرقيِّه، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة»[(٢)].

- المسألة الثالثة: مدة مكثه:

يمكث في الأرض أربعين سنة، كما دلَّ عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون**»[(٣)]. وجاء في حديث عند مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل؛ لدخلته عليه**

= المسيح (٤٨) [دار السلام، ط٤، ١٤٠٢هـ].

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة (٧/٢٣٦).

(٢) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٤٤، ١٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

حتى تقبضه»[١]. وقد وفَّق بعض العلماء بين الروايتين بأن حملوا رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة[٢]. وهذا القول متوجه إذا صح أن عيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، إلا أن ابن القيم رحمه الله، قال: «وأما ما يذكر عن المسيح أنه رُفِعَ إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه»[٣]. كما أنه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**حتى يأتي فلسطين باب لُدّ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا، وحكمًا مقسطًا**»[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة**»[٥]، وهذان الحديثان يدلان دلالة ظاهرة أن الأربعين سنة تكون بعد قتله للدجال[٦].

وقيل للتوفيق بين الروايتين: إن السنين السبع هي مدة مكثه مع الإمام المهدي، وبعد تمام سبع سنين يتوفى الإمام، ويبقى عيسى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاثًا وثلاثين سنة[٧]، ويشهد لهذا القول حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين**»[٨]. وقيل: إن المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: «**ثم يمكث الناس سبع سنين**» هو الكثرة لا الحصر[٩]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٢) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٤٦) [دار الكتب الحديثة، ط١]، والإشاعة لأشراط الساعة (٣٠٤) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ]. وفتاوى وأحكام في نبي الله عيسى (٧٣) [نشر علي العماري، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٨٤) [دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، ط٢٨، ١٤١٥هـ].

(٤) أخرجه أحمد (٤١/ ١٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٨) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح، غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٠) [المكتبة الإسلامية].

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٣١) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٥) [دار الكتاب العربي، ط٣/ ١٤٠٢هـ]: «رجاله ثقات»، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢/ ٨٧١).

(٦) ينظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٥١٧).

(٧) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري (٣/ ٢٦٢، ٢٦٣) [دار المعرفة].

(٨) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥) واللفظ له، وأحمد (١٧/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٠)، وجوَّد إسناده ابن القيم في المنار المنيف (١٤٤) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٧٣٦).

(٩) ينظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (١٢٧ ـ ١٢٩) الحاشية.

- **المسألة الرابعة: زمن عيسى ابن مريم بعد نزوله زمن رغد ورخاء، وأمن وسلام:**

دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص؛ فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد**»[(١)]. قال النووي: «وإنما ذكرت القلاص؛ لكونها أشرف الإبل، التي هي أنفس الأموال عند العرب»[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم**»[(٣)]. وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال في زمن عيسى عليه السلام: «**ثم يرسل الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر؛ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة**[(٤)]**، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل**[(٥)]**؛ حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس**»[(٦)].

- **المسألة الخامسة: أن الوحي ينزل على عيسى عليه السلام في ذلك الزمن**[(٧)]**:**

دلَّ على ذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال: «**فبينما هو كذلك؛ إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج**»[(٨)].

- **المسألة السادسة: هل يرتفع التكليف بنزول عيسى عليه السلام؟**

قال القرطبي: «ذهب قوم إلى أن

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/٢٠٣) والقِلاص: «جمع قَلوص، وهي من الإبل كالفتاة من النساء». ينظر: الموضع نفسه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٤)، وأحمد (١٥/١٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٨٢).

(٤) الزلفة: المرآة، شبه الأرض بها لاستوائها ونظافتها. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري (١٣/١١٧) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) الرسل: اللبن. وذكر في الحديث؛ لأنه يكثر في حال الرخاء والخصب. ينظر: النهاية في الغريب (٤٠١).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) ينظر: الإعلام بحكم عيسى ـ ضمن الحاوي للفتاوي (٢/٢٩٤ ـ ٢٩٦) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (٣١٠).

(٨) تقدم تخريجه.

بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف؛ لئلا يكون رسولًا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة، وبقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**»[١]، وقوله: «**وأنا العاقب**»[٢]، يريد آخر الأنبياء وخاتمهم. وإذا كان ذلك: فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيًّا بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ؛ بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ، وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعالَ صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله لهذه الأمة**»[٣]. فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقررًا لهذه الشريعة ومجددًا لها؛ إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ﷺ آخر الرسل، فينزل حكمًا مقسطًا، وإذا صار حكمًا فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين، ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي، قد قبض الله العلم، وخلا الناس منه. فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة؛ للحكم بحكمه بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره؛ ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله الله»[٤].

- **المسألة السابعة: أن عيسى عليه السلام عندما ينزل سيحج ويعتمر:**

كما دلَّ عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًّا أو معتمرًا أو ليثنينهما**»[٥]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة، ويعطى المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء، فيحج منها أو يعتمر، أو يجمعهما**»[٦].

الحكمة:

لعل الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء عليهم السلام ما يلي:

أولًا: الرد على اليهود في زعمهم

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٦)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/١٣٠١، ١٣٠٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]. وينظر: الإعلام بحكم عيسى (٢٧٨ ـ ٢٨٨).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٥٢).

(٦) أخرجه أحمد (١٣/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٩٩) [المكتبة الإسلامية].

أنهم قتلوه وصلبوه؛ فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه ينزل عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا حكمًا مقسطًا، كما ثبت في الأحاديث.

ثانيًا: الردُّ على النصارى واليهود في زعمهم أن المسيح عليه السلام قُتل وصُلب، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

ثالثًا: إبطال عقيدة النصارى في زعمهم أن المسيح ابن الله، وذلك أنه بعد نزوله وقتله للدجال فإنه يموت مثل البشر، كما مات غيره من الأنبياء عليهم السلام.

رابعًا: بيان فساد عقيدة النصارى في تعظيمهم للصليب بزعمهم أن المسيح مات على الصليب فداء للبشر عن خطيئة أبيهم آدم ـ بزعمهم ـ فأصبح الصليب علامة النصارى وشعارهم ورمزًا لحياتهم. أيضًا بيان فساد عقيدتهم في تحليل لحم الخنزير، مع أن الله حرم أكله في كل الشرائع وخاتمتها شريعة الإسلام.

خامسًا: تكذيب اليهود في زعمهم أنهم شعب الله المختار، إذ إنه عليه السلام ينزل متبعًا لشريعة محمد ﷺ، ومقتديًا بأحد أتباع الرسول محمد ﷺ في الصلاة، كما ثبت في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**، ـ قال: ـ **فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة**»[(١)].

كما أنه ينزل عليه السلام حاكمًا بشريعة الإسلام، ومقاتلًا مع أمة محمد ﷺ اليهود؛ كل هذا وغيره يدل على اصطفاء الله لأمة محمد ﷺ من بين سائر الأمم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام**»[(٢)].

سادسًا: مقاتلة اليهود الذين حاربوه ووقفوا ضد دعوته؛ وأفسدوا في البلاد والعباد، فيقاتلهم ومعه المسلمون، ويقتل مسيحهم الدجال، كما جاء في حديث أبي أُمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**فيصلي بهم إمامهم؛ فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب. فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء،**

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

وينطلق هاربًا فيدركه عند باب لُدّ الشرقي فيقتله؛ فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة؛ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق؛ إلا قال: يا عبد الله المسلم! هذا يهودي فتعال اقتله»[1].

سابعًا: تحقيق قول الله تعالى في دين الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وذلك أن عيسى عليه السلام يضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام.

ثامنًا: إن نزول عيسى عليه السلام من السماء، لدنو أجله، فيدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها[2].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض المعاصرين إلى إنكار نزول عيسى عليه السلام، وقال: إن المراد بنزوله هو انتصار الحق وانتشاره من جديد[3]. وهذا تأويل باطل مردود، وهو من تحريف الكلم عن مواضعه «ومن جنس تأويلات القرامطة والباطنية، ويلزم على هذا التأويل الباطل تكذيب ما تواتر عن النبي ﷺ من الإخبار بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان حكمًا عدلًا، ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ؛ فهو ممن يشك في إسلامه؛ لأنه لم يحقق الشهادة بأن محمدًا رسول الله، بل قد تواترت النصوص الدالة على نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان حكمًا عدلًا، وهي أدلة قاطعة على امتداد حياته حتى الآن»[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
٢ ـ «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.
٣ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.
٤ ـ «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام (ضمن الحاوي للفتاوي)» (ج٢)، للسيوطي.
٥ ـ «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله الغماري.
٦ ـ «البراهين والأدلة الكافية في

---

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٤٤٧) [دار الراية، ط١]، وتمّام في فوائده (١/١١٦) [مكتبة الرشد، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٥) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/١٣٠٢ ـ ١٣٠٤)، وفتح الباري (٦/٥٦٨).

(٣) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/١٤٠) [دار الصميعي، ط٢].

(٤) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/١٤٠ ـ ١٤٣).

القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة»، لسليمان بن عبد الرحمٰن بن حمدان.

٧ ـ «تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ضمن مجموعة رسائل الكشميري» (ج٢)، لمحمد أنور الكشميري.

٨ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٩ ـ «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور شاه الكشميري.

١٠ ـ «رفع عيسى حيًّا ونزوله وقتله الدجال»، لمحمد خليل هراس.

١١ ـ «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ضمن مجموعة رسائل الكشميري» (ج٢)، لمحمد أنور الكشميري.

النُّشرة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء، وتشعبه»[(١)].

والنُّشرة: بالضم: ضرب من الرقية يعالج به من كان يُظن أن به مسًّا من الجن، أو المرض، يقال: قد نشر عنه، وانتشر: انبسط. ونشره بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾؛ أي: رقاه. وكذلك إذا كتب له النشرة. والتنشير من النُّشرة، وهي كالتعويذ والرقية[(٢)].

التعريف اصطلاحًا:

حل السحر عن المسحور، وهو ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان مصابًا بالجن، أو بالسحر، ينشر بها ـ أي: يحل ـ عنه ما خامره من الداء[(٣)].

سبب التسمية:

سميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء؛ أي: يحل عنه، ويكشف ويزال[(٤)].

الحكم:

النشرة: هي حل السحر عن المسحور، **وهي نوعان؛**

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٠) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٨٢٨) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (١٤/ ١٤٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس (٤/ ٣٧٢) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٥٠٤) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ]، ومعالم السنن (٤/ ٢٢٠) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٥٩) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، والقول السديد لابن سعدي ـ ضمن المجموعة الكاملة له (٣/ ٣٠) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٥٤) [دار إحياء التراث العربي]، ولسان العرب (١٤/ ١٤٢).

محرم، وهو من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن: «لا يحل السحر إلا ساحر»[(١)]، فيتقرب الناشر والمنشور إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: النُّشرة بالرقية الشرعية، والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز[(٢)].

الأدلة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت ـ في قصة سحر النبي ﷺ ـ: فأتى النبي البئر حتى استخرجه فقال: «**هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، وكأنَّ نخلها رؤوس الشياطين**». قال: فاستخرج، قالت: قلت: أفلا؟ ـ أي: تنشَّرت ـ. فقال: «**أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا**»[(٣)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(٤)].

(١) ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد (٢/ ٨٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٨٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢/ ٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعنه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٦٨)، وحسَّن ابن حجر إسناده في فتح الباري (١٠/ ٢٣٣) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٠).

وقد جاء النهي عن التداوي بالأمور المحرمة؛ كالخمر، ونحوه، فعن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها. فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «والنشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. **والثاني**: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب»[(٦)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا الحديث بيَّن فيه الرسول ﷺ حكم النشرة، وأنها من عمل الشيطان، وهذا يغني عن قوله إنها حرام، بل هذا أشد من قوله: إنها حرام؛ لأن ربطها بعمل الشياطين يقتضي تقبيحها، والتنفير عنها، فهي محرمة»[(٧)].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الأشربة، رقم ١٩٨٤).

(٦) إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٧) القول المفيد (١/ ٥٥٤) [دار ابن الجوزي، ط٢].

كالمعوذتين، وآية الكرسي، ونحو ذلك مما تجوز الرقية به فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر أو ألفاظ أعجمية أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع، وهذا واضح، وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى»[(١)].

الأقسام:

النُّشرة نوعان:

النوع الأول: نُشرة جائزة، وهي ما كانت بالرُّقى والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة، وهذا ما شرعه الله تعالى لعباده في علاج السحر.

قال موفق الدين ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما من يحل السِّحر: فإن كان بشيء من القرآن، أو شيء من الذكر، والأقسام، والكلام الذي لا بأس به، فلا بأس به»[(٢)].

النوع الثاني: نُشرة ممنوعة، وهي حل السحر بسحر مثله وهي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمل الشيطان يتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «النُّشرة: حل السحر عن المسحور، فإن كان ذلك بسحر مثله فهي من عمل الشيطان، وإن كانت بالرقى، والتعاويذ المشروعة فلا بأس بذلك»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- دعوى الضرورة في جواز حل السحر بسحر مثله:

زعم بعض من أجاز حل السحر بسحر مثله أن جواز ذلك من باب الضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات، وهذا قول مردود، ورأي مطّرح؛ لمعارضته للنصوص الشرعية في تحريم إتيان السحرة والكهنة والعرافين وسؤالهم، والزعم بأن ذلك ضرورة لا يصح؛ لأن المحظور إنما أبيح للضرورة التي يتحقق معها نفعه، كالميتة يأكلها الإنسان المضطر ويتحقق نفعها، بخلاف الشفاء من السحر قد يتحقق وقد لا يتحقق، كما أن الضرورة لا تكون جائزة ببذل الدين والتوحيد عوضًا عنها، والضرورات الخمس التي جاءت بها الشرائع أولها وأعظمها حفظ الدين، وغيره أدنى من مرتبته، فلا يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى، والسحر لا يكون إلا بشرك والذي يأتي الساحر ويطلب منه حل السحر فقد رضي قوله وعمله ورضي أن يعمل به ذاك، ورضي أن يشرك ذاك بالله لأجل منفعته

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٧، ٥٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) المغني (١٢/ ٣٠٤) [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٧هـ].

(٣) أعلام السُّنَّة المنشورة (١٥٥) [مكتبة السوادي، ط٧، ١٤١٨هـ].

وهذا لا يجوز[(١)].

وحل السحر بالسحر فيه مفاسد خطيرة وظاهرة، والقاعدة الشرعية: دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، يبيِّنها الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله بقوله: «أما حل السحر عن المسحور بسحر مثله: فيحرم؛ فإنه معاونة للساحر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور ولهذا ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم، يتعمد سحر الناس، ممن يحبه أو يبغضه؛ ليضطره بذلك إلى سؤاله حلَّه؛ ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أضواء البيان»، للشنقيطي.

٢ ـ «أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية»، لحسن الفكي.

٣ ـ «أحكام الرُّقى والتمائم»، لفهد السحيمي.

٤ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيم.

٥ ـ «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٦ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٧ ـ «السحر بين الحقيقة والخيال»، لأحمد الحمد.

٨ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٩ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ ـ «قواعد ومسائل في توحيد الإلٰهية»، لعبد العزيز الريس.

النشور

يراجع مصطلح (البعث).

نصوص الصفات

التعريف لغةً:

النصوص: جمع نص، والنص: أصله من نصّ الشيء إذا رفعه، ومنه: مِنصة العروس بكسر الميم، ويراد بالنص: التوقيف، والتعيين على شيء ما، ويأتي بمعنى: الرفع والظهور. وقيل: نصَّ الحديثَ إلى فلان: رفعه إليه، ونص كل شيء: منتهاه، ومبلغ أقصاه[(٣)].

والصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل: وَصَفَ، فالواو والصاد والفاء

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣١، ٣٣٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) معارج القبول (٢/ ٧١١، ٧١٢) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].

(٣) مختار الصحاح للرازي (٣١٢) [المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٢/ ٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، وتاج العروس (١٨/ ١٧٨ ـ ١٨٠)، ولسان العرب (٧/ ٩٧).

أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أصِفُه وصفًا؛ إذا حلَّيتُه ونَعتُه. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية[1]. «والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف؛ كقول الصحابي في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]: أحبها؛ لأنها صفة الرحمٰن، وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام؛ كالعلم والقدرة»[2].

التعريف شرعًا:

نصوص الصفات: هي الأدلة الشرعية التي جاء فيها الإخبار عن ما قام بالذات الإلٰهية من صفات لا تنفك عنها، كالوجه واليدين والحياة والعلم والقدرة والحكمة والسمع والبصر. أو من صفات فعلية تتعلق بمشيئة الله تعالى؛ كالمجيء والنزول، والرضا والغضب، والفرح، والضحك، والاستواء، والخلق، ونحو ذلك. مع وجوب اعتقاد مفهوم تلك النصوص المتبادر إلى أذهان عامة الأمة[3].

الأسماء الأخرى:

أدلة الصفات، أخبار الصفات.

الحكم:

إن باب صفات الله تعالى يُعد عند أهل السُّنَّة والجماعة من الأبواب التوقيفية، فلا يحِلّ لأحد من المخلوقين أن يصف الله عزّ وجلّ بغير ما وصف به تعالى نفسه؛ بل يجب عليهم جميعًا: أن يؤمنوا بصفات الله تعالى التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها[4].

ويجب الإيمان بنصوص الصفات الواردة في القرآن والسُّنَّة الصحيحة وإثباتها على الوجه اللائق بالله تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل. كما يجب حفظ حرمة نصوص الصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها، وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة.

ويجب الإيمان بأن هذه النصوص

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١١٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٩/ ٣٥٦) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٨٤) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلمان (٤٢٩) [ط١٨، ١٤١٣هـ]، وأسماء الله وصفاته وموقف أهل السُّنَّة منها لابن عثيمين [دار الشريعة، ط١، ١٤٢٤هـ]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: حكاية المناظرة في القرآن لابن قدامة (٤٤).

معلومة المعنى مفهومة الدلالة، مع وجوب العمل بظواهر النصوص إلا بدليل يصرفه عن الظاهر؛ لأن هذه طريقة السلف، ولأنه أحوط وأبرأ للذمة، وأقوى في التعبد والانقياد[(١)].

الحقيقة:

نصوص الصفات: تُجرى على ظاهرها اللائق بكمال الله تعالى وجلاله، مع وجوب البعد عن تحريف ألفاظها ومعانيها ونفي حقائقها أو تمثيلها، ومن عرف هذه الحقيقة فقد فارق طائفتي الضلال من المعطلة والممثلة.

المنزلة:

نصوص الصفات: ذات منزلة عظيمة ورتبة شريفة؛ لدلالتها على صفات الله تعالى الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فقدر صفات الله عظيم، ومنزلتها رفيعة، أَخذت ذلك من عظمة الله ﷻ؛ لأنه المتصف بها سبحانه، المحيط بكل شيء، المتصف بالكمال المطلق في كل شيء. وكمال عبودية العبد لربه ترجع إلى مقتضى صفاته، فهو إنما تعرف على عباده بصفاته[(٢)].

الأدلة:

لقد اشتمل القرآن الكريم على نصوص كثيرة دالَّة على إثبات الصفات، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفة العليا[(٣)]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه]، وغير هذه الآيات كثير.

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟**»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[(٤)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أورد هذا الحديث: «**تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذي ينفي قول أهل التعطيل وقول أهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات**»[(٥)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٥، ٨٦)، وجامع العلوم والحكم (٤/ ٥٧)، والأصول من علم الأصول لابن عثيمين (٤٩، ٥٠) [دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٧١)، وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (١/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٢٤) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٣).

(٥) أمراض القلوب وشفاؤها (٦٢) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٩هـ].

رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ـ** وأشار بيده إلى عينه ـ **وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن؛ كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**»[(٢)]. وغيرها من الأحاديث.

أقوال أهل العلم:

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله عن نصوص الصفات: «إن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة، بل قد روي عنهم ما دلَّ على إبطاله»[(٣)].

وقال ابن قدامة رحمه الله: «وكل ما جاء في القرآن أو صحَّ عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمٰن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقَبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل»[(٤)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «اتفق السلف الصالح على إمرار هذه النصوص كما جاءت من غير زيادة ولا نقص، وما أشكل فهمه منها، وقصر العقل عن إدراكه وُكل إلى عالمه»[(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها. وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة. ولا يعني بالعامة الجهال، بل عامة الأمة»[(٦)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ظاهر النص:

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فهي باعتبار المعاني معلومة مفهومة، وباعتبار الكيفية التي عليها فغير معقولة، إذ تَعَقُّل الكيفية: فرع العلم بكيفية الذات وكنهها[(٧)].

ثم نقول: إن ظاهر النصوص هو ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٣) إبطال التأويلات (١/ ٧١) [دار إيلاف، الكويت].

(٤) لمعة الاعتقاد (٢٠). وانظر أيضًا: كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٤٦ ـ ٤٧) و(٦/ ٣٥٥) و(١٣/ ٢٩٦)، وكلام ابن رجب في فضل علم السلف على الخلف (١٣٩) [الدار السلفية].

(٥) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٣٤) [دار ابن الجوزي].

(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٨٤، ٨٥).

(٧) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٤، ٣٥) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين (٢/ ٨٤).

يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلًا يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى. **فمن الأول:** قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، **ومن الثاني:** قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]. وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني[(١)].

ثم نقول أيضًا: إنه يلزم من يقول في بعض الصفات: «الظاهر مراد أو ليس بمراد» أن يقول ذلك في سائر الصفات الأخرى؛ لأن جنسها واحد. **وبيان ذلك من وجهين:**

الأول: إن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السُّنَّة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا.

الثاني: إن كان يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادًا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادًا إلا بدليل يدل على النفي. وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدًا. وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاض لنا؛ كالوجه واليد، ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة. ثم إن من المعلوم أن الربَّ لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا؛ فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم

(١) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٦، ٣٧).

يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، ؛بل صفة الموصوف تناسبه. فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست مثل صفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال النبي ﷺ: «**ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**»[(١)]، فشبَّه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي[(٢)].

- **المسألة الثانية: تأويل النص:**

تأويل نصوص الصفات: هو صرف ألفاظها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه، وحقيقتها المفهومة منها إلى معنى يخالف الظاهر[(٣)] طريقة مخالفة لطريقة الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأئمة السلف الصالح الذين تلقوا أخبار الصفات وأجروها على ظاهرها دون تأويل ولا تحريف.

وكل من أول نصوص الصفات وصرفها عن ظاهرها فقد وقع في **أربعة محاذير:**

أحدها: أنه ما صرف النص عن ظاهره إلا بعد أن مثَّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه قد عطل النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطِّلًا لما يستحقه الرب تعالى.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات.

فيكون قد عطَّل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى، ومثَّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطَّل النصوص عما دلَّت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدًا في أسمائه وآياته[(٤)].

- **المسألة الثالثة: قطعية النص:**

إنّ نصوص الصّفات أقسام:

- فمنها نصوص القرآن: وهي قطعيّة في ثبوتها وقطعيّة في دلالتها.

- ومنها نصوص السُّنَّة: وهذه منها المتواتر المستفيض وهو مفيد للقطع في ثبوته ودلالته.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) التدمرية (٧٦ ـ ٧٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٦٠).

(٤) انظر: الرسالة التدمرية (٧٩ ـ ٨١)، وفتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٣٠، ٢٣١) [مكتبة الغرباء، ط١، ١٤١٦هـ].

- ومنها خبر الآحاد: الّذي اختلف أهل العلم في إفادته الظّن أو العلم، والصّحيح أنّه يفيد العلم والعمل إذا احتفّت به قرائن، كموافقته لصريح القرآن، أو تلقّته الأمّة بالقبول، أو قام عليه إجماع بلفظه أو معناه أو متضمّنًا له، ولا شكّ أنّ نصوص الأسماء والصّفات الّتي وصلت إلينا بالسّند المتّصل الصّحيح بطريق الآحاد هي من النّوع المفيد للعلم للقرائن العديدة الّتي احتفّت بها، ومن أهمّها تلقّي الأمّة لها بالقبول، وإجماع الصّحابة على تلقّيها بالقبول، وهذا طفحت به نصوص السّلف.

ولو فرض أنّها لم ترق لدرجة القطع فإنّ الشّرع عوّل على خبر الآحاد في العلميات والعمليات على حدٍّ سواء، ولا أدلّ على ذلك من إرساله ﷺ الآحاد من أصحابه بالتّوحيد ليبلّغوه للنّاس، وهذا أمر مشهور لا يحتاج إلى تدليل[1].

مذهب المخالفين:

انقسم المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة حيال مسألة نصوص الصفات إلى **مذهبين**:

المذهب الأول: من جعل المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلًا لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل محرم من **عدة أوجه**:

الأول: أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أن العقل دلَّ على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلًا. فإن قال المشبِّه: أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله.

فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادًا فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]. وكلامه تعالى كله حق، يصدق بعضه بعضًا ولا يتناقض.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٥١)، ومختصر الصواعق المرسلة (٤/١٤٠٠ وما بعدها).

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتًا لا تشبه الذوات؟ فسيقول: بلى. فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرَّق بينهما فقد تناقض.

ثالثها: أن يقال: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى. فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق.

المذهب الثاني: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلًا لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عامًّا في الأسماء والصفات، أم خاصًّا فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معانٍ عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابًا كثيرًا، وسموا ذلك تأويلًا وهو في الحقيقة تحريف. **ومذهبهم باطل من وجوه:**

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله ﷺ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله ﷻ.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم.

الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل:

أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلًا؛ لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله وصفاته وموقف أهل السُّنَّة منها»، لابن عثيمين.
٢ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.
٣ ـ «الصفات الإلٰهية»، لمحمد التميمي.

(١) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٧ ـ ٤١).

٤ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية»، لمحمد أمان الجامي.

٥ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٦ ـ «القواعد الكلية في الأسماء والصفات»، لإبراهيم البريكات.

٧ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشنقيطي.

النَّصِير

التعريف لغةً:

النَّصير: (فعيل) من صيغ المبالغة، بمعنى فاعل من النَّصر، مأخوذ من الأصل الثلاثي (ن ـ ص ـ ر) الدال على إتيان الخير وإيتائه، من قولهم: نصرت بلد كذا إذا أتيته، والفعل منه: نصَر ينْصُر نصْرًا فهو ناصر ونصير؛ إذا أعان غيره وأيّده، والنَّصر والنُّصْرة: العون والتأييد، ونصره منه: نجَّاه وخلَّصه فهو نصير، والنَّصير والناصر بمعنى واحد، وتناصروا: تعاونوا، والأنصار: الأعوان، والاستنصار: استمداد النصر والعون، يقال: استنصر الرجل بغيره، سأله النصر والعون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص: ١٨]، ونُصِر القوم: أُغيثوا، وانتصر منه: انتقم منه[(١)].

التعريف شرعًا:

هو الذي يتابع آلاءه على أوليائه، الموثوق منه بألا يسلمهم ولا يخذلهم، ويكف عنهم عادية أعدائه، فالنّصر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنّته، فالمنصور من نصره الله؛ إذ لا ناصر للعباد سواه، ولا حافظ لهم إلا هو[(٢)].

الأسماء الأخرى:

معنى هذا الاسم قريب من معنى: المولى والمغيث والمجيب، إلا أن النصر في الأغلب لا يكون إلا على الأكْفاء أو ما يكون فوق الأكْفاء، وفيما يحتاج فيه إلى الاستعداد والمناجزة بالمجاهدة والمرابطة والمصابرة، وأما

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٥٩، ١٦٠) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٣٠، ١٠٣١) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/ ٨٢٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٠٨، ٨٠٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٦٢١) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٢٥) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٥) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٩) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٤٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

الغياث والغوث فعند الشدائد[١].

الحقيقة:

النصير: مبالغة من الناصر، وهو الذي يتابع آلاءه على أوليائه، الموثوق منه بألا يسلمهم ولا يخذلهم، ويكف عنهم عادية أعدائه؛ فالنّصر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنّته، فالمنصور من نصره الله؛ إذ لا ناصر للعباد سواه، ولا حافظ لهم إلا هو، وهو سبحانه الذي يدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار[٢].

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

أقوال أهل العلم:

أورده البيهقي في الأسماء والصفات، كما ذكره في الأسماء الحسنى الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى[٣].

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣١٧، ٣١٨) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٥) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٩) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير السعدي (٣٢١)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٤٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين ضمن مجموع الفتاوى والرسائل له (٣/ ٢٧٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله بخير الناصرين:

ورد هذا الاسم في قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران]. وقد وردت الآية في سياق الحث على الاستعانة بالله والاعتماد عليه. قال ابن كثير: «ثم أمرهم بطاعته وموالاته، والاستعانة به، والتوكل عليه، فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾»[٤].

والخلاف في عدِّه من الأسماء الحسنى مبني على اختلاف أهل العلم في الأسماء المضافة، فذهب جمع من أهل العلم إلى عد الأسماء المضافة في أسماء الله الحسنى، منهم: ابن منده، وأبو القاسم الأصبهاني، وابن تيمية، قال ابن تيمية: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلِّب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»[٥].

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٧) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

ولا شك في أن (خير الناصرين) من هذا القبيل.

وقال أيضًا: «بل كل ما ثبت للرب تعالى من الأسماء والصفات يختص به مثل أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أرحم الراحمين، وأنه خير الناصرين»[(١)].

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسمائه: خير الناصرين: النصر والناصر بمعنى، ومعناه: ينصر المؤمنين على أعدائهم ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم ويلقي الرعب في قلوب عدوهم»[(٢)].

- المسألة الثانية: إطلاق اسم (الناصر) على الله:

عدَّ بعض أهل العلم (الناصر) من أسماء الله، ومن ذكر هذا الاسم قال: إن معناه هو نفس معنى اسم: النصير.

والصواب: عدم تسمية الله بهذا الاسم؛ لأنه لم يثبت بدليل صحيح صريح.

الفروق:

الفرق بين الناصر والنصير:

في حقيقة الأمر لا يوجد فرق في المعنى بين الناصر والنصير، إلا من جهة الصيغة اللفظية التي ورد بها هذان الاسمان، فالناصر اسم فاعل والنصير صيغة مبالغة منه، فمعنى النصير: هو نفس معنى الناصر مع المبالغة في ذاك المعنى، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

الآثار:

١ - إن الله ﷻ هو النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه ومن اتبعهم من المؤمنين، ولا ناصر سواه، ولا يكون النصر إلا منه، فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله.

قال القرطبي: «فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن النصر على الإطلاق إنما هو لله تعالى، كما قال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وأن الخذلان منه، ولكن لا يجوز أن يقال منه: خاذل؛ لأنه لم يرد به إذن... ثم يجب عليه إن كان له قوة ينصر بها ظالمًا أو مظلومًا فعل، قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**، قالوا: يا رسول الله: هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: **تأخذ فوق يديه**»[(٣)]»[(٤)].

٢ - «إن المؤمنين ما لم يجاهدوا

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٠٨) [مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٥) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤٤).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣١٩، ٣٢٠).

أنفسهم على تحقيق الإيمان، والإتيان بمقومات النصر على الأعداء لا يتحقق لهم نصر؛ بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم وتقصيرهم، فيحتاج العباد للانتصار على العدو الظاهر أن يجاهدوا العدو الباطن من النفس الأمارة بالسوء والشيطان، فما لم ينتصروا على هذا العدو فلا نصر لهم»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٤ ـ «كتاب التوحيد»، لابن منده.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.

٦ ـ «بيان تلبيس الجهمي»، لابن تيمية.

٧ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

(١) فقه الأسماء الحسنى (٢٤٣، ٢٤٤). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٤٥٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، والفوائد لابن القيم (٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢، ١٨٣) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ].

النفاق

التعريف لغةً:

النفاق: هو إخفاء الشيء وإغماضه، وهو مأخوذ من النّافِقاء: موضع يُرقِّقهُ اليَربُوعُ من جُحرِهِ، فإذا أُتِيَ مِن قِبَلِ القاصِعاءِ ضربَ النّافِقاءَ برأسهِ فانتفقَ؛ أَي: خرج. فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، ومنه اشتقاق النِّفَاق، فالمنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر؛ لأنَّه يكتم خلاف ما يُظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء[(٢)]. ولفظ (النفاق) لم تكن العرب تعرفه بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفًا[(٣)].

التعريف شرعًا:

النفاق: هو إظهار ما يوافق الحق، وإبطان ما يخالفه؛ فمن أظهر أمام الناس ما يدل على الحق، وكان حقيقة أمره أنه على باطل من الاعتقاد، أو الفعل، فهو

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٤، ٤٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]. وانظر: القاموس المحيط (٩٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٩٨) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١٠/ ٣٥٨، ٣٥٩) [دار صادر، ط٣]، والإيمان لابن تيميَّة (٢٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٥٨، ٣٥٩)، والإيمان لابن تيميَّة (٢٣٥).

المنافق، واعتقاده، أو فعله هو النفاق[١].

وقيل: هو اختلاف السر والعلانية في العقائد والواجبات[٢].

وقيل: هو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد[٣].

الأسماء الأخرى:

الزندقة[٤].

الحكم:

النّفاق: إن كان عقديًّا فهو كفر صُراح، بل هو أشدّ منه، ولذلك جُعلت للمنافقين درجة في جهنّم لا يصلاها سواهم لعظم ضررهم، وشدّة خطرهم، أمّا إذا كان النّفاق عمليًّا فهذا من الكبائر، ومن مات عليه فلا يخلد صاحبه في النار.

لذا يجب على المكلف الحذر من الوقوع في النفاق، والبعد عن أسبابه المفضية إليه، واتخاذ الطرق الوقائية اللازمة منه، ومعرفة صفات أهله للبعد عنها، وتحذير الناس منها[٥].

الحقيقة:

النفاق: يحصل بمخالفة السرِّ للعلانية، والظاهر للباطن، مع ملازمة الوصف بالكذب، فمتى كان القول باللسان أو الفعل خلاف ما في القلب من القول والاعتقاد، حصل النفاق.

ويقوم النفاق على الكذب والرياء، ويكون ذلك بسبب ضعف البصيرة والعزيمة، فإذا تمت هذه الأمور استحكم النفاق. والمنافق يسعى إلى طلب العز والجاه بين أهل الإيمان وأهل الكفر، فيرضي هؤلاء ويعزهم ويرضي هؤلاء أيضًا ويعزهم. ومن هاهنا دخل عليه البلاءُ، فإنه أراد العزتين من الطائفتين، ولم يكن له غرض في الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله، بل كان ميله ووجهته إلى الكفار، فقوبل على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقره في أسفل السافلين تحت الكفار[٦].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ

---

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (١٩٠) [دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٠).

(٣) انظر: عارضة الأحوذي (١٠/ ٩٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين لابن القيم (٤٠٤) [دار السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ].

(٥) انظر: معارج القبول (٣/ ١٠١٩، ١٠٢٠) [دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٦٥) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين (٤٠٤).

ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة]، ولهذا جعلهم الله تعالى شرًّا من الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء]. والنفاق الذي جاء ذكره في القرآن إنما المراد به النفاق الأكبر الاعتقادي المنافي للإيمان.

أما النفاق الأصغر، فقد ورد ذكره في السُّنَّة، فمن ذلك: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا ـ أو: كانت فيه خصلة من أربعة، كانت فيه خصلة من النفاق ـ حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(١)].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(٢)]. وعنه رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

سأل رجل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما النفاق؟ قال: «أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به»[(٤)].

وقال الحسن البصري: «من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج»[(٥)].

وقال أبو جعفر الطبري: «معنى النفاق إنما هو إظهار المرء بلسانه قولًا ما هو مستبطن خلافه، فكذلك نفاق المنافق،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٥٩)، ومسلم (كتاب الإيمان رقم ٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٠).

(٤) أخرجه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (١١٠) [دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ]، وأبو نعيم في صفة النفاق ونعت المنافقين (١٤٧) [دار البشائر الإسلامية، ط١].

(٥) أخرجه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (٩٠)، والخلال في السُّنَّة (٥/ ٧٢) [دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٩١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٨هـ].

هو اتخاذه ما يظهر من القول بلسانه بالإيمان؛ خداعًا للمؤمنين بذلك، وهو مستبطن بقلبه غير الذي يظهره لهم بلسانه»[(١)].

وقال ابن تيمية: «وأساس النفاق الذي بني عليه أن المنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون]. وأمثال هذا كثير»[(٢)].

الأقسام:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

ـ **النفاق الأكبر**، ويسمى بـ(النفاق الاعتقادي):

بأن يخفي تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًّا لله ورسوله. وهذا يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، وهو المعنى المتبادر عند إطلاق لفظ النفاق دون تقييد.

(١) تهذيب الآثار (٢/٦٤٣) [مطبعة المدني، القاهرة].
(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦٢٠).

ـ **النفاق الأصغر**، ويسمى بـ(النفاق العملي): وهو التخلق ببعض أخلاق المنافقين الظاهرة ويكون في الأعمال ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن، أو يفجر إذا خاصم، ويتكاسل عن الصلاة[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ حكم قبول توبة الزنديق:

اختلف العلماء في قبول حكم توبة الزنديق، وهذا الخلاف يتوجه إلى ما يتعلق بالأحكام الدنيوية الظاهرة من القتل أو عدمه، وثبوت أحكام الإسلام في حقه، ونحو ذلك من الأحكام.

أما ما يتعلق بأمور الآخرة، وقبول الله تعالى لتوبة الزنديق في الباطن، فذلك راجع إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا تاب الزنديق توبةً صادقةً من قلبه، فإن الله عز وجل يقبل توبته، وينفعه ذلك في الآخرة، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء[(٤)].

وقد تعددت أقوال العلماء في حكم قبول توبة الزنديق ما بين القبول والردّ،

(٣) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (١/٧٦) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٤٣٤، ٤٣٥)، ومدارج السالكين (١/٣٥٤ ـ ٣٦٧)، وتفسير ابن كثير (١/١٧٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وجامع العلوم والحكم (٢/٤٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ].
(٤) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/٢٧١).

والتفصيل بين من تاب قبل القدرة عليه ومن تاب بعد ذلك، وبين الداعية وغير الداعية، وغير ذلك من الأقوال الكثيرة[(١)].

وفيما يلي أهم الأقوال في هذه المسألة وذلك كما يلي:

القول الأول: القول بقبول توبة الزنديق مطلقًا، وإجرائه مجرى المرتد عن دين الإسلام الذي لا يقتل إلا بعد استتابته، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى جمهور العلماء[(٢)].

وقد رجح هذا القول جمع من المحققين منهم: ابن المنذر، والنووي، وابن حجر، والشنقيطي، وغيرهم.

القول الثاني: القول بعدم قبول توبة الزنديق مطلقًا، بل يقتل بكل حال، وقالوا: إن الزنديق لا يطلع على صلاحه؛ لأن الفساد إنما أتى مما أسره، وذلك أن نفاقه الباطل دليل على أن توبته لا تعرف، فقد يظهر التوبة والندم، غير أنه لا يتحقق منه الصدق في ذلك؛ لعدم الاطلاع على صلاحه. وهذا القول هو المشهور عن الإمام مالك وأصحابه.

القول الثالث: القول بالتفصيل فيفرق بين من تاب قبل القدرة عليه، ومن أظهر ذلك بعد القدرة عليه، وهذا القول هو إحدى الروايات في مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، وقد رجح هذا القول وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[(٣)].

والحاصل: أن هذا القول هو الذي تؤيده الأدلة، وتجتمع عليه النصوص، فيعمل بها جميعًا من غير إسقاط لشيء منها[(٤)].

الفروق:

- الفرق بين الكفر والنفاق[(٥)]:

١ - الكفر جحد وإنكار بالظاهر والباطن، وأما النفاق فإنكار وجحد بالباطن دون الظاهر، فيكون الكفر أعم من النفاق من جهة كونه يحصل بالظاهر والباطن، والنفاق أخص من جهة أنه لا يكون إلا بالباطن.

٢ - الكفر هو أصل النفاق، والنفاق طارئ، فهو إنما ظهر في المدينة النبوية بعد أن كان للإسلام دولة ومنعة وبلاد.

٣ - النفاق أخطر من الكفر؛ لأن الكفر أمر ظاهر يمكن إدراكه، وأما النفاق فهو أمر خفي دقيق لا يعرف بيسر

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب (٦٣).
(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (٦٣)، والرد على الجهمية (١٨٥).
(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ١٤٢).
(٤) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ١٤٤، ١٤٥).
(٥) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (١٩٢، ١٩٤).

وسهولة، ولهذا فإن المنافق أخطر من الكافر على كيان الأمة ودينها.

ـ الفرق بين النفاق والزندقة[(١)]:

١ ـ النفاق: لفظ جاء وروده في الشرع، أما لفظ الزندقة فظهر لما كثرت الأعاجم في المسلمين فتكلموا به، وشاع بعد ذلك في لسان الفقهاء.

٢ ـ النفاق هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. أما الزندقة فهي التعطيل والجحود للصانع والمعاد والأعمال الصالحة، أو هي وصف من لا دين له.

٣ ـ الزنديق يُظهر كفرَه ويدعو له ويُعرف ذلك عنه، أما المنافق فإنه يبطن كفره ولا يظهره، ولا يدعو له.

٤ ـ الزندقة أعم من النفاق، فكل زندقة نفاق وليس العكس[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإيمان»، لابن تيمية.

٢ ـ «حقيقة النفاق وأنواعه في ضوء الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة»، لعلي رمضان أبو العز.

٣ ـ «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، لعادل بن علي الشدي.

٤ ـ «الفسق والنفاق»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

٥ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

٦ ـ «المنافقون في القرآن الكريم»، لعبد العزيز الحميدي.

٧ ـ «النفاق آثاره ومفاهيمه»، لعبد الرحمٰن الدوسري.

٨ ـ «النفاق وأثره في حياة الأمة»، لأحمد جمعة سلّام.

٩ ـ «النفاق وخطره على العقيدة»، لعبد العزيز الشهوان.

١٠ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

النَّفْخ في الصُّور

التعريف لغةً:

النفخ: نفخ الريح في الشيء، ونفخ بفمه نفخًا: أخرج منه الريح، ويقال: نفخ في البوق أو اليراع أو نحوهما؛ بعث فيه الريح بقوة من فمه؛ ليحدث صوتًا، وفي التنزيل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الحاقة: ١٣]، وفيه: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩][(٣)].

الصُّور: هو القَرْن، قاله الجوهري[(٤)]،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧١).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٧١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٨) [دار الدعوة]، ولسان العرب (٣/ ٦٢) [دار صادر، ط١]، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٤٤٤) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) الصحاح (٣/ ٢٧٩) [دار العلم للملايين، ط٤].

وهو قول جمع من أهل التفسير[١]، وهو الناقور أيضًا[٢]، وقيل: الصور هو البوق بلغة أهل اليمن[٣]، ينفخ فيه النافخ للتجمع والنفير، وهو مما ينادى به للحرب، وعند الأسفار، وينادى به للصلاة عند اليهود[٤].

التعريف شرعًا:

النفخ في الصور: أوكل الله تعالى بالنفخ في القرن ملكًا قد التقمه؛ لينفخ فيه نفختي الصعق والبعث وعلى إثرها تقوم الساعة[٥].

قال حافظ الحكمي وهو يذكِّر في الإيمان باليوم الآخر: «كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه، الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكَّل الله تعالى به إسرافيل، وقد ذكر الله ﷻ النفخ فيه في مواضع من كتابه»[٦].

الأسماء الأخرى:

الراجفة، الرادفة.

وتسمى النفخة الأولى بالصعقة؛ «لأنها تترتب عليها»[٧].

الحكم:

الإيمان بالنفخ في الصور واجب، وهو أحد مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر، كما وردت بذلك النصوص الشرعية[٨].

الحقيقة:

أفادت النصوص أن النفخ في الصور يقع مرتين، **الأولى**: للإفناء، وبها يهلك كل شيء إلا ما شاء الله، وتسمى الراجفة والصيحة، **والثانية**: للإنشاء، وبها يبعث كل شيء، وتسمى الرادفة، والبعثة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النازعات].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٠) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٧) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وزاد المسير (٣/ ٦٨) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ]، ومعالم التنزيل (٣/ ١٥٧) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، وروح المعاني (٧/ ١٩١) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٤١)، وتفسير الطبري (١٢/ ٣٠٤) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٦٨).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٣٨٣) و(١٥/ ٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، والتحرير والتنوير (٩/ ٤٠٩).

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ٥٦٣). وراجع: تهذيب اللغة (٧/ ١٨٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٦) انظر: معارج القبول للحكمي (٢/ ٧٩٩)، أعلام السُّنَّة المنشورة (١٢٩).

(٧) مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٧١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥م].

(٨) انظر: معارج القبول للحكمي (٢/ ٧٩٩)، أعلام السُّنَّة المنشورة (١٢٩).

الأدلة:

من الأدلة على النفخ: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل].

ومنه حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعني وقد بليت ـ قال: «**إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم**»[1].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية»[2].

وقال الحسن: «هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى»[3].

وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة فتحيي كل شيء بإذن الله»[4].

وقال البغوي مفسرًا الراجفة: «النفخة الأولى، يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلائق، ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ وهي النفخة الثانية، ردفت الأولى»[5].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الصور:

ويسمى الصور أيضًا بالقرن والناقور والبوق، وتسمية الصور بالقرن وردت في كلام النبي ﷺ[6]، وبالناقور في كلام ابن عباس رضي الله عنهما[7].

ومن أدلة إثباته قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف]، وقوله

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٥).

(٤) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٤٠٦).

(٥) معالم التنزيل (٨/ ٣٢٦).

(٦) كما سيأتي قريبًا.

(٧) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في التفسير (٢٣/ ١٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ فقال: **قرن ينفخ فيه**»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق**»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر؟**» قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول: قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**»، وفي رواية: «**كيف أنعم، وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر**»[3].

ـ **المسألة الثانية: عدد النفخات:**

اختلف العلماء في عدد النفخات، فمن قائل النفخة هي الصعقة والاختلاف بينهما اختلاف في الأوصاف، وهذا مذهب من يقول بنفختين، وفي تفسير النفخة الواردة في الحديث الآنف: «قال الطيبي وتبعه ابن حجر المكي؛ أي: النفخة الأولى؛ فإنها مبدأ قيام الساعة ومقدم النشأة الثانية، ولا منع من الجمع «وفيه الصعقة»؛ أي: الصيحة وهي النفخة الأولى، فالتكرار باعتبار تغاير الوصفين»[4].

ومن قائل: النفخة تختلف عن الصعقة، فـ«المراد بالنفخة الثانية، وبالصعقة النفخة الأولى، وهذا أولى لما فيه من التغاير الحقيقي»[5].

ومن قائل: «وفيه النفخة؛ أي: وفي يوم الجمعة نفخة الصور، وهي النفخة الأولى، والنفخة الثانية وهي نفخة الصعقة، وهي الموت؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، والنفخة

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (١١/ ٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠)، وأحمد (١١/ ١١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (١٧/ ٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) عون المعبود (٣/ ٢٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وانظر: مرقاة المفاتيح (٥/ ٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٥) مرقاة المفاتيح (٥/ ٣٠). وانظر: فيض القدير (٢/ ٥٣٥) [المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ].

الثالثة: نفخة البعث والحشر»[١].

وهذا يقرب أن يكون مذهب من يقول بثلاث نفخات، **الأولى**: للفزع، **والثانية**: للصعق، **والثالثة**: للبعث، وهو مذهب ابن العربي[٢]، وابن تيمية[٣]، وابن كثير[٤]، والسفاريني[٥]، والشوكاني[٦]، وغيرهم. مستدلين لذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل]، معتبرين نفخة الفزع مغايرة لنفخة الصعق الواردة في سورة الزمر، ومستدلين أيضًا بحديث الصور الطويل يرفعه أبو هريرة، وفيه: «**فينفخ فيه ثلاث نفخات، النفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث والقيام لرب العالمين**»[٧].

وفي التعقيب على هذا القول قال القرطبي: «الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى الصعقة؛ لأن الأمرين لازمان لهما؛ أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه»[٨]؛ «ولأن الله تعالى قد استثنى في نفخة الصعق كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة»[٩].

وأما بالنسبة للحديث فلا يصح؛ لضعف إسناده واضطرابه[١٠].

والذي يترجح من كل ما تقدم أن النفخة هي النفخة الأولى في الصور وهي الصعقة ذاتها؛ لأن الصعق مترتب عليها وامتداد لها؛ ولأن النفخ في الصور إنما يقع مرتين على الصحيح، النفخة الأولى للإفناء، والثانية للإنشاء، وبذا يجمع بين الأدلة ويزول الإشكال.

ويؤيد ما تقدم:

قول ابن عباس رضي الله عنهما: «الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية»[١١]، وقول الحسن: «هما

---

(١) شرح سنن أبي داود (٤/٤٦٦) [مكتبة الرشد، ط١].
(٢) انظر: التذكرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٣/٣٧٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٢٠/٣١) و(٢٤/٢٩) [دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٦٠) (١٦/٣٢) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧٨) [دار الفكر].
(٥) انظر: لوامع الأنوار (٢/١٦١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].
(٦) انظر: فتح القدير (٤/١٥٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].
(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٣٩) [مكتبة آل ياسر]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٨٣) [مكتبة الدار، ط١]، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/١٩) و(١١/٢٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، وغيرهم، وأورده بطوله ابن كثير في النهاية (١٣٦ ـ ١٤١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨]. ومداره على إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف أو متروك، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك، وأن في بعض سياقه نكارة، وحكم الألباني بنكارته في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٢٢٤).
(٨) تفسير القرطبي (١٣/٢٤٠) [دار إحياء التراث].
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) انظر: فتح الباري (١١/٣٧٧) [دار الفكر].
(١١) تقدم تخريجه.

النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى»[(١)].

وفي الحديث قال ﷺ: «**ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله** ـ أو: **ينزل الله** ـ **قطرًا كأنه الطل أو الظل**» ـ نعمان الشاكُّ ـ «**فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**»[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعني: وقد بليت ـ قال: «**إن الله** ﷻ **حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم**»[(٣)].

وهذه النصوص تبطل قول من قال بأن النفخات ثلاث، ولا حجة لهم صحيحة فيما استدلوا به[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: مدة ما بين النفختين:

قد جاءت النصوص بتحديد الفترة الزمنية بين النفختين بأربعين، ولا ندري أهي أربعون يومًا؟ أم أربعون شهرًا؟ أم أربعون سنة؟

قال ﷺ: «**بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، «**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يُركَّب الخلق**»[(٥)].

ـ المسألة الرابعة: ما يترتب على النفختين[(٦)]**:**

من الآثار المترتبة على النفخة الأولى ما يأتي:

١ ـ أن النفخة الأولى هي بداية الساعة.

فينفخ في الصور وتقوم الساعة كما قال عبد الله بن عمرو قال: «لينفخن في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةً

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٠)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٧٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٢٠/ ٣١)، (٢٤/ ٢٩) [دار إحياء التراث، ط٤]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠) و(١٦/ ٣٢) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٨)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٦١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، وفتح القدير (٤/ ١٥٣) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

(٦) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ٦١٣ ـ ٦١٧).

وَٰحِدَةً تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس]»[1]، قال الألوسي: «هي النفخة الأولى في الصور التي يموت بها أهل الأرض تأخذهم وهم يتخاصمون ويتنازعون في معاملاتهم ومتاجرهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها، فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم إذ كانوا فيما بين أهليهم»[2].

٢ ـ أن النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون كله علويه وسفليه، لقوله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: «**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت**» وأحسبه أنه قال: «**سورة هود**»[3].

٣ ـ أن الله يقبض الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: «**أنا الملك أين ملوك الأرض**».

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]، وقال ﷺ: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»[4].

وهذا ـ والله تعالى أعلم ـ بعد النفخة الأولى وهلاك الخلق؛ «لأن المقصود إظهاره انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم، وهذا أظهر، وهو مقتضى قوله الحق: أنا الملك أين ملوك الأرض»[5].

٤ ـ فناء من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم. ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه. وقد ثبت في «الصحيح» أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٥٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) روح المعاني (١٣/٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٣٣)، وأحمد (٨/٤٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٧١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

(٥) التذكرة (١٩٤).

قال: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذًا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله**»[(١)]، وهذه الصعقة قد قيل: إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القرآن. وبكل حال: النبي ﷺ قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، والله أعلم»[(٢)].

ـ ومن الآثار المترتبة على النفخة الثانية ما يأتي:

١ ـ قيام الناس من القبور.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس]، وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات]، قال ابن كثير: «أي: فإنما هو أمر من الله تعالى لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون»[(٣)].

وقد مرَّ حديث عبد الله بن عمرو المرفوع، وفيه: «**ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**».

٢ ـ بهذه النفخة وبعد البعث تتابع أحوال القيامة.

بداية من ساعة الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؛ لقوله ﷺ: «**ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**» قال: «**ثم يقال: يا أيها الناس هلمّوا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون**»، قال: «**ثم يقال: أخرجوا بعث النار**» قال: «**فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، فيومئذ يبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق**»[(٤)].

ـ المسألة الخامسة: صاحب القرن:

هو المَلَك الذي ينفخ في الصور، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٦١). وانظر للتوسع: التذكرة للقرطبي (١٨٨ ـ ١٩٢)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٥١٢، ٥١٣)، و(١١/٣٧٨)، وتفسير القرطبي (١٥/٢٨٠ ـ ٢٨١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٦١)، و(١٦/٣٦)، ومعالم التنزيل (٦/١٨١، ١٨٢)، وروح المعاني (٢٠/٣٣، ٣٤)، وفتح القدير (٤/٤٧٥)، وتفسير الطبري (١١/٢٧ ـ ٢٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٦٥)، وزاد المسير (٦/١٩٥)، والنهاية في الفتن والملاحم (١/١٤٦) [دار الفكر]، ولوامع الأنوار (٢/٣٧، ٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨).

(٤) تتمة حديث عبد الله بن عمرو المتقدم تخريجه.

النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر**. قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: **قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»[(١)].

فيجب الإيمان بصاحب القرن عليه السلام كما ورد به النص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

ولم يثبت في تسميته شيء، وما ذكر في أن اسمه إسرافيل عليه السلام، لا تقوم به الحجة، ولم يثبت فيه حديث صحيح يعول عليه[(٢)]، والله أعلم.

ـ المسألة السادسة: النفخة الأولى:

تسمى: الراجفة، من رَجَفَ الشيءُ يَرجُفُ رَجْفًا وَرَجَفانًا؛ إذا تحرك واضطرب اضطرابًا شديدًا[(٣)]، كرَجَفانِ البعير تحت الرحل، وكما تَرجُفُ الشجرةُ إذا رَجَفَتْها الرِّيحُ، والرجْفةُ: الزَّلْزَلَةُ، ورجَفَتِ الأرض تَرْجُفُ رجْفًا اضطَربت، والرَّجْفةُ في القرآن كلُّ عذاب أَخَذَ قومًا فهي رجْفَةٌ وصَيْحةٌ وصاعِقةٌ[(٤)].

والمراد بها شرعًا: النفخة الأولى التي ينفخها الملك في الصور، فيصعق بها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وعلى إثرها تقوم الساعة.

وسميت بذلك؛ لأنه يتزلزل ويتحرك كل شيء، ثم منها يموت جميع الخلائق.

وتسمى: النفخة، والصعقة، والصيحة[(٥)].

والإيمان بها واجب، فلا بد من الاعتقاد الجازم بحصولها، والتصديق بما دلَّت عليه النصوص بشأنها. فهي إحدى مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر.

ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات]، وقوله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**»[(٦)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/٣٧٦).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١/٣١)، وجمهرة اللغة لابن دريد (١/٢٨٨)، والمعجم الوسيط (١/٣٣٢).

(٤) لسان العرب (١٩/١١٢).

(٥) وانظر: نظم الدرر (٨/٣١٠) [دار الكتب العلمية، ط١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٥٧) وحسَّنه، وأحمد (٣٥/١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٥٢) واللفظ له، وحسنه =

قال الحسن عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات]: «هما النفختان، فأما الأولى: فتميت الأحياء، وأما الثانية: فتحيي الموتى، ثم تلا: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر]»[(١)].

ـ المسألة السابعة: النفخة الثانية:

هي: الرادفة، من الرِّدْفُ، وهو ما تبِع الشيء، وكل شيء تبع شيئًا فهو رِدْفُه، يقال: كان نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه، قال تعالى: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات]، ويقال: جاء القوم رُدَافَى؛ أي: بعضهم يتبع بعضًا[(٢)].

وهي شرعًا: نفخة الصور الثانية، التي ينفخها الملك في الصور فتبعث على إثرها الخلائق.

وسميت بذلك؛ «لأنها ردفت النفخة الأولى، كذا قال جمهور المفسرين»[(٣)].

والإيمان بالرادفة واجب، إذ هي أحد مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر، وقد ورد النص عليها.

ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات]، وقوله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**»[(٤)].

قال ابن عباس: «الرادفة: النفخة الثانية»[(٥)]، وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى: فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة: فتحيي كل شيء بإذن الله»[(٦)]. وهو قول جمع من الصحابة والتابعين.

مذهب المخالفين:

ذهب بعض المخالفين لأهل السُّنَّة إلى أن الصور قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلائق سعته أعظم ما بين السماء والأرض.

ولا شكَّ أن هذا ليس عليه دليل من الكتاب والسُّنَّة، وحكايته تغني عن الكلام في إبطاله[(٧)].

= الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٤).

(١) بحر العلوم (٣/ ٥٢٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٦٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥/ ٥٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٩/ ١١٤) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) فتح القدير (٥/ ٥٢٦) [دار الفكر، ط١٤٠٣هـ].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه البخاري معلقًا (كتاب التفسير، رقم ١٨٨١)، ووصله الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٤٠٦) [دار الفكر، ١٤١٤هـ].

(٧) انظر: نظم الدرر (٨/ ٢٩٩)، وبستان الواعظين =

ومن المخالفين من أنكر أن يكون الصور قرنًا[1]؛ زاعمًا أن الصور جمع صورة، كما أن الصوف جمع الصوفة، والثوم جمع الثومة، وهو أيضًا قول باطل ليس عليه أثارة من علم الكتاب والسُّنَّة[2].

ولا يصح الاعتماد على قراءة من قرأ (ونفخ في الصُّوَر) بفتح الواو[3]؛ لمخالفته ظاهر القرآن؛ إذ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر]، ومخالفته ظاهر النصوص الحديثية المتقدمة.

وقد شذَّ من قال بهذا القول وقرأ بفتح الواو في الآية السابقة عن مذهب جمهور أهل السُّنَّة، وأهل التفسير، وأهل اللغة[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام السُّنَّة المنشورة»، لحافظ الحكمي.

٢ ـ «البعث والنشور»، للبيهقي.

٣ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

٤ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج١)، للسفاريني.

٥ ـ «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.

٦ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ١٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

٩ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

١٠ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١١ ـ «البعث»، لأبي داود السجستاني.

= ورياض السامعين (٣٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٩هـ]، وتفسير ابن عطية (٥/ ٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، والتذكرة للقرطبي (٢٢٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٠)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٧)، وزاد المسير (٣/ ٦٨، ٦٩)، وتفسير الرازي (١٣/ ٣٠)، ولسان العرب (٤/ ٤٧٥).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٦٩)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٩٧) [دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ]، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٦١).

(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٠)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٧)، وزاد المسير (٣/ ٦٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٥٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٤/ ٤٧٥).

النفخة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

النَّفْس (صفة لله تعالى)

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه. منه التنفس: خروج النسيم من الجوف، والنفس: الدم، وهو صحيح؛ وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فقد نفسه، ويقال للماء: نفس، وهذا على تسميته الشيء باسم غيره، ولأن قوام النفس به، والنفس قوامها بالنفس. تنفست القوس: انشقت. وشيء نفيس؛ أي: ذو نفس وخطر يتنافس به»[(١)].

فالنفس هي الذات والعين، وهذا من تسمية الشيء بغيره؛ لأن بقاء تلك العين والذات يكون بالنفس.

وقال الجوهري: «نَفْسُ الشيء: عينه، يؤكد به، يقال: رأيت فلانًا نفسه، وجاءني بنفسه»[(٢)]. وجاء في المعجم الوسيط: «النفس: ذات الشيء وعينه، يقال: جاء هو نفسه أو بنفسه»[(٣)].

(١) الصحاح (٣/ ٩٨٤) [دار العلم للملايين، ط٤].
(٢) المرجع السابق.
(٣) المعجم الوسيط (٩٤٠) [دار الدعوة، ١٤١٠هـ].

التعريف شرعًا:

نفْس الله تعالى هي ذاته سبحانه، وهي ثابتة لله جل وعلا كما يليق بجلاله وعظمته[(٤)].

الحكم:

يجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

ورد في النصوص إضافة النفس إلى الله تعالى، والمراد بالنفس في هذه النصوص: هي ذات الله عز وجل، وليست صفة من صفات الباري جل وعلا.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله** عز وجل: **أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه،**

(٤) انظر: صفات الله الواردة للسقاف (٣٤٩) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ].

وإن اقترب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(١).

وعن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**». قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»**(٢).

أقوال أهل العلم:

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «فقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله يخفي ذكر العبد في نفسه إذا أخفى ذكره، ويعلن ذكره إذا هو أعلن ذكره، ففرق بين علم الظاهر والباطن والجهر والخفاء، فإذا اجتمع قول الله وقول الرسولين عيسى ومحمد ـ صلى الله عليهما وسلم ـ فمن يكترث لقول جهم والمريسي وأصحابهما. فنفس الله هو الله، والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء»(٣).

وقال ابن تيمية: «غير الله لا يعلم ما في نفس الله من العلم ـ ونفسه هي ذاته المقدسة ـ إلا أن يعلمه الله بذلك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة]»(٤).

وقال أيضًا: «ويراد بنَفْس الشيء ذاته وعينه؛ كما يقال: رأيت زيدًا نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفي الحديث الصحيح أنه قال لأم المؤمنين: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته**»، وفي الحديث الصحيح الإلٰهي عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ**

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٦).

(٣) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (٥٤٦، ٥٤٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/١٩٦، ١٩٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

خير منهم»؛ فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النَّفْس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»(١).

وقد سئل الشيخ ابن باز السؤال الآتي: «هل صفة (النفس) لله صفة ذات؟» فكان الجواب: «نعم، قال الله سبحانه عن عيسى عليه السلام إنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] (نفسه)؛ يعني: ذاته»(٢).

المسائل المتعلقة:

- خطأ من يقول: إن النفس صفة من صفات الله تعالى:

إن من قال من السلف بإثبات النفس على أنها صفة زائدة على الذات إنما قالوه ردًّا على الجهمية المنكرين لها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المراد بالنفس هو الذات، وهذا هو الصواب، فإن طائفة من متأخري أهل الإثبات جعلوا النفس في هذه النصوص صفة لله زائدة على ذاته، لما سمعوا إدخال المتقدمين لها في ذكر الصفات، ولم يكن مقصود المتقدمين ذلك، وإنما قصدهم الرد على من ينكر ذلك من الجهمية، وزعموا أن ذلك هو ظاهر النصوص، وليس الأمر كذلك، وقد صرح أئمة السُّنَّة بأن المراد بالنفس هو الذات، وكلامهم كله على ذلك»(٣).

وقال أيضًا بعد أن ذكر نصوصًا من الكتاب والسُّنَّة ورد فيها ذكر النفس مضافة إلى الله عز وجل: «فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النَّفْس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج٦)، لابن بطة العكبري.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦ و٨)، لابن تيمية.

٣ - «السُّنَّة» (ج٦)، للخلال.

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٨/ ٣٩٥) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٢٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣). وانظر للتفصيل: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٥٨ - ٤٨٥).

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج١)، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٦ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ ـ «معارج القبول» (ج١ و٣)، لحافظ الحكمي.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٩ و١٤)، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج٢٨)، لابن باز.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

النفْس

يراجع مصطلح (الروح).

النفْس الأمارة بالسوء

يراجع مصطلح (الروح).

النفْس اللوامة

يراجع مصطلح (الروح).

النفْس المطمئنة

يراجع مصطلح (الروح).

النفَس

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «النَّفَس: كل شيء يُفَرَّجُ به عن مكروب، وفي الحديث: «**لا تسبوا الريح؛ فإنها من نَفَس الرحمٰن**»؛ يعني: أنها رَوْح يُنَفَّس به عن المكروبين، وجاء في ذكر الأنصار: «**أجد نفَس ربكم من قبل اليمن**»؛ يراد أن بالأنصار نُفِّسَ عن الذين كانوا يُؤذَون من المؤمنين بمكة»[(١)].

التعريف شرعًا:

النَّفَس: فعل من أفعال الله تعالى، والله عز وجل ينفِّس عمن يشاء بما يشاء سبحانه وتعالى[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بتنفيس الله عز وجل لدلالة الأحاديث النبوية على ذلك، ويجب إثباته لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٧٤) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٣٩٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين (٥١) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط٣، ١٤٠٩هـ].

وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

النَّفَس: بمعنى: التنفيس، وحقيقته التفريج عن المكروب، وإزالة الشدة والكرب والهم والغم[(١)].

الأدلة:

عن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال ـ وهو مُوَلٍّ ظهره إلى اليمن ـ: «**إني أجدُ نَفَسَ الرحمٰن من هنا**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ألا إنَّ الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نَفَسَ ربكم من قِبَل اليمن**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّرَ على معسر يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «ونحن نقول: إنه لم يرد بالنفس ما ذهبوا إليه، وإنما أراد أن الريح من فرج الرحمٰن عز وجل وروحه، يقال: اللَّهُمَّ نَفِّسْ عني الأذى، وقد فرَّج الله عن نبيِّه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، وكذلك قوله: «**إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن**». وهذا من الكناية؛ لأن معنى هذا أنه قال: كنت في شدة وكرب

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٠٧، ٣٠٨) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ]، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٥١).

(٢) أخرجه البزار (٩/ ١٥٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في الكبير (٧/ ٦٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٩١) [مكتبة السوادي، ط١] وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٢/ ١٠٩٩، رقم ٣٣٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٦/ ٥٧٦، ٥٧٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٤٩، ١٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٦) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة»، لكن تعقبه الألباني، وحكم بنكارة هذه الزيادة في السلسلة الضعيفة (٣/ ٢١٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٩).

وغم من أهل مكة ففرج الله عني بالأنصار؛ يعني: أنه يجد الفرج من قبل الأنصار وهم من اليمن، فالريح من فرج الله تعالى ورَوْحِه، كما كان الأنصار من فرج الله تعالى»[١].

وقال ابن تيمية: «قوله ﷺ: «**من اليمن**» يبيِّن مقصود الحديث؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه الذين قال فيهم: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية: سئل عن هؤلاء؛ فذكر أنهم قوم أبي موسى الأشعري[٢]؛ وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «**أتاكم أهل اليمن أرق قلوبًا، وألين أفئدة؛ الإيمان يماني، والحكمة يمانية**»[٣] وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار؛ فبهم نَفَّس الرحمٰن عن المؤمنين الكربات»[٤].

وقال ابن عثيمين: «وهذا الحديث على ظاهره، والنَّفَس فيه اسم مصدر نَفَّسَ يُنَفِّسُ تنفيسًا، مثل فَرَّجَ يُفَرِّجُ تفريجًا وفرجًا، هكذا قال أهل اللغة فيكون معنى الحديث: أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن»[٥].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: معنى أثر: «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمٰن»[٦]:

النَّفَس من التنفُّس الذي هو إخراج الريح من الجوف، فهذا المعنى غير مراد هنا البتة، ولا يليق بكمال الله وغناه وعظمته سبحانه، فإنه تعالى فرد صمد، ولذلك لم يقل به أحد من أهل السُّنَّة والجماعة، وإنما نسب بعض الجهمية هذا المعنى إلى أهل السُّنَّة والجماعة كذبًا وزورًا وافتراء عليهم، وقد ردَّ عليهم أهل السُّنَّة والجماعة وتبرؤوا مما نسب عليهم، قال الدارمي: «تعالى الله عما نحله المبطلون بأن ذلك نفس يخرج من جوف. فممن سمعت أيها المعارض أن هذا نفس يخرج من جوف الله تعالى؟ وهذا الحديث معروف معقول المعنى جهلت معناه فصرفته إلى غيره مما لم نر أحدًا يقوله أو يذهب إليه، إنما فسَّره

(١) تأويل مختلف الحديث (٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٢٠) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٨٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٣٩٨).

(٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٥١).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/٥١٠) [دار ابن القيم، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٧٠٦)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٧٥) وصححه، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه موقوفًا من قوله، ورجاله ثقات.

العلماء على الروح الذي يأتي بها الريح من نحو اليمن؛ لأن مهب الريح من هناك من عندهم، فأما أن يقول أحد هو نفس يخرج من جوف الرحمٰن فما سمعنا أحدًا يقوله قبلك، وأدنى ما عليك فيه الكذب أن ترمي قومًا مشنعًا عليهم ثم لا تقدر أن تثبته عليهم»[(١)].

ولو كان المراد به الهواء الذي يدخل الجوف ويخرج منه بالتنفس لقال: (إني أجد رِيْحَ نَفَسِ ربكم)، ويدل على ذلك ما جاء في حديث النبي ﷺ في وصف عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء: «**فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه**»[(٢)]. فهكذا يوصف من كان له نَفَسٌ يخرج من جوف، فيقال: وجدت ريح نفس فلان، فلما قال: «**نفس ربكم**» ولم يقل: (ريح نفس ربكم) علم أن المعنى المذكور غير صحيح وغير مراد هنا البتة.

بل معناه: أن الله عز وجل ينفِّس بها عمن شاء من خلقه، وهذا الحديث ليس من أحاديث الصفات، قال الألباني: «ليس الحديث من أحاديث الصفات»[(٣)].

وقال عبد المحسن العبّاد: «أهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وهم لا يصفون الله بالنَّفَس؛ لأنه لم يثبت وصفه بهذا الوصف في الكتاب والسُّنَّة»[(٤)].

ـ المسألة الثانية: بطلان ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى من تأويل هذا الحديث:

عُزي إلى الإمام أحمد أنه لم يقل بظاهر هذا الحديث، ولكن لا يصح ذلك عنه، قال ابن تيمية: «وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية: أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء»، وذكر منها قوله ﷺ: «**إني أجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن**» «فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه بإسناد؛ ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه. وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يعرف، لا علمه بما قال ولا صدقه فيما قال»[(٥)].

۞ الآثار:

إن الله عز وجل ينفِّس بما يشاء عمن يشاء، وإيمان العبد بذلك يجعله يلجأ إلى الله عز وجل، ولا سيما في أوقات الكروب والمشكلات، فإنه لا ينفسها عنه إلا الله عز وجل.

---

(١) نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد (٤٠٣ ـ ٤٠٥).

(٢) جزء من حديث النواس بن سمعان، أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٠٢/٢/٧) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي (١١٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٥).

❁ **المصادر والمراجع:**

١ ـ «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج١)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٣ ـ «الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي»، لعبد المحسن العبّاد البدر.

٤ ـ «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٥ ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ج٧)، للألباني.

٦ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥ و٦)، لابن تيمية.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

نفي الإيمان

يراجع مصطلح (الإيمان).

نقص الإيمان

يراجع مصطلح (زيادة الإيمان ونقصانه).

نوح عليه السلام

❁ **اسمه ونسبه:**

نوح بن لامك بن متُّوشلخ بن خنوخ ـ وهو إدريس ـ بن يرد ـ وقيل: يرذ ـ بن هلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[1].

والقول بأن إدريس عليه السلام هو الجد الثاني لنوح فيه نظر؛ إذ إن القول الصحيح أن إدريس عليه السلام كان بعد نوح عليه السلام ولم يكن قبله[2].

❁ **معنى اسمه لغة:**

قيل: إن نوحًا مشتق من ناح ينوح، والنوح البكاء؛ وسمي بذلك لأنه ناح على قومه، وأكثَرَ من فِعْلِه ذلك؛ لأنهم كانوا موتى في أديانهم، هذا وإن كان الاشتقاق يعضده من وجه، إلا أن نوحًا اسم أعجمي، وانصرف لكونه على ثلاثة أحرف[3].

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٢٣٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٤٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبداية والنهاية (١/٢٣٧) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣١٥) [دار الكتب العلمية، ط٣]، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٤٦٦)، والبداية والنهاية (١/٢٣٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٦٥، ٦٦) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣١٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٤٦٦).

واستدل من قال: إنه اسم أعجمي بحديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور، وفيه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يا أبا ذر، أربعة ـ يعني: من الرسل ـ سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ»**[(١)].

مولده ونشأته:

قيل: إن مولده كان بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وستٍّ وعشرين سنة، وقيل غير ذلك، وكان بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على التوحيد، فعن أبي أُمامة رضي الله عنه؛ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أنبيٌّ كان آدم؟ قال: **«نعم. مكلَّم»**. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: **«عشرة قرون»**[(٢)].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيِّين مبشرين ومنذرين»[(٣)].

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/ ١٧١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٧٠) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جدًّا». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٨٧) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) [الرسالة، ط٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩)، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/ ٢٣٧) [دار هجر، ط١]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٥٩) [مكتبة المعارف، ط١].

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٦٢١) [دار هجر، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٦٥٤) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٥٤).

نبوته:

نوح عليه السلام: هو أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام، على الصحيح من أقوال أهل العلم، واختلف في عمره كم كان يوم بُعث، وقد بعثه الله تعالى بالتوحيد، وإفراد الله بالعبادة، بعد ظهور الشرك والكفر[(٤)].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء].

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرُفع إليه الذِّراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسة وقال: **«أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣١٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٤٦٦)، والبداية والنهاية (١/ ٢٣٨).

وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربِّك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ـ وفي رواية: وإنَّه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي ـ نفسي نفسي، ...»[١].

قال ابن جرير رحمه الله: «وقد روي عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على ملة الحق، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذي بعث إليهم نوح عليه السلام، وقالوا: إن أول نبي أرسله الله إلى قوم بالإنذار، والدعاء إلى توحيده نوح عليه السلام»[٢].

دلائل نبوته:

لما كذَّب قوم نوحًا عليه السلام، واستكبروا وعصوا أمر ربهم، أمره الله تعالى بصناعة الفُلك، وهي السفينة العظيمة، التي لم يكن قبلها ولا بعدها مثلها؛ إذ هي من دلائل نبوته.

قال ابن كثير: «فاجتمع عليهم خطاياهم، من كفرهم وفجورهم، ودعوة نبيِّهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك، وهي السفينة العظيمة، التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون بعدها مثلها»[٣].

ومن أخبار هذه السفينة قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، فأمره تعالى أن يحمل فيها من كلِّ زوجين اثنين، من الحيوانات، وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها؛ لبقاء نسلها[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت]. قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾؛ أي: السفينة، أو قصة نوح: ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ يعتبرون بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وجعل الله أيضًا السفينةَ؛ أي: جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم، وتحمل متاعهم، من محل إلى

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).
(٢) تاريخ الطبري (١/١٧٨).
(٣) البداية والنهاية (١/٢٥٦).
(٤) المصدر نفسه (١/٢٥٩).

محل، ومن قطر إلى قطر»[١].

دعوته:

دعا نوح عليه السلام قومه إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وإلى توحيده، وإلى ترك عبادة الأصنام والأوثان، ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح].

وقد أحدث قومه الشرك بالله تعالى، وعبادة الأصنام، وكان ابتداء الشرك منهم، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أمَّا ودٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأمَّا يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأمَّا يعوق فكانت لهمدان، وأمَّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت»[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة»[٣].

قومه وموقفهم منه:

ذكر الله تعالى قصته مع قومه، وموقفهم منه في غير ما آية من كتابه العزيز؛ فكذبوه وعصوه بعدما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان، فلم يزدهم دعاؤه إياهم إلا فرارًا وطغيانًا، وأصروا على الشرك بالله، واستكبروا استكبارًا، فكانوا كما قال تعالى حكايته عن نوح عليه السلام: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟

(١) تفسير السعدي (٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٣) البداية والنهاية (١/ ٢٣٨).

ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح]، وقال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح]، واتهموه ومن آمن معه بالضلالة؛ كما قال ﷻ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف]، واستحقروه وسخروا منه، ومن قومه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود]، فلما رأى أن التذكير لا ينفع فيهم بوجه من الوجوه، وأنه كلما جاء قرن كان أخبث مما قبله، دعا عليهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح]، فأجاب الله دعوته فأهلكهم، وأغرقهم جميعًا، إلا نوحًا ومن آمن معه، فقد نجاهم الله بفضله ورحمته، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف].

وفاته:

لبث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت]، ومكث نوح عليه السلام بعد الطوفان ما شاء الله أن يبقى، ثم توفي بعد ذلك، وقد ذكر في مكثه بعد الطوفان أقوال مختلفة، قال ابن كثير: «ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك»[(١)].

وأما عن قبره فقد جاء من طريق مرسل عن عبد الرحمٰن بن سابط وغيره من التابعين: «أن قبر نوح بالمسجد الحرام»[(٢)].

ومن المتأخرين من يذكر أن قبره في بلدة بالبقاع تعرف بكَرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك، وأوقفت عليه أوقاف[(٣)].

لكن لم يثبت شيء من ذلك، وهذا عام في قبور الأنبياء إلا قبر نبينا محمد ﷺ في المدينة النبوية، والخلاف قائم في قبر إبراهيم ﷺ.

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٨١).
(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٦٨) [دار الأندلس]، عن محمد بن سابط مرسلًا.
وانظر: البداية والنهاية (١/ ٢٨١) [دار هجر، ط١].
(٣) انظر: البداية والنهاية (١/ ٢٨١).

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قبور الأنبياء عليهم السلام: هل هي هذه القبور التي تزورها الناس اليوم؟ مثل: قبر نوح، وقبر الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ويونس، وإلياس، واليسع، وشعيب، وموسى، وزكريا وهو بمسجد دمشق...؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «الحمد لله، القبر المتفق عليه هو قبر نبينا صلى الله عليه وسلم، وقبر الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره، وأما يونس، وإلياس، وشعيب، وزكريا فلا يعرف»[(١)].

وقال أيضًا: «حتى قال طائفة من العلماء ـ منهم: عبد العزيز الكناني ـ: كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها، إلا قبر النبي صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السُّنَّة المعتمدة؛ كالكتب الستة، ومسند أحمد، ومعاجم الطبراني الثلاثة، وغيرها من الدواوين المعروفة... وغاية ما روي في ذلك آثار معضلات، بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في: «أخبار مكة»، فلا يلتفت إليها، وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلَّمات»[(٣)].

ولكن هاهنا قاعدة عامة مفيدة؛ وهو أنه ليس في معرفة قبور الأنبياء عليهم السلام بأعيانهم فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله، كما حفظ سائر الدين، وذلك أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها، والدعاء بها، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أولية الرسالة؛ أكانت لآدم عليه السلام أم لنوح عليه السلام؟

استشكل بعض أهل العلم ما جاء منصوصًا في حديث الشفاعة من أن نوحًا عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض، مع كون آدم عليه السلام قد أعطي النبوة قبله، **وأجيب عن ذلك بعدة أجوبة**[(٥)]:

أحدها: يحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح عليه السلام مقيدة بقولهم لأهل الأرض؛ لأنه في زمن

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) المصدر نفسه (٢٧/ ٤٤٦).

(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (١٠١) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٤).

(٥) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٥٧٦) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٢٩، ٤٣٠) [ط١، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٦٦).

آدم عليه السلام لم يكن للأرض أهل.

الثاني: يحتمل أن يكون آدم عليه السلام إنما أرسل لبنيه فقط، ولم يكونوا كفارًا، وإنما كانوا على ملة التوحيد، وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة، وأما نوح عليه السلام فقد أرسل لبنيه وغيرهم من الأمم، وكانوا كفارًا، ومتفرقين في بلدان عدة.

الثالث: وهو أن آدم عليه السلام كان نبيًا ولم يكن رسولًا، وأما نوح عليه السلام فهو نبي رسول، فيكون نوح عليه السلام أول رسول إلى أهل الأرض.

والأظهر أن يقال: إن نوحًا عليه السلام أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف؛ لأن أمته أول من اختلف وغيَّر وبدلّ وكذب[(١)]، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنْۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥].

- المسألة الثانية: عموم بعثة نوح عليه السلام:

ورد في حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في دعوة فرُفع إليه الذِّراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «**أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض...**»[(٢)].

وهذا مما ظاهره أن نوحًا عليه السلام بعث إلى أهل الأرض جميعًا، لكن مما هو معلوم قطعًا أن من خصائص نبينا محمد ﷺ أنه بعث إلى أهل الأرض جميعًا، وأرسل إلى الناس كافة، فكيف الجمع؟

الجواب: أن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع؛ وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس؛ أي: بعد الطوفان، وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك، وأما ما جاء في حديث الشفاعة من قول أهل الموقف له، فليس المراد منه إثبات عموم رسالته؛ بل المراد منه إثبات أولية الرسالة، وعلى تقدير أن يكون مرادًا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في غير ما آية من كتابه العزيز على أن إرسال نوح عليه السلام كان إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم[(٣)].

ومما اتفق عليه أهل العلم وأجمعوا عليه أن نبينا محمدًا ﷺ بعث إلى الثقلين؛ الجن والإنس[(٤)]، كما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم**

(١) انظر: معارج القبول للحكمي (٢/ ٨٣٢) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].
(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٠). وهناك أجوبة وردود على ما ذكر.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/ ٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

يعطهن أحد قبلي: ... وكان كل نبيٍّ يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[١] الحديث. وقد فسر الأحمر: بالإنس، والأسود: بالجن، في أحد التفسيرات[٢].

وجزم ابن حزم أنه لم يبعث إلى الجن نبي قبل نبينا محمد ﷺ؛ حيث قال ـ بعدما قرر بعثة نبينا محمد ﷺ إلى الجن ـ: «وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبيٌّ من الإنس ألبتة قبل محمد ﷺ»[٣].

فعلى هذا يكون نبينا محمد ﷺ مما اختص بعموم رسالته وبعثته إلى الناس كافة، وإلى الثقلين من الإنس والجن، فيرتفع الإشكال الوارد عليه من عموم رسالة نوح عليه السلام.

ـ المسألة الثالثة: تحذير نوح عليه السلام من المسيح الدجال:

حذَّر نوح عليه السلام قومه من المسيح الدجال، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم؛ شفقة عليهم، ورحمة بهم[٤]؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «**إنِّي لأُنذِرُكموه، وما من نبيٍّ إلا أنذره، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبيٌّ لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور**»[٥].

ـ المسألة الرابعة: دعوة نوح عليه السلام على قومه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح].

وفي حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في دعوة فرُفع إليه الذِّراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «**أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربِّك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله** ـ وفي رواية: **وإنَّه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي ـ نفسي نفسي. ائتوا النبي ﷺ...**»[٦].

دعاء نوح عليه السلام على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه لا

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١) واللفظ له.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٧هـ].

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/٣٠٨) [دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/٢٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

(٦) تقدم تخريجه.

يؤمن من قومه إلا من قد آمن[(١)]، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود].

ونوح عليه السلام إنما دعا بهذا الدعاء؛ لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، وأن بقاءهم مفسدة محضة لهم ولغيرهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته، فأغرقهم أجمعين، ونجى نوحًا ومن معه من المؤمنين[(٢)].

ـ المسألة الخامسة: شهادة محمد ﷺ وأمته لنوح أنه قد بلَّغ قومه وأنذرهم:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم؛ أي رب. فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا؛ ما جاءنا من نبيّ. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته. فنشهد أنه قد بلَّغ، وهو قوله جلَّ ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]**»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج١)، للقاضي عياض.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ ـ «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها»، لمحمد خليل هراس.

٥ ـ «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، لأبي إسحاق الثعلبي.

٦ ـ «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ ـ «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

النُّور

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة»[(٤)]. وقال الجوهري: «النور: الضياء، والجمع أنوار»[(٥)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١٠٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٩).

(٤) مقاييس اللغة (٢/٥٣١) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

(٥) الصحاح (٢/٨٣٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

والنُّور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، جمعه: أنوار، والمنير: مرسل النور، والموضِّح والمبيِّن، والتنوير: الإنارة، والمنارة: (مَفْعَلة) من الاستنارة موضع النور، ومنار الأرض حدودها وأعلامها، سميت بذلك لبيانها وظهورها(١).

التعريف شرعًا:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ موصوف بالنور، ونور الله تعالى صفة ذاتية له سبحانه، ثابتة لله جَلَّ وَعَلَا كما يليق بجلاله وعظمته(٢).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ موصوف بالنور، والنور الذي هو صفة من صفات الله تعالى وقائم بذاته سبحانه جاء بيانه وتقريره تارة بتسمية الرب نورًا، وتارة بإضافة النور إليه، وتارة بأنه نور السماوات والأرض، وتارة بأن حجابه نور، فهذه أنواع من الأدلة جاء فيها ذكر صفة النور لله تعالى، وإضافة النور إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه النصوص هي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وليست من باب إضافة المخلوق إلى الخالق والمملوك إلى المالك؛ لأنها لو كانت كذلك لكان نور الشمس ونور القمر ونور المصباح بل الأنوار كلها نوره سبحانه، وهذا معلوم الفساد بالضرورة(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر].

ومن السُّنَّة: عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والقاموس المحيط (٦٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٦١، ٩٦٢) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: صفات الله عَزَّ وَجَلَّ للسقاف (٣٥٦) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة للعالم عبد الله فالح (٤٣٩، ٤٤٠) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٩٣) [مكتبة الرياض الحديثة، ط١٣٤٩هـ].

فقال: «**نورٌ أنى أراه؟**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك مُلْكُ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علمًا، والعجز عن ما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه. وقد قال وهو أصدق القائلين»، وذكر جملة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور: ٣٥] الآية، ثم قال: «ومثل هذا في القرآن كثير. فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم» ثم ذكر جملة من الأحاديث في الصفات منها قوله ﷺ في دعائه: «**نور السماوات والأرض**» ثم قال: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]، لم تره العيون فتحدّه كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «النصُّ في كتاب الله وسُنَّة رسوله قد سمى الله نور السماوات والأرض، وقد أخبر النص أنَّ الله نور، وأخبر أيضًا أنه يحتجب بالنور؛ فهذه ثلاثة أنوار في النص». وقال أيضًا: «وقد أخبر الله في كتابه أنَّ الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره؛ كيف لا يكون هو نورًا؟!»[(٤)].

وقال ابن القيم: «النور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، ومفعول إلى فاعله، فالأول كقوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) أصول السُّنَّة (٦٠ ـ ٧٤) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٣٨٦ و٣٩٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٩٨ ـ ١٩٩).

لفصل القضاء»[1].

الأقسام:

النُّور المضاف إلى الله تعالى على قسمين:

القسم الأول: وهو صفة لله تعالى، قائمة بذاته سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته، وإضافة هذا النور إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

والقسم الثاني: وهو مخلوق، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقها، **وهذا النور على نوعين:**

أ ـ النور الحسي: مثل نور الشمس ونور القمر، ونور السراج وغيرها من الأنوار المحسوسة.

ب ـ النور المعنوي: مثل نور العلم والمعرفة والإيمان والإسلام والطاعة.

قال ابن القيم في نونيته:

والنور ذو نوعين مخلوق ووَصْـ
ـف ما هما واللَّه متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين محـ
ـسوس ومعقول هما شيئان[2]

وقال السعدي: «ومن أسمائه الحسنى (النور)، فالنور وصفه العظيم، فأسماؤه حسنى، وصفاته أكمل الصفات والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان: **نور حسي:** كنور الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات المدرك نورها بالأبصار، والثاني: **نور معنوي:** وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإن لها نورًا في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة ومواجيد الإيمان وحلاوة الطاعة وسرور المحبة، وهذا النور هو الذي يمنع صاحبه من المعاصي، ويجذبه إلى الخير، ويدعو إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا**»[3]، وهذا النور الذي يعطيه الله عبده أعظم منة منه عليه، وهو أصل الخير، وهذا النور مهما قوي فإنه مخلوق»[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: النور من أسماء الله تعالى الحسنى:

النُّور اسم من أسماء الله الحسنى،

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٤) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/٧٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٦)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٣).

(٤) توضيح الكافية الشافية (٣٨٨، ٣٨٩) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

وقد ذكره فيها وعَدَّه منها عامة أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى» وصنفوا فيها[(١)].

فأهل السُّنَّة والجماعة كلهم يعتقدون أن النور اسم من أسماء الله الحسنى. قال ابن القيم: «النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنى ولم ينكره أحد من السلف، ولا أحد من أئمة أهل السُّنَّة، ومحال أن يسمي نفسه نورًا وليس له نور، ولا صفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليمًا قديرًا سميعًا بصيرًا ولا علم له ولا قدرة، بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعًا، فتعين الأول»[(٢)].

- المسألة الثانية: ما أثر عن بعض السلف في تفسير النور لا يعتبر تأويلًا:

لقد أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] أنه قال: «الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض»[(٣)]، وقال ابن جرير الطبري: «هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون»[(٤)].

وهذا المعنى صححه ابن تيمية وأقره، ولكن كونه هاديًا لا ينافي كونه نورًا؛ لأن من عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير الكلمة بعض معانيها أو لازمًا من لوازمها أو الغاية المقصودة منها أو مثالًا ينبه السامع على نظيره، فيكون ذكره للمعنى الذي ذكره من باب التمثيل وليس من باب الحصر والتحديد، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله، ولذلك كونه سبحانه هاديًا لا ينافي كونه نورًا بل هو معنى من معانيه، قال ابن تيمية: «قول من قال من السلف: هادي أهل السماوات والأرض، لا يمنع أن يكون في نفسه نورًا؛ فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى، بل قد يكونان متلازمين، ولا دخول لبقية الأنواع فيه، فقول من قال: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]: هادي أهل السماوات والأرض كلام صحيح؛ فإن من معاني كونه نور السماوات والأرض أن يكون هاديًا لهم؛ أما أنهم نفوا ما سوى ذلك فهذا غير معلوم، وأما أنهم أرادوا ذلك فقد ثبت عن ابن

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٢٠) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٨٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/٦٠٥١) [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ]، وإسناده حسن كما في التفسير الصحيح المسبور (١/٢٢١) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٤) تفسير الطبري (٧/٦٠٥١).

مسعود أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماوات من نور وجهه[١]. وقد تقدم عن النبي ﷺ من ذكر نور وجهه[٢]، وفي رواية «النور» ما فيه كفاية؛ فهذا بيان معنى غير الهداية»[٣].

۞ مذهب المخالفين:

النُّور صفة من صفات الله الذاتية، وهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية[٤].

وذهب المعطلة النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم إلى نفي ثبوت اسم النور في حق الله ﷻ ونفي صفة النور عنه تبارك وتعالى، بدعوى أن ذلك مجاز، وأن معناه منوّر هذه السماوات والأرض بالنور المخلوق؛ لأن كل عاقل - بزعمهم - يعلم بالضرورة أن الله ﷻ ليس هو هذا النور المنبسط على الجدران، ولا هو النور الفائض من جرم الشمس أو القمر، أو أن معناه: هادي أهل السماوات والأرض، وليس له معنى سوى ذلك[٥].

وقد أفاض كلٌّ من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في الردّ على هذه الدعوى من أوجه عدة، نختصر أبرزها، وهي:

الأول: أن النور جاء في أسمائه تبارك وتعالى، وأن هذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول، فلم ينكره أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها.

الثاني: قوله ﷺ في دعائه: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن**» الحديث[٦]، وهذا يقتضي أن كونه نور السماوات والأرض مغاير لكونه رب السماوات والأرض وقيومهما، فدل ذلك على أن كونه نور

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (١٥٧) [دار المشكاة، ط١]، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٥) [مكتبة القدسي]: فيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وعبد الله بن مكرز لم أرَ من ذكره.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٠، ٣٩١). وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٩٨، ١٩٩).

(٤) انظر من كتب أهل السُّنَّة: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٤ - ٣٩٦)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٨٨ - ٢٠٥). وانظر من كتب المعتزلة: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٠٦ و٥/ ٣٢٣، ٣٢٤) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ] ومن كتب الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (٧٨) [مدرسة الإلٰهيات بدار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، وأساس التقديس للرازي (١٠٥ و١٢٩، ١٣٠) [مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ]، ومن كتب الماتريدية: بحر الكلام للنسفي (١٠٣) [دار الفرفور، دمشق، ط٢، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٤، ١٠٢٥).

(٦) تقدم تخريجه قريبًا.

السماوات والأرض أمر زائد على ربوبيته لها، فإن الحديث دلّ على ثلاثة أمور؛ هي ربوبيته للسماوات والأرض، وقيوميته لهما، وأنه نورهما، فكونه ربًّا لهما، وقيومًا لهما، ونورًا لهما أوصاف له، فآثار الربوبية والقيومية والنور قائمة بهما، وصفة الربوبية والقيومية والنور قائمة به، فنفس الصفة لا تفارقه، وآثارها تحل بغيره، ومقتضاها هو المخلوق المنفصل عنه.

الثالث: أن هذا الفهم الفاسد من أن إثبات كون الله نورًا وإثبات صفة النور لله يلزم منه أن يكون الله هو هذا النور الواقع على الجدران أو المتعلق بالأجرام منشؤه التشبيه الذي يقع فيه أهل التعطيل أولًا، ومن ثَمَّ ينفون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، وهذا فهم فاسد وإنكار للمعنى الحق، فإثبات أهل السُّنَّة والجماعة إثبات بلا تشبيه، كما أن نفيهم نفي بلا تعطيل.

الرابع: أن النور صفة كمال، وضده صفة نقص؛ ولهذا سمى الله ﷻ نفسه نورًا، وأثبته لنفسه، وسمى كتابه نورًا، وجعل مادة خلق الملائكة الذين هم من أشرف الخلق من نور، وجعل لأوليائه النور، ولأعدائه الظلمة، فثبوت النور لواهب النور سبحانه وتعالى أولى من ثبوته للمخلوق، فكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى وأحق به.

الخامس: أن جماهير الأمة أثبتت هذا الاسم لله تعالى، وأثبتت له صفة النور، حتى متكلمة الصفاتية؛ كابن كلاب والأشعري وابن فورك ومن وافقهم أثبتوا أن الله ﷻ نور لا كالأنوار، ولم يذكروا الخلاف فيه إلا عن الجهمية والمعتزلة، فهو قول أهل البدع ويكفي هذا في بيان بطلانه[١].

وكثير من المتصوفة الذين لم يفرقوا بين نور الله الذي هو من صفاته، وقائمة بذاته، ولا يحل بمخلوق، وبين نور الإيمان والعلم والمعرفة والطاعة والعبادة الذي يجعله الله في قلوب عباده الصالحين وقعوا في أخطاء وشطحات وضلالات عظيمة؛ وذلك لأنهم لما تألهوا وتعبدوا لاحت لهم أنوار التعبد في قلوبهم؛ لأن العبادة لها نور في القلوب، فظنوا أن هذا النور هو نور العيان فزعموا أن الله يتجلى لهم وأنهم يشاهدون نور الذات المقدسة... وبعد ذلك حصل منهم من الشطح والضلال والكلام القبيح ما الله به عليم[٢].

(١) انظر: فصل في الكلام على اسم الله (النّور، والهادي)، ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٤ ـ ٣٩٦)، وبيان تلبيس الجهمية (٥/ ٤٨٦ ـ ٥٣٠، ٨/ ٦٦ ـ ٧٦)، ورسالة الحقيقة والمجاز ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٤ ـ ١٠٦٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٤٤، ٤٥) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٦١)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩).

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ ـ «أصول السُّنَّة»، لابن أبي زمنين.

٣ ـ «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.

٦ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج٣)، لابن القيم.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، لابن القيم.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.



حرف الهاء

الهادي

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهاء والدال والحرف المعتل **أصلان**؛ **أحدهما**: التقدم للإرشاد، **والآخر**: بعثة لَطَفٍ»[(١)].

والهادي: اسم فاعل من الهداية، يقال: هَدَى يَهْدِي هديًا وهداية فهو هادٍ؛ إذا تقدّم غيره ليرشده، والهداية: الدلالة والبيان بلطف، والهُدَى خلاف الضلالة، والهادي: الدليل، يقال: هداه فاهتدى يهتدي: استرشد، واستهدى: طلب الهدى، والهدي: السيرة والسلوك[(٢)].

التعريف شرعًا:

الهادي: الذي يهدي عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان معنى الهادي في اللغة يدور حول الإرشاد والدلالة والبيان اتفقت هذه المدلولات مع ما جاء في معنى الهادي شرعًا، فهو عَزَّ وَجَلَّ الدَّال المرشد المبين بلطفه ورحمته وعنايته لجميع خلقه هداية إرشاد ودلالة، وهدى المؤمنين من عباده دلالة توفيق إلى ما فيه رضاه.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الهادي من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، أو صفة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ما يليق بجلاله، وعظمة سلطانه، دون تمثيل، أو تحريف، أو تعطيل[(٤)].

(١) مقاييس اللغة (٦/٤٢) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/٣٧٨ ـ ٣٨٠) [الدار المصرية، ط١]، ومقاييس اللغة (٦/٤٢)، والصحاح (٦/٢٥٣٣ ـ ٢٥٣٤) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٣٥) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٧٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٩٧٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (١/٤٤) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ]، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/١٠٨) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

۞ الحقيقة:

الهادي: المرشد، الذي منّ بهداه على جميع خلقه، فأرشدهم إلى المعارف الفطرية الضرورية لكل مخلوق عاقلهم وحيوانهم، هداية إرشاد ودلالة إلى ما فيه قوامهم ومصالحهم، وألهمهم كيف يطلبون الرزق، ويتقون المضار والمهالك، وخصَّ عباده المؤمنين بهداية التوفيق إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها، وأكرمهم بنور توحيده، وأخذ بقلوبهم وعقولهم إلى مواضع رضاه بالتوفيق والإلهام والحفظ واللطف، ويرشدهم إلى جميع المنافع، ودفع المضار في الدنيا، وإلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات في الآخرة[(١)].

۞ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ [الكهف: ١٧].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٤) [دار الثقافة العربية، ط١]، واشتقاق أسماء الله (١٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٩٥، ٩٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢).

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أسمائه الهادي»[(٢)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «**س**: إنني اسمي هادي، والهادي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فهل يجوز لي أن أبقى على هذا الاسم، أو أغيره إلى اسم آخر؟

فأجابت: إن أبقيت اسمك الأول فلا حرج؛ لأن لفظ الهادي اسم مشترك، مطلق على الله وعلى غيره من الناس، الذين يهدون غيرهم إلى ما ينفعهم؛ كالرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد]، ومن المعلوم بأن وصف الله سبحانه بأنه الهادي، لا يشابه وصف المخلوقين، وإن غيَّرت اسمك إلى عبد الهادي فلا بأس بذلك شرعًا»[(٣)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أما الهادي فبعض العلماء أثبته من أسماء الله، وبعضهم قال: هذا من أوصاف الله، وليس اسمًا»[(٤)].

۞ الأقسام:

هداية الله للعبد على أربعة أنواع[(٥)]:

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٤).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١١/ ٤٦٧) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٠٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ١٧٠)، =

الأول: الهداية العامة المشتركة بين الخلق: وهي إرشاد كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهي شاملة للحيوان كله ناطقه وبهيمه، مؤمنه وكافره، طيره ودوابه، فصيحه وأعجمه، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه].

الثانية: هداية الإرشاد والبيان إلى طريقي الخير والشر، على يدي أنبيائه ورسله وما أنزل من كتبه، وبها تقوم الحجة على العباد، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، وهذه أيضًا يشترك فيها جميع المكلفين، سواء آمنوا، أو كفروا.

الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدور لقبول الحق والرضا به، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة، قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

= وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٧هـ]، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١١٧) [دار الكتب العلمية، ط٣].

المسائل المتعلقة:

- تسمية غير الله بهذا الاسم:

أطلق الله ﷻ هذا الاسم على بعض خلقه من باب الوصف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد]؛ أي: «داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى»[(١)].

والمراد بها هداية إرشاد ودلالة، وبهذا المعنى يجوز إطلاق اسم الهادي على غير الله ﷻ، أما هداية التوفيق والإنعام فلا يملكها غير الله تعالى، ولا يجوز إطلاق اسم الهادي على غير الله ﷻ بهذا الاعتبار، وهو ما نفاه الله ﷻ عن نبيه ﷺ وغيره بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الآثار:

يجب على العبد أن يعلم أن الهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي سبحانه على عبده، إذ كل نعمة دونها زائلة مضمحلة، وبقدر هدايته تكون سعادة العبد في

(١) تفسير السعدي (٤١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]. وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٤) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

الدنيا، وفوزه وعلو درجته في الآخرة.

والأنبياء عليهم السلام ـ وهم أكمل الناس إيمانًا وهداية ـ كانوا يسألون الله الهداية، وكان نبينا ﷺ وهو أفضلهم وأكرمهم يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(١)].

كما أمرت هذه الأمة بأن تسأل الله عز وجل الهداية في كل ركعة من صلاتها، قال عز وجل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة][(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف في تفسير معنى اسم الله الهادي طائفتان من أهل الأهواء والبدع[(٣)]:

الطائفة الأولى: المعتزلة القدرية، ومن وافقهم قالوا: الهدى من الله هو بيان الطريق، ونصب الأدلة، وإرسال الرسل، وزعموا أن العبد هو الذي يهدي نفسه، بناء على أصلهم الفاسد في باب القدر، وهو إنكار قدرة الله تعالى وفعله على خلق أفعال العباد.

الطائفة الثانية: الأشاعرة الجبرية ومن وافقهم، قالوا: الهدى من الله هو التوفيق والإلهام؛ وهو خلق القدرة على الإيمان[(٤)]، وهذا بناء على أصل مذهبهم في القدر، وهو إنكار الأسباب، وقولهم: إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل مقارنة له، لا قبله.

وكلا الطائفتين لم تهتدِ إلى نوعَي الهداية معًا: فالقدرية المعتزلة عَموا عن هداية التوفيق والإلهام، والأشاعرة الجبرية عموا عن أسباب الهداية وهي هداية البيان والإرشاد، فلو اهتدوا لمجموع الهدايتين معًا لاهتدوا ووفقوا إلى الصواب.

قال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلم عن هداية التوفيق: «وهذه المرتبة أخص من التي قبلها ـ أي: هداية الإرشاد ـ، وهي التي ضل فيها جهال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة ـ وأهل السُّنَّة منهم ـ من نواحي الأرض عصرًا بعد عصر، إلى وقتنا هذا، ولكن الجبرية ظلمتهم، ولم تنصفهم، كما ظلموا أنفسهم بإنكار الأسباب والقوى، وإنكار فعل العبد وقدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البتة، فلم يهتدوا لقول هؤلاء، بل زادهم ضلالًا على ضلالهم وتمسكًا بما هم عليه، وهذه المرتبة تستلزم أمرين:

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢١).

(٢) انظر: النهج الأسمى (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٢ ـ ١٧٤)، وشفاء العليل لابن القيم (١٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٣٧) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وأبكار الأفكار للآمدي.

أحدهما: فعل الرب تعالى: وهو الهدى.

والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله ﷻ، فهو الهادي، والعبد المهتدي... فإن الله سبحانه يخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين: قسمًا لا يقدر عليه غيره، وقسمًا مقدورًا للعباد، فقال في القسم المقدور للغير: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى]، وقال في غير المقدور للغير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ومعلوم قطعًا أن البيان والدلالة قد تحصل له، ولا تنفى عنه»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.
٥ ـ «شفاء العليل في مسائل القدر»، لابن القيم.
٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.
٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد حمود النجدي.
١٠ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

هاروت وماروت

التعريف لغةً:

اسمان أعجميان، يجمعان على: هواريت ومواريت، ويقال: هوارته وموارته، وزعم بعضهم أنهما مشتقان من الهرت والمرت، وهو الكسر، وقوله فيه نظر، بدليل منعهم الصرف لهما، ولو كانا كما زعم لانصرفا[2].

التعريف شرعًا:

اسمان لملكين من الملائكة عليهما السلام، أنزلا إلى الأرض فتنة وابتلاء من الله لعباده[3].

الحكم:

يجب الإيمان بهاروت وماروت عليهما السلام كما ورد به النص، والإيمان بهما يدخل

---

(١) شفاء العليل (١٤١ ـ ١٤٥).

(٢) ينظر: لسان العرب (٢/١٠٣، ١٠٤) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، وتاج العروس (٥/٩٤، ١٤١) [دار الهداية]، وتفسير البحر المحيط (١/٥١٢، ٥٣٠) [دار الفكر، ١٤٢٠هـ].

(٣) ينظر: عالم الملائكة الأبرار (١٨) [مكتبة الفلاح، ط٤].

في عموم وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

الحقيقة:

ذكر أهل السير أن قصة هاروت وماروت كانت قبل زمن نوح عليه السلام، قال ابن حجر: «قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام على ما ذكر ابن إسحاق وغيره»[(١)]. وأغلب ما جاء في قصتهما هو من الإسرائيليات، وليس فيها خبر صحيح يعتمد عليه، إلا ما جاء به القرآن الكريم، قال ابن كثير: «وردت في قصتهما، وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات»[(٢)]، وقال: «وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»[(٣)].

المنزلة:

الإيمان بهاروت وماروت عليهما السلام يدخل في الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

المسائل المتعلقة:

قد يستشكل من يقف على قصة الملكين وتعليمهما الناس السحر، وهم ملائكة، والأصل في الملائكة عبادة الله تعالى وعدم عصيانه.

والجواب: أن الله تعالى هو الذي أمرهما بتعليم الناس السحر، ابتلاء منه سبحانه وتعالى لعباده، فتعليم الملكين للناس ليس معصية منهما؛ بل هو بإذن الله تعالى، وذلك بعد أن أرشد سبحانه وتعالى عباده إلى طريق الحق، وأمرهم باتباعه، وبين لهم طريق الضلال ونهاهم عن اتباعه. قال ابن جرير: «إن الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، والسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها، ونهاهم عن العمل بها، فليس في إنزال الله إياه على الملكين، ولا في تعليم الملكين من علماه من

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٠٩) [دار هجر، ط١].
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٤) [دار طيبة، ط٤].

الناس إثم؛ إذ كان تعليمهما من علماه ذلك، بإذن الله لهما بتعليمه، بعد أن يخبراه بأنهما فتنة، وينهيانه عن السحر والعمل به والكفر. وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به، إذ كان الله ـ تعالى ذكره ـ قد نهاه عن تعلمه والعمل به، فالله ـ جل ثناؤه ـ عرَّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون ـ جل ثناؤه ـ علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علّما ذلك لله مطيعين؛ إذْ كانا ـ عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه ـ يعلمان، فالملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما، بعد نهيهما إياه عنه، وعظتهما له؛ إذ كانا قد أديا ما أمر به بقيلهما ذلك»[(١)].

مذهب المخالفين:

ذهب ابن حزم إلى أن هاروت وماروت، إما أن يكونا من الجن، وإما أن يكونا ملكين من الملائكة أتيا بشريعة من الله، ونهيا عن الكفر بالله، ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفرًا بعد أن كان إيمانًا، كما نسخ تعالى شرائع التوراة والإنجيل، فتمادت الجن على تعلم ذلك المنسوخ[(٢)].

وما ذهب إليه ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ اجتهاد لا يقر عليه؛ وتوجيه بعيد كل البعد عن الصواب، وتكلف في حمل الآية على خلاف ظاهرها. فظاهر النص يفيد أنهما ملكان من الملائكة أنزلهما الله ابتلاء وامتحانًا لعباده.

وذهب آخرون إلى أن هاروت وماروت ملِكان من ملوك الأرض، وليسا من الملائكة، وهذا كلام باطل؛ لأنه لو ثبت لكانت القراءة بكسر اللام وليس بفتحها. والقراءة بالكسر من القراءات الشاذة، فهي على خلاف ما أجمع عليه القُراء العشرة على القراءة بفتح اللام: ﴿عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦، ٤/ ٦١ ـ ٦٤) [دار الجيل، ١٤٠٥هـ].

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٠٠) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ].

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج١)، لابن كثير.

٤ ـ «جامع البيان» (ج٢)، للطبري.

٥ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج٢)، للقرطبي

٦ ـ «الجامع لشعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.

٧ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٨ ـ «سحر بابل»، لعبد الباقي أحمد سلامة.

٩ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

١٠ ـ «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (ج١)، لابن جني.

١١ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

هارون عليه السلام

اسمه ونسبه:

هارون هو ابن عمران وأخو موسى كليم الله، كما قال الله حكاية عن موسى: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه].

مولده ونشأته:

قيل: إن فرعون بعد أن كان يقتل الذكور في كل عام، عدل إلى قتل الذكور في عام يسمى عام الذبح ويكف عنهم في العام الذي يليه يسمى عام المسامحة، وذلك بعد أن شكى بنو إسرائيل بأن الرجال سيفنون بهذه الطريقة، ويُذكر أن هارون ولد في عام المسامحة وموسى في عام الذبح[(١)].

نبوَّته:

دلَّت النصوص الشرعية على نبوة هارون عليه السلام، كقوله تعالى في مخاطبة موسى وهارون حينما أمرهما بالدعوة إلى الله: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢﴾ [طه]، وقال الله لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٤٧]. وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم]، وفي هذه الآية الأخيرة، إشارة إلى قبول الله دعاء موسى بإشراك أخيه هارون معه في النبوة لما أرسله الله إلى فرعون، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/٣٥) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

دعوته:

كانت دعوة هارون إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، ونبذ الشرك، وطاعة رسوله عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾﴾ [طه].

قومه وموقفهم منه:

قوم هارون هم بنو إسرائيل، الذين تسلط عليهم فرعون أعتى رؤساء زمانه، كما قال الله تعالى لهارون وأخيه موسى عليه السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه]، وقال الله في حكاية قول هارون لقومه في مدة ذهاب موسى إلى ميقات ربه: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾﴾ [طه].

وفاته:

مات هارون قبل أخيه موسى عليه السلام عقب صعودهما على الجبل[(١)]، يدل لذلك ما جاء عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، حيث قال: «صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان أشد حبًّا لنا منك، وألين لنا منك، فآذوه في ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمرّوا به على مجالس بني إسرائيل، حتى علموا بموته فدفنوه، ولم يعرف قبره إلا الرخم[(٢)]، وإن الله جعله أصم أبكم»[(٣)]، ومعلوم أن هذا لا

---

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/ ١٧٢) [دار التأليف، القاهرة ط١، ١٣٨٨هـ]، وتحفة الأحوذي (١٠/ ١٦١) [دار الكتب العلمية]، وقصص الأنبياء للنجار (٢٩٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وجاء النبي المنتظر لعبد الوهاب طويلة (٣١) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢].

(٢) الرخم نوع من الطير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥٠٨) [المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤١١٠) وصححه، وصححه ابن حجر في المطالب العالية (١٤/ ٢٥٧) [دار العاصمة، ط١].

مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع والله أعلم.

وأما حديث: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**»[(١)]، فهذا استخلاف ليس بعد موته كما توهمه الروافض؛ لأن هارون مات قبل موسى بثلاث سنين[(٢)]، وإنما هو استخلاف في حال غيبته في غزوة تبوك، وقد حصل مثل هذا الاستخلاف لغير علي من الصحابة، ولا قائل بأنه استخلاف بعد الموت، ولم يدّع لهم الإمامة كما ادّعاها الروافض لعلي في وقت خلافة الأئمة الثلاثة قبله، وللحديث سبب يوضح هذه الحقيقة، فعن سعد بن وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قصة هارون عليه السلام مع السامري:

وهي أن موسى لما استخلف أخاه في قومه وذهب إلى ميقات ربه، خرج من بين القوم السامريُّ فصنع عجلًا ودعا إلى عبادته، فافتتن به الناس، ولما نهاهم هارون لم يستجيبوا له.

- المسألة الثانية: مكان هارون عليه السلام في السماوات:

لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج، وجد هارون عليه السلام في السماء الخامسة، فقد ثبت في حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «**فأتينا السماء الخامسة قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي**»[(٤)].

- المسألة الثالثة: إحسان موسى إلى أخيه عليه السلام بأن يكون نبيًّا:

لقد أحسن موسى إلى أخيه هارون عليه السلام إحسانًا عظيمًا، حين سأل الله الكريم بأن يمن على أخيه هارون بالنبوة، ويبعثه معه إلى بني إسرائيل نبيًّا ورسولًا وبشيرًا ونذيرًا، فقام متوجهًا إلى ربه بهذا الطلب العظيم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدر الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [طه]. وقال كما ذكره الله عنه: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾ [القصص]. قال ابن كثير: «فلما سأل ذلك قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]؛ أي: سنقوي أمرك، ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبيًّا معك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم]؛ ولهذا قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه، من موسى على هارون، عليه السلام؛ فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «قصص الأنبياء المسمَّى بالعرائس»، للثعلبي.

٢ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج١)، لابن الجوزي.

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٤ ـ «قصص الأنبياء» (ج٢)، لابن كثير.

٥ ـ «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (ج١)، لمجير الدين العليمي.

٦ ـ «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (ج١٠)، للمباركفوري.

٧ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

٨ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، لعثمان الخميس.

٩ ـ «قصص الأنبياء»، للنجار.

١٠ ـ «وجاء النبي المنتظر»، لعبد الوهاب طويلة.

الهامة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «الهاء والألف والميم أصلٌ صحيح يدلّ على علو في بعض الأعضاء، ثم يُستعار. فالهامة: الرأس، والجمع هامٌ وهامات، وأما الهامة في الطير فليست في الحقيقة طيرًا»[2].

والهامَة: بتخفيف الميم: رأس كل شيء من ذوات الأرواح، وقد قيل: إنه طير من طيور الليل يألف المقابر، وقيل: هو الصدى، كأنه يعني البومة. وقد ذُكر أن الهامة في الطير ليست في

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٦).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

الحقيقة طيرًا، إنما هو شيءٌ كما كانت العرب تقوله، كانوا يقولون: إنّ روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامةً فتزقو[1] تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت[2].

التعريف شرعًا:

اختلفت أقوال أهل العلم في تفسير الهامة الوارد ذكرها في قوله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة**»[3] على أقوال عدة[4]:

أحدها: أنّ الهامة هي الطائر الذي كانت العرب تتشاءم به، وهو من طيور الليل. وقيل: هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم فيراها ناعية له نفسه أو أحدًا من أهله.

الثاني: أنّ الهامة هي ما كانت تعتقده العرب من أنّ روح القتيل ـ وقيل عظامه ـ تنقلب هامة؛ أي: طيرًا، أو دودة، وتبقى عند قبره إذا لم يؤخذ بثأره وتقول: اسقوني من دم قاتلي، فإذا أخذ بثأره طارت.

الثالث: أن عظام الميت عمومًا ـ دون تخصيص المقتول منها ـ، أو روحه تصير طائرًا فتطير، وكانوا يسمون ذلك الطائر بالصدى.

الحكم:

على المعنى الأول: فهي نوع من أنواع الطيرة المنهي عنها شرعًا[5]، فتكون من الشرك بالله تعالى؛ لأن فيها اعتقاد أن مثل هذه الطيور تجلب الضرر، وأما من اعتقد أنها من جملة الأسباب، وأن الضار هو الله تعالى، فهو من الشرك الأصغر.

وأما على المعنى الثاني: فهي من جملة الخرافات التي لا يصدق بها إلا الجهال، وهي من أعمال الجاهلية، وقد ورد النهي الشديد في التشبه بأهل الجاهلية، ومن فعل ذلك فقد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في سياق كلامه على حديث: «**لا عدوى ولا هامة ولا صفر**»[6]: «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير

(١) زقا الديك يزقو زَقوًا وزقاء: صاح. انظر: تاج العروس (٣٨/٢١٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/٤٦٨) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٦/٢٧)، والصحاح (٥/٢٠٦٣) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٥/١٦٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٤) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم (١/١٥١) [الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ط١٠٤هـ]، ومعالم السنن للخطابي (٤/٢٣٣) [المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٠) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٢٨٣) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/٢٣٤).

(٦) تقدم تخريجه.

اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئًا من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي»[(١)].

الحقيقة:

الهامَة ـ بتخفيف الميم ـ في الحقيقة ليست طيرًا، وإنما أطلقته العرب على ما كانت تعتقده في التشاؤم ببعض الطيور، كالبومة، إذا وقعت على بيت أحدهم اعتقد فيها أنها تنعي له نفسه، أو أحدًا من أهله، فعلى هذا فهي نوع من أنواع التطير المحرم. أما ما كانت العرب تعتقده من أن عظام الميت أو روحه تصير طائرًا، فتطير، وكانوا يسمونه بالصدى، أو أن عظام الميت تنقلب طائرًا أو دودة، وتبقى على القبر تدور تقول: اسقوني، اسقوني. حتى يؤخذ بثأره من القاتل فتذهب، هذه من الخرافات، التي لا حقيقة لها، ولا وجود لها[(٢)].

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «**فمن أعدى الأول؟**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد**»[(٤)].

وعن عطاء قال: «يقول الناس: الصفر وجع يأخذ في البطن». قيل له: فما الهامة؟ قال: «يقول الناس الهامة: التي تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابة»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «وأما الهامة: فإن العرب كانت تقول: إن عظام الموتى تصير هامة فتطير، أبطل النبي ﷺ ذلك من قولهم. قلت: وتطيُّر العامة اليوم من صوت الهامة ميراث ذلك الرأي، وهو من باب الطيرة المنهي عنها»[(٦)].

وقال النووي رحمه الله: «ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعًا باطلان،

---

(١) لطائف المعارف (١٤٢) [دار ابن كثير، ط٥، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم (١/١٥١)، ومعالم السنن للخطابي (٤/٢٣٣)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٠)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٢٨٣)، ولطائف المعارف (١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧).

(٥) سنن أبي داود، (كتاب الطب، رقم ٣٩٨١).

(٦) معالم السنن للخطابي (٤/٢٣٣، ٢٣٤).

فبيّن النبيُّ ﷺ إبطال ذلك، وضلال الجاهلية فيما تعتقده من ذلك»[(١)].

قال ابن رجب رحمه الله: «قوله ﷺ: «**لا هامة**»: فهو نفي لما كانت الجاهلية تعتقده أنّ الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة، وهو طائر يطير، وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ أنّ أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات، من غير بعث ولا نشور! وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها»[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الهامَة والهامَّة:

الهامَة سبق تعريفها وأن المراد بها طائر كانت العرب تتشاءم به، وهو من طيور الليل (البومة). وقيل: ما كانت تعتقده العرب من أنّ روح القتيل ـ وقيل: عظامه ـ تنقلب هامة إذا لم يؤخذ بثأره.

أما الهامَّة بتشديد الميم فهي واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، وأما ما لا يقتل سُمه فيقال له: السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء[(٣)]. وقال ابن فارس: «الهوام حشرات الأرض، سميت لهميمها؛ أي: دبيبها»[(٤)].

ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامة**»[(٥)].

لكن لم يرد في الحديث السابق: «**لا هامة**» بتشديد الميم، وإنما المحفوظ هو تخفيفها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «وقال أبو زيد: الهامَّة مشددة الميم، يذهب إلى واحدة الهوام؛ وهي دواب الأرض. قال أبو عبيد: ولا أرى أبا زيد حفظ هذا، وليس له معنًى»[(٦)].

الآثار:

١ ـ التشاؤم بالهامة مما يورث في القلوب التعلق بغير الله عزّ وجل، والخوف منه، والانصراف عن الله عزّ وجل، وهو المدبر المتصرف في الكون، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٢ ـ الوقوع في التشبه بأهل الجاهلية في أفعالهم، وقد ورد النهي الشديد في التشبه بهم؛ لما يفضي به إلى الوقوع في الموافقة والموالاة المنهي عنهما.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢١٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (١٤٧).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٦٧٦) [دار طيبة، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مقاييس اللغة (٦/ ١٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧١).

(٦) غريب الحديث (١/ ١٥٢).

٣ ـ اعتقاد ما كان يعتقده أهل الجاهلية في الهامة يورث القلق والحزن في القلوب، وينغص على المرء معيشته وأحواله، ولا شك أن هذا ما تحرص عليه الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التمهيد»، لابن عبد البر.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٤ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٥ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٦ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٧ ـ «لطائف المعارف»، لابن رجب الحنبلي.

٨ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٩ ـ «شرح المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، ليوسف السعيد.

الهجر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والجيم والراء أصلانِ، يدلُّ أحدهما على قطيعةٍ وقَطْع، والآخر على شَدِّ شيءٍ ورَبْطِه، فالأوَّل الهَجْر: ضِدُّ الوصل، وكذلك الهِجْران. وهاجَرَ القومُ مِن دارٍ إلى دارٍ: تَرَكُوا الأولى للثانية»[١]، الهجر ضد الوصل، والتهاجر: التقاطع[٢].

التعريف شرعًا:

الهجر: الإعراض بالكلية عن الشخص، والبراءة منه، وفعل ما يتأدى به زجره من المقاطعة عقوبة له على بدعة أو فسق، أو لاستصلاح أمر دنيوي، وترك السيئات ديانة لله[٣].

وقيل: الهجر «ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا، وهي في الأصل الترك فعلًا كان أو قولًا».

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنيان متفقان، والشرع خصه بهجر المبتدع والفاسق.

الحقيقة:

الأصل في الهجر هو الإعراض

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٣٤) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٨٥١) [دار العلم للملايين، ط٣].
(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٩٧)، هجر المبتدع (١٩).

بالكلية عن المبتدع، والفاسق، والبراءة منه. ومن مفردات الهجر:

١ ـ عدم مجالسته.

٢ ـ الابتعاد عن مجاورته.

٣ ـ ترك توقيره.

٤ ـ ترك مكالمته والحديث معه.

٥ ـ ترك السلام عليه.

٦ ـ ترك التسمية له.

٧ ـ ترك بسط الوجه له، مع عدم هجر السلام والكلام.

٨ ـ عدم سماع كلامه وقراءته.

٩ ـ عدم مشاورته.

ونحوها من الصفات التي يتأدى بها الزجر بالهجر، وتحصل مقاصد الشرع[١].

المنزلة:

يؤصِّل علماء الإسلام هجر المبتدع ديانة تحت قاعدة الولاء والبراء، ومفهوم هذه القاعدة لدى أهل السُّنَّة والجماعة هو: الحب والبغض في الله، فهم يوالون أولياء الرحمٰن، ويعادون أولياء الشيطان، وكلٌّ بحسب ما فيه من الخير والشر[٢].

الأدلة:

الأدلة على الهجر الشرعي، كثيرة منها:

قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وقوله ﷺ: «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[٣]، مفهوم المخالفة يدل على جواز الهجر دون ثلاث.

وقوله ﷺ: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»[٤].

وقال كعب حين تخلف عن النبي ﷺ: ونهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا، وذكر خمسين ليلة[٥].

الشروط:

الهجر الشرعي للمبتدعة، والفساق، عبادة، والعبادة لا بد من توفر ركنيها؛ الإخلاص والمتابعة، فالهجر لهوى

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٤٩٧)، هجر المبتدع (١٩).

(٢) انظر: هجر المبتدع لبكر أبي زيد (٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٦٥) من حديث أنس، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٦١) من حديث ابن عمر، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (المقدمة، رقم ٦)، وأحمد (١٤/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٣٥١) وصححه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٩).

النفس ينقض الإخلاص، والهجر على خلاف الأمر ينقض المتابعة[(١)].

وهذا الهجر يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، بحيث ينظر إلى مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر؛ كالزجر، والتأديب، ورجوع العامة، وتحجيم المبتدع وبدعته، وضمان السُّنَّة من شائبة البدعة[(٢)].

۞ الأقسام:

أقسام الهجر ثلاثة[(٣)]:

الأول: الهجر ديانة؛ أي: الهجر لحق الله سبحانه وتعالى، وهو من عمل أهل التقوى، في هجر السيئة، وهجر فاعلها، وهذا النوع من الهجر على قسمين:

١ ـ هجر ترك: بمعنى هجر السيئات، وهجر قرناء السوء الذين تضر صحبتهم إلا لحاجة، أو مصلحة راجحة.

٢ ـ هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي توقع على المبتدع، على وجه التأديب، في دائرة الضوابط الشرعية للهجر، حتى يتوب المبتدع ويفيء.

الثاني: الهجر لاستصلاح أمر دنيوي؛ أي: الهجر لحق العبد، وفيه جاءت أحاديث الهجر بما دون ثلاث ليال، وجميعها تفيد أن الشرع لم يرخص بهذا النوع من الهجر بين المسلمين إلا بما دون ثلاث ليال. ومنها قوله ﷺ: «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[(٤)]. ومن الهجر هنا: هجر الوالد لولده، والزوج لزوجته، وقد هجر النبي ﷺ نساءه شهرًا. وبعد أن بيَّن الخطابي أن ما وراء الثلاث على المنع قال: «فأما هجران الوالد ولده والزوج لزوجه، ومن كان في معناهما فلا يضيق أكثر من ثلاث، وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه شهرًا»[(٥)].

النوع الثالث: الهجر قضاء، وهو من العقوبات التعزيرية للمعتدين، وهذا يبحثه الفقهاء في باب التعزير.

أما هجر الكافر فقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر، وهو أشد جرمًا منهما لكونهما من أهل التوحيد في الجملة. وأجاب البعض بأن لله أحكامًا فيها مصالح للعباد، وهو أعلم بشأنها،

(١) انظر: هجر المبتدع لبكر أبي زيد (١٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦ ـ ٢١٨) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، هجر المبتدع (٤٩).

(٣) انظر: هجر المبتدع لبكر أبي زيد (١٣ ـ ١٧)، وانظر أيضًا: التمهيد لابن عبد البر (٦/١٢٧) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١١٧)، وفتح الباري (١٠/٤٩٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) معالم السنن (٤/١١٢).

وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنح إلى أنه تعبد لا يعقل معناه. وأجاب آخرون بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب، والهجران باللسان، فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر، لا سيما إذا كان حربيًّا، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره، بخلاف العاصي المسلم، فإنه ينزجر بذلك غالبًا[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (ج١)، للالكائي.

٢ ـ «فتح الباري» (ج١٠)، لابن حجر.

٣ ـ «القول المسموع في بيان الهجر المشروع»، للغماري.

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢٨، ١٠)، لابن تيمية.

٥ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

٦ ـ «هجر المبتدع»، لبكر أبي زيد.

٧ ـ «الهجر في الكتاب والسُّنَّة»، لمشهور آل سلمان.

٨ ـ «الهجر المشروع والممنوع»، لابتسام الفالح [رسالة ماجستير].

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٩٧) بتصرف.

الهجرة

التعريف لغةً:

الهجرة: مأخوذة من الهَجْر، وهو ضد الوصل؛ وهو الترك والابتعاد عن الشيء، والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته، والهجرة: ترك الشيء إلى شيء آخر، أو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، أو الانتقال من أرض إلى أرض[(٢)]. قال الراغب الأصفهاني: «الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إما بالبدن؛ أو باللسان؛ أو بالقلب»[(٣)].

التعريف شرعًا:

الهجرة: هي ترك الأوطان والأهل والقرابة والمعاصي في الله أو في دين الله[(٤)].

الحكم:

إن المسلم حيثما يُضيق عليه في دينه وعبادته ويمنع من إظهار دينه، والقيام بالواجبات الدينية المفروضة عليه، يتعين عليه الهجرة إلى حيث يجد المكان

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ٣٤) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠، ٢٥١) [دار صادر، ط٣]، والصحاح (٢/ ٨٥١) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٤٦٤) [ط دار القلم].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٠٧) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

الأمثل للمحافظة على دينه وعبادته لربه ﷻ. ولا يجوز له أن يتعذر بالضعف وعدم القدرة على إقامة دين الله، فإن أرض الله واسعة[(١)].

وأمَّا قول النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة**»[(٢)]؛ أي: لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح كما كانت قبله لمصيرها دار إسلام، أما الهجرة من بلاد الكفر فباقية على الدوام[(٣)].

الحقيقة:

الهجرة تكون من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدع والمعاصي إلى دار الطاعة والإيمان، وتكون بمفارقة أهل الذنوب والمعاصي والبعد عن مجالستهم والاستئناس بهم.

وكذا تحصل بالانتقال من الكفر إلى الإسلام ومن البدعة إلى السُّنَّة ومن المعصية إلى الطاعة، وهذا هو مقتضى الهجرة إلى الله ورسوله؛ لأن الهجرة إلى الله تعالى تكون بالإيمان به وتوحيده وإفراده بالعبادة خوفًا ورجاءً وحبًّا، وأن يجتنب الشرك صغيره وكبيره، وأن يجتنب المعاصي والكبائر، وأن يكثر من الاستغفار والتوبة؛ لتجديد الهجرة كلما وقع فيما يضعف مسيرتها، ولذلك كان مفتاح النجاة هو التوحيد والاستغفار.

الأهمية:

تتضح أهمية الهجرة في النقاط التالية:

- أنها تخلِّص المؤمن من الضعف وعدم الأمن اللذين يؤثران على إقامة الدين.

- أنها شرعت لأجل عبادة الله ﷻ بأمن وأمان؛ لإقامة كيان المجتمع المسلم، مما يهيِّئ نشر هذا الدين.

- أن فيها سلامة النفس، فحيثما يجد المرء نفسه مهددة بالقتل أو الهلاك المحقق من قبل الظالمين وليس له القدرة على دفع الظلم عن نفسه فله أن يُهاجر طلبًا للسلامة إلى حيث يجد الأمن والأمان لنفسه وأهله.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٣٥٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٢٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، والتيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٥٠٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ].

﴿أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ [النساء].

ومن السُّنَّة: حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة**»(١).

وحديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المؤمن من أمَّنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجرَ الخطايا والذنوب**»(٢).

وحديث جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه أنه قال: إن رجالًا من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم: إن الهجرة قد انقطعت، فاختلفوا في ذلك، قال: فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أناسًا يقولون: إن الهجرة قد انقطعت، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد**»(٣). قال السندي: «قوله: «**ما كان الجهاد**»؛ أي: ما دام الكفر موجودًا فالجهاد لا بد منه، وكذا الهجرة من بلاده إلى بلاد الإسلام وما جاء من أن الهجرة قد انقطعت فذاك من مكة؛ أي: إلى المدينة»(٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن العربي رحمه الله: «الهجرة عند الإطلاق هي الخروج من بلد الكفر إلى دار الإيمان، والأسماء إنما تحمل على عُرفها، والهجرة في الشريعة أشهر من أن تحتاج إلى بيان، أو تختص بدليل؛ وإنما يلزم ذلك لمن ادعى غيرها»(٥).

وقال العزّ بن عبد السّلام: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان. وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمٰن، وإرغام النّفس والشّيطان»(٦).

وقال ابن تيمية: «وجماع الهجرة: هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٨/ ٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٨٩٥)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٣٤)، وأحمد (٣٩/ ٣٨١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٨٦٢)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٦٤) [دار العربية، ط٢]، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٥٤٩) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه أحمد (٢٧/ ١٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٥١) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٧٤).

(٤) حاشية مسند الإمام أحمد للسندي (٩/ ٤٢٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٦) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (٣٨٣) [١٩٨٩م].

الفساق، وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم»[(١)].

وقال ابن حجر: «وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة؛ فالباطنة ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن»[(٢)].

الأقسام:

تنقسم الهجرة إلى نوعين:

- **هجرة معنوية**: وتتمثل في اجتناب المعاصي والذنوب والآثام، وكل ما نهى الله تعالى عنه، أو الفرار إلى الله بالسعي إلى طلب محبته وتحقيق عبوديته، ونحو ذلك.

- **وهجرة حسية**: تكون بمفارقة الأبدان تارة، وبمفارقة الأوطان تارة أخرى، كهجرة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الإقامة بين الكفار:

الإقامة بين الكفار يختلف حكمها باختلاف حالات المقيمين بديار الكفر:

أ - فتكون محرمة، وذلك في حق من لا يمكنه إظهار دينه أو إقامة واجبات دينه في ديار الكفر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]، ولقوله ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**. قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: **لا تراءى ناراهما**»[(٤)].

ب - ويعذر في الإقامة بين الكفار من عجز عن الهجرة إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف كالنساء والولدان وشبههم، فالعاجز لا هجرة عليه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء].

ج - وتكون جائزة في حق من يتمكن من إظهار دينه وإقامة واجباته في دار الكفر[(٥)].

- المسألة الثانية: التهنئة بالعام الهجري الجديد:

لم يثبت في التهنئة بالعام الهجري

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣١١، ٣١٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٥٤) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) انظر: الرسالة التبوكية (١٦) [ط مكتبة المدني]، وطريق الهجرتين (٧) [الدار السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٦٤٥)، والترمذي (أبواب السير، رقم ١٦٠٤)، وصحح إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (٢/ ١٥٥) [دار أطلس، ط٣]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٧/ ٣٩٧) [مؤسسة غراس، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٢٥ رقم ٣٨٨).

الجديد شيء عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة الكرام، ولا عن أحدٍ من السلف، وقد اختلف العلماء في حكم التهنئة بأول العام الجديد على قولين:

الأول: الإباحة وأنها من العادات، وليست من الأمور التعبدية، ولا يُرغَّب في البدء بها، لكن من بدأك بذلك فلا بأس أن تقول: وأنت كذلك، أو ما أشبه ذلك، أما البداءة فلا أصل له(١).

الثاني: القول بالمنع مطلقًا، وهو الراجح؛ لأنه لا يُعرف لهذا أصلٌ فهو من المحدثات، ولأن التأريخ الهجري ليس المقصود منه أن يُجْعَل مناسبة وتُحْيَا ويصير فيها كلام وعيد وتهانٍ، وإنما جُعل التأريخ الهجري من أجل تمييز العقود فقط، وقد عايش الصحابة والتابعون لهم بإحسان سنوات كثيرة بعد أن وضع هذا التأريخ، ولم يعرف عنهم أنهم كانوا يهنئون بعضهم بعضًا عند أول سنة هجرية(٢).

ـ المسألة الثالثة: العدول عن التاريخ الهجري للميلادي:

إن من الواجب على المسلمين الاعتزاز بتأريخهم الهجري والتمسك به والتأريخ به، وعدم العدول عنه للتأريخ الميلادي؛ لأن العمل بالتأريخ الهجري دين يتقرب به العبد إلى الله؛ لارتباطه بالهلال الذي ترتبط به الكثير من العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات، كالصوم والعيدين ووجوب الزكاة، وعدة المطلقة وغيرها، ومن القواعد الشرعية: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ولأن التاريخ الميلادي مرتبط بعقيدة النصارى ودينهم، وهو ولادة المسيح ابن الله في زعمهم وعقيدتهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا(٣).

ولكن لا مانع من الاستفادة من التقويم الميلادي بصفته تقويمًا مساعدًا للتقويم القمري تابعًا له، متى وجد مقتضى لذلك تتحقق فيه مصلحة راجحة، ولا عيب أن نأخذ ـ لا أن نستبدل ـ من مواقيت الأمم ما يفيدنا في بعض الحالات فيما لا يتعارض مع أمر من أمور الدين(٤).

ـ المسألة الرابعة: الهجرة من أماكن البدع والمعاصي:

إذا كان المكان الذي يعيش فيه الإنسان يكثر فيه الفسق أو البدعة وكان

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١/٨٦، ٨٧)، وفتاوى نور على الدرب لابن باز.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الثانية (١/٤٥٤، السؤال رقم ٢٠٧٩٥)، والإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة للفوزان (٢٢٩) [ط الأولى، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٣٩٨) رقم (١٦٢٢٩) و(٢٦/٣٩٩) رقم (٢٠٧٢٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

(٤) انظر: التأريخ الهجري (٦١ ـ ٦٣) وما بعدها.

لا يستطيع أن يقيم شعائر دينه أو لا يأمن على نفسه وأهله من الوقوع في الفتنة، فإنه يجب عليه أن يهاجر من هذه الأرض. أما إذا كان يستطيع أن يقيم شعائر الدين ويأمن على نفسه وأهله من الوقوع في الفتنة فإنه يستحب له أن يهاجر من هذه الأرض ولا يجب عليه ذلك، وفي حالة وجوب الهجرة فإن الإنسان ملام على عدم الهجرة إن كان يقدر على ذلك، فإن كان لا يقدر على الهجرة فليجتهد وسعه في الحفاظ على دينه ودين أهله حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا[(١)].

ـ **المسألة الخامسة: بقاء الهجرة:**

الهجرة ـ التي هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وكذا هجر المعاصي ـ باقية لا تنقطع إلى قيام الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(٢)].

وأمَّا قول النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونِيَّة**»[(٣)]؛ أي: لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح كما كانت قبله لمصيرها دار إسلام، أما الهجرة من بلاد الكفر فباقية على الدوام[(٤)].

۞ الثمرات:

من ثمرات الهجرة:

ـ أنها دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

ـ فيها إعلان العبوديّة الكاملة لله ﷻ والانقياد له.

ـ دليل محبّة الله ومحبّة رسوله ﷺ.

ـ دليل صلاح العبد واستقامته.

ـ الوعد بالكرامة والفوز بالجنّة.

ـ تفريج الكربات وحصول الخيرات.

ـ تمحيص للإيمان واختبار للإنسان[(٥)].

۞ المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الهجر والهجرة في الإسلام»، لأبي فصيل البدراني [بحث منشور على الإنترنت].

٢ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٠)، للقرطبي.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٢٨٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٤٢/ ١٩٠، ١٩١) [ط٢، وزارة الأوقاف الكويتية].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (٢٨/ ١١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢/ ٢٣٥) [المطبعة العلمية، ط١]: (فيه مقال)، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٢٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، والتيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٥٠٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ]، وحاشية مسند أحمد للسندي (٩/ ٤٢٧).

(٥) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٥٦٦) [دار الوسيلة، ط٤].

٣ ـ «الرسالة التبوكية»، لابن القيم.

٤ ـ «فتح الباري» (ج١)، لابن حجر.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٥)، لابن تيمية.

٦ ـ «المفصل في أحكام الهجرة»، لعلي نايف الشحود [موقع صيد الفوائد].

٧ ـ «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (ج٨).

٨ ـ «الهجرة إلى بلاد غير المسلمين: حكمها، ضوابطها وتطبيقاتها»، لعماد بن عامر.

٩ ـ «الهجرة: دراسة عقدية»، لأمل الخميس [رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود].

١٠ ـ «الهجرة: دروس وفوائد»، لمحمد بن إبراهيم الحمد [بحث منشور على الإنترنت].

الهداية

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والدال والحرف المعتل أصلان؛ **أحدهما:** التقدم للإرشاد، **والآخر:** بعثة لَطَف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية؛ أي: تقدمته لأرشده... وينشعب هذا فيقال: الهدى خلاف الضلالة»[(١)].

(١) مقاييس اللغة (٢/٦٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

وقال الجوهري: «الهُدى: الرشاد والدلالة، يقال: هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق والبيت هدايةً؛ أي: عَرَّفْته»[(٢)].

فالهداية معناها في اللغة: الدلالة والإرشاد، ويكون بلطف، وهو عكس الإغواء والإضلال.

التعريف شرعًا:

الهداية هي توفيق الله تعالى وإرشاده لما يحب، ويوصف الله ﷻ بأنه الهادي، فهو الذي يهدي خلقه وعباده إلى ما شاء[(٣)].

الحكم:

هي صفة ذاتية من حيث النوع، وفعلية اختيارية من حيث الآحاد، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، ويجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(٢) الصحاح (٦/٢٥٣٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٠٢) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٠٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، وتيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٥/٦٣١)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**» الحديث[1].

وعن طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي قال: كان الرجل إذا أسلم علَّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**»[2].

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»[3].

وقال ابن تيمية: «وهدايتُه ودلالتُه من مقتضى اسمه الهادي، وفي الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلًا أنْ يقول: يا دليل الحيارى دُلَّني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»[4].

وقال السعدي: «الهادي؛ أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره»[5].

الأقسام:

إن الهداية المضافة إلى الله عز وجل على أنواع[6]، **وفيما يلي ذكرها:**

أ ـ الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وحياتها وما يقيمها ويصلحها، وهذه الهداية شاملة لجميع الحيوانات من البهائم والطيور والدواب وغيرها، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه].

ب ـ هداية الإرشاد والبيان للمكلفين:

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٧).

(٣) العقيدة الطحاوية (١١) [دار ابن حزم، بيروت، ط١].

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٧).

(٥) تفسير السعدي (٥/ ٦٣١)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته.

(٦) انظر: معجم ألفاظ العقيدة (٤٤٥، ٤٤٦) [مكتبة العبيكان، ط٢]، وفقه أسماء الله الحسنى (١١٥ ـ ١١٧).

وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدًا منهم إلا بعد إقامتها عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ج ـ هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق والرضا به، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

د ـ هداية المؤمنين في الآخرة إلى الجنة وإلى منازلهم فيها: قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده! لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»(١).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: تسمية الله عز وجل بالهادي:

الهادي اسم من أسماء الله الحسنى، وعَدَّه منها عامة أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وصنفوا فيها(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهدايتُه ودلالتُه من مقتضى اسمه الهادي»(٣).

ـ المسألة الثانية: الجمع بين قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]:

إن الهداية المنفية عن النبي ﷺ في الآية الأولى هي هداية توفيق، فإن التوفيق بيد الله عز وجل، والهداية المثبتة للنبي ﷺ في الآية الثانية هي هداية دلالة وإرشاد إلى الدين الحق والصراط المستقيم(٤).

الآثار:

إن الله تعالى أمر عباده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن يطلبوا الهداية من الله عز وجل، فأمرهم أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وغيرها من الصلوات، وشرع أذكارًا وأدعية كثيرة فيها سؤال الهداية والثبات عليها، وفيها سؤال الوقاية من الزيغ والضلال، وما ذلك إلا لحاجة العباد الشديدة وافتقارهم الدائم

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

(٢) انظر: معتقد أهل السُّنَّة الجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٢١) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١/٢٠٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: أضواء البيان (١/٥٥ و٦/٥٠٤، ٥٠٥) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ].

إلى هداية الله لهم في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية واضطرارهم إليه ﷻ في كل وقت ولحظة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كان العبد في كل حال مفتقرًا إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره، من أمور قد أتاها على غير الهداية؛ فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هُدي إلى أصلها دون تفصيلها أو هدي إليها من وجه؛ فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو محتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خالٍ عن اعتقادٍ فيها؛ فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها؛ فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات إلى أنواع الهدايات فرض الله عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله، وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة، وقد بَيَّن أن أهل هذه النعمة مغايرون للمغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى»[1].

مذهب المخالفين:

إن هداية الله صفة ذاتية من حيث النوع، وهي صفة فعلية اختيارية من حيث الآحاد، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة

(١) الفتاوى الكبرى (٦/٦) [دار الكتب العلمية، ط١].

الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية[2].

والله ﷻ أعلم بنفسه وقد وصف نفسه بهذه الصفة في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ورسوله ﷺ أعرف الناس بالله تعالى، وقد وصف النبي ﷺ ربه في أحاديثه الكثيرة بهذه الصفة، ولذا يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته؛ لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «أضواء البيان» (ج١ و٦)، للشنقيطي.

٣ ـ «تفسير السعدي».

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «العقيدة الطحاوية»، لأبي جعفر الطحاوي.

(٢) انظر: من كتب الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (١٤٠، ١٤١) [مدرسة الإلٰهيات بدار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ] ومن كتب الماتريدية: التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (٣٣٧) [دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ].

٦ ـ «الفتاوى الكبرى» (ج٦) لابن تيمية.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الهدى

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهاء والدال والحرف المعتلّ: التقدُّمُ للإرشاد، والآخر: بعثة، فالأوَّل قولُهم: هدَيتُه الطَّريق هِدايةً؛ أي: تقدّمتُه لأرشدَه. وكلُّ متقدِّم لذلك هادٍ... والأصل الآخر: الهَدِيَّة»[1].

والهُدى ضِدُّ الضَّلَالِ وَهُوَ الرَّشادُ، . تقول: هَداهُ هُدًى وهَدْيًا وهِدَايَةً وهِدْيَةً ـ بكسرهما ـ: أرْشَدَهُ، فَهَدَى واهْتَدَى والهداية دلالة بلطف[2].

التعريف شرعًا:

الهداية في الشرع على قسمين:

الأولى: هداية التوفيق: وهي جعل الهدى في القلوب، وهي المستلزمة للاهتداء، ولا يقدر عليها إلا الله تعالى.

والثانية: هداية الدلالة والإرشاد، وتعني نصب الأدلة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ولا تستلزم حصول التوفيق، وإن كانت شرطًا فيه[3].

الأسماء الأخرى:

التوفيق.

الحكم:

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يهدي من يشاء؛ وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه؛ مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله[4].

الحقيقة:

هو إنّ الله تعالى خص المؤمنين بنعمة يهتدون بها لم يعطها للكافرين[5]. وأنّ الله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فمن شاء منهم هداه ووفقه ونوَّر بصيرته وأزاح عنه غبش الشبهات والشهوات،

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ٤٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ٤٢)، ولسان العرب (١/ ٦٩٨) [دار صادر، ط١]، ومختار الصحاح (٥٨٦) [مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (١٤١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩).

(٥) انظر: منهاج السُّنَّة (٣/ ١٠٣).

وأخذ بيده عند الفتن والمحن، فوقاه إياها وانشرح صدره للطاعة والاستجابة للشرع والدين، وذلك كله وفق رحمة الله وحكمته وجوده وإحسانه وفضله.

المنزلة:

الهداية للحق والخير هي أعظم مكاسب البشر، والضلال عن الهدى أعظم خسارة يبتلى بها البشر، لهذا كانت هذه المسألة من أشرف المسائل وأعظمها وقد ضمَّنها الله ﷻ أعظم سور القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة، حيث تضمَّنت سؤال الله ﷻ الهداية والاستعاذة من طرق أهل الغواية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة]، فمن تحققت له الهداية للصراط المستقيم فقد تحقق له النجاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومن ضل عنه إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالين، فقد خسر دنياه وأخراه وباء بالعذاب الأليم.

قال ابن القيم رحمه الله عن موضوع الهدى والضلال: «هو قلب أبواب القدر ومسائله فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»[1].

الأدلة:

جاءت النصوص الشرعية المتكاثرة التي تبيِّن أن الهداية إلى الحق والصراط المستقيم إنما هي بيد الله ﷻ وحده، كما أن الضلالة بيده سبحانه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب النّاس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثمّ يقول: «**من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله**»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علّمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «**أن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من**

(١) شفاء العليل (٦٥) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله...»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهدى أربعة أقسام: **أحدها**: الهداية إلى مصالح الدنيا، فهذا مشترك بين الحيوان الناطق، والأعجم، وبين المؤمن والكافر. **والثاني**: الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم، وأمرهم بذلك، وهو نصب الأدلة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فهذا أيضًا يشترك فيه جميع المكلفين، سواء آمنوا أو كفروا... **والقسم الثالث**: الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب، وهو الذي يسمِّيه بعضهم بالإلهام والإرشاد... **والقسم الرابع**: الهدى في الآخرة»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه... فأما مراتب الهدى فأربعة؛ **إحداها**: الهدى العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه. **المرتبة الثانية**: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى، وأعم من الثالثة. **المرتبة الثالثة**: الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى، وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، **المرتبة الرابعة**: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار»[(٣)].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق، فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة»[(٤)].

الأقسام:

قد دلَّت النصوص الشرعية على أن الهداية الواردة في القرآن الكريم على أربعة أنواع ولكل نوع منها حكمه وشروطه:

(١) أخرجه أبو داود (كتاب النكاح، رقم ٢١١٨)، والترمذي (أبواب النكاح، رقم ١١٠٥) وحسنه، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٤٠٤)، وابن ماجه (كتاب النكاح، رقم ١٨٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب النكاح، رقم ٢٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٨٤٤) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٢ ـ ١٧٤).

(٣) شفاء العليل (٦٥).

(٤) تفسير السعدي (٢٩) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

النوع الأول: الهداية العامة، وهي إعطاء كل مخلوق ما يصلح حياته ومعاشه من الأعضاء والإمكانيات ثم هدايته لتلك المصالح، على حد قوله ﷻ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه].

النوع الثاني: الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان، ومما جاء في هذا المعنى من الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم»[(١)].

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. قال ابن جرير: «فبيّنا لهم سبيل الحق وطريق الرشد»، وقال قتادة: «بيّنا لهم سبيل الخير والشرّ»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾ [التوبة]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولًا بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه»[(٣)].

فهذا النوع من الهداية ليس خاصًّا بالله ﷻ وإنما هو عام يبيِّنه كل داع إلى الخير والهدى، فالرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يهدون الناس فيدلّونهم على سبيل الرشاد ويحذرونهم من سبل الغواية والهلاك، وكذلك الدعاة إلى الخير من العلماء وغيرهم، فكل من دعا إلى الصلاح والخير فهو بهذا المعنى هادٍ للخير والصلاح.

النوع الثالث: الهداية بمعنى التوفيق للعمل الصالح وخلق الإيمان في القلب وجعل المدعو مستجيبًا لأمر الله ﷻ، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٧٨﴾ [الأعراف] ونحوها من الآيات التي تنص على أن الهداية بيد الله ﷻ، وأن من هداه الله فهو المهتدي، ومن أضله فهو الضال، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة

(١) تفسير الطبري (٢١/٥٦١).
(٢) تفسير الطبري (٢١/٤٤٨).
(٣) شفاء العليل لابن القيم (٨٠).

للفعل... وهذه المرتبة تستلزم أمرين؛ **أحدهما:** فعل الرب تعالى وهو الهدى، **والثاني:** فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه ولا إلى أحد غير الله، وأن الله سبحانه إذا أضل عبدًا لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته، كما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]»[١].

النوع الرابع: الهداية إلى المنازل في الجنة، نسأل الله من فضله، وإلى الدركات في النار، نسأل الله المعافاة، وقد ورد في هذا المعنى فيما يتعلق بالهداية إلى المنازل في الجنة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد].

(١) شفاء العليل لابن القيم (٨٠، ٨١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذّبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**»[٢].

وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد قال: «يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا».

وأما ما ورد مما يتعلق بهداية أهل النار إلى دركاتهم ـ نسأل الله المعافاة ـ فقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات].

قال الطبري رحمه الله في معناها: «يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجهوهم إلى طريق الجحيم»[٣]، وقال ابن تيمية في معناها: «قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه؛ ولهذا تسمى الأعناق الهوادي؛ لأنها تقود سائر البدن، وتسمَّى أوائل الوحش:

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤٠).

(٣) تفسير الطبري (٢١/٢٨).

الهوادي»، وقال ابن كثير: «أرشدوهم إلى طريق جهنم»[(١)].

فهذه هداية بمعنى الإرشاد والدلالة لأهل النار إلى أماكنهم منها، نسأل الله المعافاة.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: معنى الهداية المثبتة للرسول ﷺ والهداية التي نفى الله ﷻ أن تكون إليه:

ورد في كلام الله ﷻ قوله عن نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص].

كما ورد في الآية الأخرى إثبات ذلك لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى]

فالآية الأولى: نفى فيها الله ﷻ أن يكون للنبي ﷺ الهداية، والآية الأخرى أثبتت ذلك له، والآيتان ليس بينهما تنافٍ ولا تناقض؛ لأن الهداية التي نفى الله أن تكون إلى النبي ﷺ هي هداية التوفيق للخير والإيمان، وجعْل أحد من الناس مهتديًا بخلق ذلك في قلبه، بدليل أن الآية نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ[(٢)].

قال ابن جرير في معنى الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله.

ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبًا. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه»[(٣)].

وقال السعدي: «يخبر تعالى أنك يا محمد ـ وغيرك من باب أولى ـ لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله ﷻ، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله»[(٤)].

أما الآية الثانية: فإنها أثبتت للنبي ﷺ الهداية التي هي بمعنى الدلالة والإرشاد، قال ابن جرير في الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٣) تفسير الطبري (١٩/٥٩٨).

(٤) تفسير السعدي (٦٢٥) [مؤسسة الرسالة ط١].

لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم»[(١)].

وقال السعدي: «وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبيِّن الصراط المستقيم، ويرغِّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا. ولهذا، لو كان قادرًا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب... ولكن الهداية بيد الله تعالى»[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف السلف والمسلمين عمومًا المعتزلة ومن أخذ بقولهم في هذا الباب، فقد أنكروا أن يكون الله ﷻ يهدي أحدًا أو يضل أحدًا. قال الأشعري عن مذهب المعتزلة في الهدى: «قال أكثر المعتزلة: إن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا، ونفعهم بأن قواهم على الطاعة فلم ينتفعوا، وأصلحهم فلم يصلحوا»[(٣)]. ومعنى قول المعتزلة هذا أن الله بيَّن للكافرين وأرشدهم كما فعل ذلك رسله عليهم السلام وأدته كتبه لهم فلم ينتفعوا بذلك، وهذا هو غاية ما عند الله من الهداية.

وقال البغدادي لما ذكر إجماع أهل السُّنَّة على أن الله يهدي من يشاء بفضله: «وهذا خلاف قول القدرية في دعواها أن الهداية من الله تعالى على معنى الإرشاد والدعاء إلى الحق، وليس إليه من هداية القلوب شيء»[(٤)].

وهذا القول منهم إنكار للمقصود بالهداية التي هي بيد الله ﷻ وحده دون خلقه قاطبة، وهي التي جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص]، وقد سبق بيان اختصاص ذلك بالله ﷻ، والمعتزلة إنما ضلوا في هذا الباب وغيره بسبب قياسهم الخالق على المخلوق، فزعموا أن ما يحسن من المخلوق يحسن من الله ﷻ وما يقبح من المخلوق يقبح من الخالق، فكانوا مشبهة الأفعال: يقول عبد الجبار المعتزلي: «ولا يجوز أن يكون الموجب لحسن أفعاله ﷻ أنه رب، مالك، ناه، آمر، ناصب للدليل، متفضل... ونحن نبيِّن أن ما أوجب قبح القبيح متى حصل يجب كونه قبيحًا، وكذلك ما أوجب حسن الحسن، ووجوب الوجوب... وهذه القضية لا تختلف باختلاف

(١) تفسير الطبري (٢١/٥٦١).

(٢) تفسير السعدي (٦٢٥).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (١/٢٠٧) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (٣٣٠) [دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٢، ١٩٧٧].

الفاعلين، وأن حكم أفعال القديم - يعني الله عَزَّ وَجَلَّ - في ذلك حكم أفعالنا»[(١)].

فهذا الغلو في التشبيه جعلهم يقولون: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يجب عليه فعل الصلاح لعباده، وإن لم يفعل لم يكن مريدًا لمنفعتهم. فهذا القول منهم والقياس الفاسد جعلهم يظنون أن الله غير قادر على هداية الخلق، وأنه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن قولهم - ليس بيده هداية أحد من الناس، وأن مثله في هذا مثل من أرشد تائهًا عن الطريق وبعد أن أرشده إلى الطريق تركه، فإن وصل إلى مراده وصل وإلا فإن الهادي قد أدى ما عليه.

وهذا مع وضوح بطلانه فإن فيه مخالفة صريحة للنصوص الشرعية؛ في أن من اهتدى فإن الله هو الذي هداه وأن لو شاء الله لهدى الناس جميعًا؛ وفيه أيضًا تعجيز للخالق تبارك وتعالى وأن قدرته في هذا مثل قدرة خلقه، وكفى بهذا ضلالًا وانحرافًا ومخالفة لصريح القرآن وما اتفق عليه المسلمون من أن قدرة الله لا يحدها شيء، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر].

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (٦/٥٩، ٦٠) نقلًا عن: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة للمحمود (٢٥٤) [دار مدار الوطن، ط٢].

المصادر والمراجع

١ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٢ - «الإبانة»، لابن بطة.

٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٤ - «القدر»، لعبد الله بن وهب.

٥ - «القدر»، الفريابي.

٦ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.

٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.

٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٩ - «القدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمٰن بن صالح المحمود.

١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

١١ - «القضاء والقدر»، لابن تيمية.

الهرولة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والراء واللام. يقولون: الهرولة بين المشي والعَدْو»[(٢)].

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٦) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

وقال الجوهري: «الهرولة: ضرب من العَدْو، وهو بين المشي والعَدْو»[(١)].

التعريف شرعًا:

هو مضاعفة ثواب من تقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالأعمال الصالحة[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضاعف ثواب العبد على عمله، وهذا لكمال فضل الله عَزَّ وَجَلَّ وكرمه وسعة جوده[(٣)].

الحقيقة:

هي بمعنى سرعة قبول الله وإقباله على عبده المتقرب إليه، ومضاعفة مجازاته تعالى العبد على عمله أكمل من عمل العامل، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبل توبتهم ويرفع مكانتهم، ولا يتأخر في الإحسان إليهم والإنعام عليهم، وهي كما يليق بجلال الله وعظمته تبارك وتعالى[(٤)].

الأدلة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[(٥)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرويه عن ربه قال: «**إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا تقرَّبت منه باعًا، وإذا أتاني مشيًا أتيته هرولة**»[(٦)].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن**

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨٥٠) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٠٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ]، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٣٦٠) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ]، معجم ألفاظ العقيدة (٤٤٩) [مكتبة العبيكان، ط٢].

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٢٧) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٨٤، ٣٨٥) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٦١) [المكتبة العلمية، بيروت]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٣، ٤) [دار الفكر، ط٣، ١٣٩٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٦٤) [بيت الأفكار الدولية]، ومنة المنعم في شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٣٢) [دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ]، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١٨٥، ١٨٦) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٤٩).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥)، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦).

أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو عيسى الترمذي: «ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا؛ يعني: بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، قالوا: إنما معناه يقول: إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وما أمرت، أُسرع إليه بمغفرتي ورحمتي»[(٢)].

وقال إسحاق بن راهويه: «من تقرب إلى الله شبرًا بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعًا»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»[(٤)].

وقال ابن القيم: «فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقًا حقيقيًّا، فذكر من مراتب القرب ثلاثة، ونبَّه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعًا، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة، وهٰهنا منتهى الحديث منبهًا على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنه قيل له: وقس على هذا؛ فعلى قدر ما تبذل منك تقربًا إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه؛ أي: من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه وإرادته وأقواله وأعماله تقرب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرب عبده إليه، وليس القرب في هذه المراتب كلها

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).
(٢) جامع الترمذي (٤/ ٥٨١).
(٣) مسائل الإمام أحمد وإسحاق لحرب بن إسماعيل (٣٤٥).
(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٠٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

قرب مسافة حسية، ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه والعبد في الأرض، وهذا الموضع هو سر السلوك وحقيقة العبودية»[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ذكر المسافة بالشبر والذراع والباع في الحديث المذكور إنما جاء من باب ضرب المثال، والمسافة الحسية المذكورة في الحديث غير مرادة بالضبط والتعيين والتحديد:

وإلى هذا يشير كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، إذ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»[(٢)].

وقال ابن القيم: «فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقًا حقيقيًّا، فذكر من مراتب القرب ثلاثة، ونبَّه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعًا، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة، وهٰهنا منتهى الحديث منبهًا على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنه قيل له: وقس على هذا؛ فعلى قدر ما تبذل منك تقربًا إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه؛ أي: من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه وإرادته وأقواله وأعماله تقرب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرب عبده إليه، وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسية، ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه والعبد في الأرض، وهذا الموضع هو سر السلوك وحقيقة العبودية»[(٣)].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٠٣).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٧١، ٢٧٢).

فالعبد يمكن له أن يتقرب إلى الله ﷻ بقلبه وروحه دون أن يضطر إلى قطع مسافة، وهذا أمر مشاهد ومحسوس، والله ﷻ في تقربه إلى العبد لا يحتاج إلى ذلك من باب أولى، والمقصود من ذكرها بيان وتقرير أن الله تعالى يعطي عباده أكثر من أعمالهم، وأنه سبحانه يتقرب إليهم أكثر من تقربهم إليه، وأن العبد إن تقرب إلى ربه مشيًا تقرب الله ﷻ إليه هرولة، ولكن دون الحاجة إلى قطع مسافة حسية بل كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

- المسألة الثانية: هل الهرولة من صفات الله ﷻ؟

من أهل العلم من يقول: الهرولة صفة فعلية خبرية اختيارية لله تبارك وتعالى، وعلى هذا فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية[1].

وتفسير الهرولة المضافة إلى الله ﷻ بمضاعفة الثواب وسعة جود الله سبحانه وكرمه ليست من باب التأويل، ولا عدولًا عن ظاهر النص، فالهرولة تستعمل في الأمر الحسي والمعنوي نظير المشي والقيام والقعود، كما في حديث: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»**[2]، فالقيام والقعود والمشي هنا مراد به الأمر المعنوي، كذلك الهرولة.

وحملها على معنى مضاعفة الثواب يدل عليه السياق، وهو المعنى المراد ليس من باب التأويل، إذ التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر، ومن القواعد المقررة في هذا الشأن ما ذكره ابن تيمية رحمه الله بقوله: «كثيرًا ما يغلط الناس في هذا الموضع إذا تنازع النفاة والمثبتة في صفة ودلالة نص عليها، يريد المريد أن يجعل ذلك اللفظ ـ حيث ورد ـ دالًّا على الصفة وظاهرًا فيها. ثم يقول النافي: وهناك لم تدل على الصفة فلا تدل هنا. وقد يقول بعض المثبتة: دلت هنا على الصفة فتكون دالة هناك؛ بل لما رأوا بعض النصوص تدل على الصفة جعلوا كل آية فيها ما يتوهمون أنه يضاف إلى الله تعالى ـ إضافة صفة ـ من آيات الصفات، كقوله تعالى: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وهذا يقع فيه طوائف من المثبتة والنفاة، وهذا من أكبر الغلط، فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه.

(١) فتاوى اللجنة (٣/١٩٦)، وفتاوى نور على الدرب (١/٧٠) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨٦).

وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية... فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وإن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد حتى يكون ذلك طردًا للمثبت ونقضًا للنافي؛ بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسُّنَّة والاستدلال بهما مطلقًا»[(١)].

ومن يقول بأن الهرولة صفة لله تعالى، يتعين عليه الالتزام بالنص، فإن الهرولة المضافة إلى الله ليست مطلقة، وإنما هي في مقابل ما يفعله العبد، فالواجب أن يقال: من أتى إلى الله يمشي أتاه هرولة، كما جاء في الحديث، ولا يجعلها عامة مطلقة[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين»، لسليمان بن محمد الدبيخي.

٢ ـ «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار»، لابن عثيمين.

٣ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٤ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمية.

٥ ـ «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٦ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ ـ «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (ج٣).

٨ ـ «فتاوى نور على الدرب»، لابن باز.

٩ ـ «فتح الباري» (ج٣)، لابن حجر العسقلاني.

١٠ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

١١ ـ «مدارج السالكين» (ج٣)، لابن القيم.

أبو هريرة رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

اختلف في اسمه واسم أبيه على عدة أقوال، حتى أوصلها بعضهم إلى أربعة وأربعين قولًا[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر بعد مناقشته

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٥ ـ ١٨).

(٢) انظر: أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين لسليمان بن محمد الدبيخي (١٧٨ ـ ١٨٨).

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٧٦٨) [دار الجيل، ط١]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/ ٣٠٢) [دار الفكر]، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٤٢٥ ـ ٤٣١) [دار الجيل، ط١].

الأقوال المذكورة في اسم أبي هريرة رضي الله عنه واسم أبيه: «فعند التأمل لا تبلغ الأقوال عشرة خالصة، ومرجعها من جهة صحة النقل إلى ثلاثة: عمير وعبد الله وعبد الرحمٰن، الأولان محتملان في الجاهلية والإسلام، وعبد الرحمٰن في الإسلام خاصة»[(١)]. وقد ذهب كثير من الأئمة إلى أن الأصح والأشهر في اسمه واسم أبيه هو: عبد الرحمٰن بن صخر[(٢)]. قال الإمام الذهبي: «اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبد الرحمٰن بن صخر»[(٣)].

كنيته:

أ ـ أبو هريرة، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اللَّهُمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرة»**[(٤)].

ولما رواه الترمذي بإسناده عن عبد الله بن رافع قال: «قلت لأبي هريرة: لم كُنيت أبا هريرة؟ قال: أما تفرق مني؟ قلت: بلى والله إني لأهابك، قال: كنت أرعى غنم أهلي، فكانت لي هريرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة»[(٥)].

ب ـ أبو هِر، لما ثبت في الصحيح من أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه: (أبا هر)، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جُنُب فأخذ بيدي فمشيت معه حتى قعد، فانسللت فأتيت الرحل فاغتسلت، ثم جئت وهو قاعد، فقال: أين كنت يا أبا هر؟ فقلت له، فقال: **سبحان الله يا أبا هر! إن المؤمن لا ينجس**»[(٦)].

مولده ووفاته:

ولد قبل البعثة بثماني سنوات، ومات بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة، عن ثمانٍ وسبعين سنة[(٧)]. وقيل: إنه مات سنة ثمانٍ وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين للهجرة[(٨)].

إسلامه:

أسلم أبو هريرة رضي الله عنه في أول سنة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٤٣١).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٦٢) [دار هجر للطباعة، ط١]، وتقريب التهذيب لابن حجر (٦٨٠) رقم (٨٤٢٦) [دار الرشيد، ١٤٠٦هـ].

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩١).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٠) وحسَّنه، وقال الألباني: «حسن الإسناد». صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٦٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٨٥).

(٧) انظر: الطبقات لخليفة بن خياط (١١٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧١)، وتقريب التهذيب (٦٨٠).

(٨) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧٢)، وتقريب التهذيب (٦٨٠).

سبع، عام خيبر، وحسن إسلامه، ولازم النبي ﷺ، وواظب على الجلوس إليه؛ رغبة في العلم، قانعًا بشبع بطنه، وكان يدور مع النبي ﷺ حيث دار، ولذا كان يحضر ما لا يحضر المهاجرون والأنصار؛ لانشغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم[(١)].

فضائله:

- تحقق دعاء النبي ﷺ له ولأمه رضي الله عنهما:

فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ اهد أم أبي هريرة»**، فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلَت ولبسَت درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ حبب عُبَيدك هذا** - يعني: أبا هريرة - **وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين»**، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني»[(٢)].

- تحقق موعود النبي ﷺ فيه في الحفظ وعدم النسيان:

فقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه، قال: **ابسط رداءك**، فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: **ضمّه**، فضممته، فما نسيت شيئًا بعده»[(٣)].

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله الموعد، كنت رجلًا مسكينًا أخدم رسول الله ﷺ على

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٩).

ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئًا سمعه مني**»، فبسطت ثوبي، حتى قضى حديثه ثم ضممته إلي، فما نسيت شيئًا سمعته منه»[(١)].

- دعاء النبي ﷺ له بالبركة على تمراته فتكاثرت:

فقد روى الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة، فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: «**خذهن واجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منها شيئًا، فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرًا**»، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع»[(٢)].

مكانته:

مكانة أبي هريرة رضي الله عنه كبيرة، ومنزلته رفيعة، فقد كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم حديثًا، فقد روى الإمام الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه»[(٣)].

وكان متصديًا في المدينة للفتوى والتحديث عن رسول الله ﷺ، إلى أن مات فيها، ولذا حمل عنه العلم جمٌّ غفير من التابعين، وقد ذكر الإمام البخاري أنه حمل عنه العلم ثمان مئة نفس من التابعين[(٤)].

وولاه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل فأبى عليه[(٥)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما جاء من أن عبد الله بن عمرو أكثر حديثًا من أبي هريرة رضي الله عنهم.

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٣٩) وحسَّنه، وأحمد (١٤/ ٥١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٩٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٣٦) وحسنه، وأحمد (٨/ ٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الألباني: «صحيح الإسناد». صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٥٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٧) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(٥) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧١).

يكتب ولا أكتب»[١]. فهذا وإن كان في الظاهر يدل على أن ابن عمرو كان أكثر حديثًا من أبي هريرة رضي الله عنهما، إلا أن الواقع يدل على عكسه؛ لأن المروي عن أبي هريرة هو أضعاف مضاعفة عما رواه ابن عمرو، وقد بيّن الحافظ ابن حجر هذا الأمر فقال: «هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبد الله بن عمرو ـ أي: ابن العاص ـ على ما عنده، ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازمًا بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثًا عن النبي ﷺ منه إلا عبد الله، مع أن الموجود المروي عن عبد الله بن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة»[٢].

وهذا الإشكال غير وارد إذا اعتبر الاستثناء في قوله: «إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ كان يكتب...» استثناء منقطعًا؛ «إذ التقدير: لكن الذي كان من عبد الله ـ وهو الكتابة ـ لم يكن مني، سواء لزم منه كونه أكثر حديثًا لما تقتضيه العادة أم لا»[٣].

وأما إذا قيل: إن الاستثناء متصل فهنا يرد الإشكال، وللعلماء أجوبة عنه. قال الحافظ ابن حجر: «وإن قلنا: الاستثناء متصل فالسبب فيه من جهات:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلًا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلَّت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدّيًا فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمان مئة نفس من التابعين، ولم يقع هذا لغيره.

ثالثها: ما اختص به أبو هريرة، من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدثه به.

رابعها: أن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين»[٤].

ـ المسألة الثانية: ما قيل في كتابة أبي هريرة للحديث:

لم يكن أبو هريرة يكتب كما تقدم نقله عن الصحيح، ولكن جاءت رواية أشار إليها الحافظ في الفتح بقوله: «قوله: (ولا أكتب) قد يعارضه ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو بن أمية قال: تُحُدِّث عند أبي

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٣).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٧).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٠٧).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٠٧).

هريرة بحديث، فأخذ بيدي إلى بيته، فأرانا كتبًا من حديث النبي ﷺ وقال: هذا هو مكتوب عندي»[(١)]، وجمع بينها وبين رواية الصحيح الحافظ ابن عبد البر، فحمل رواية الصحيح على أنه لم يكن يكتب في عهد النبي ﷺ ثم كتب بعد ذلك، وتعقبه الحافظ ابن حجر فذكر أنه لا يلزم من وجود الحديث عنده مكتوبًا أن يكون هو كاتبه، فقال: «وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبًا عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعيَّن أن المكتوب عنده بغير خطه»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: كونه من أهل الصُّفّة[(٣)]:

كان أبو هريرة رضي الله عنه من أهل الصفة، وهم: «أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال، إذا أتت رسول الله ﷺ صدقة، أرسل بها إليهم، ولم يصب منها شيئًا، وإذا جاءته هدية أصاب منها، وأشركهم فيها»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت في الصفة، فبعث النبي رضي الله عنه إلينا بتمر عجوة، فسكب إلينا، فكنا نقرن الاثنتين من الجوع، فكنا إذ قرن أحدنا قال لأصحابه: إني قد قرنت فاقرنوا»[(٥)].

وهذا في عهد النبي ﷺ، وأما بعد ذلك فقد تحسنت حاله، ويدل على ذلك ما رواه البخاري بسنده عن محمد بن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فتمخط، فقال: بخ بخ؛ أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيًّا علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع»[(٦)]. قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: «وقال ابن بطال عن المهلب: وجه دخوله في الترجمة الإشارة إلى أنه لما صبر على الشدة التي أشار إليها من أجل ملازمة النبي ﷺ في طلب العلم، جوزي بما انفرد به من كثرة محفوظه ومنقوله من الأحكام وغيرها، وذلك ببركة صبره على المدينة»[(٧)].

وللشيخ عبد الكريم الخضير تعليق نفيس في تمخط أبي هريرة في أحد

(١) المصدر نفسه (١/٢٠٧).

(٢) المصدر نفسه (١/٢٠٧).

(٣) الصُّفّة: موضع مظلل في المسجد النبوي كانت تأوي إليه المساكين. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٤٥).

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٤٢٢) [دار النفائس، بيروت، ط٢] وسير أعلام النبلاء (٢/٥٩١).

(٥) أخرجه ابن حبان (كتاب الأطعمة، رقم ٥٢٣٣)، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١٣٢) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٤٨٨٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٣٢٤).

(٧) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٠٧).

الثوبين، ينص فيه على أن حصوله على الثوبين كان بعد وفاة النبي ﷺ، فيقول: «وتمخطه إما لحاجته إلى ذلك، أو إزدراء بهذين الثوبين اللذين حصل عليهما بعد مفارقة الحبيب ﷺ، فلو كان حصولهما خيرًا لوجدا في عهده ﷺ»[(١)].

ـ المسألة الرابعة: المراد بالوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة خوفًا من القتل، وما يتعلق به من مسائل:

ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[(٢)].

وقد بيَّن العلماء المراد بهذا الوعاء الذي كتمه أبو هريرة خوفًا من القتل، وردّوا على من زعم أنه علم الباطن. ويمكن بيان هذا على النحو التالي:

أولًا: ما يتعلق بحقيقة الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة.

هذا الوعاء الذي لم يبلّغه أبو هريرة ليس «فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم والحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين، ولهذا قال عبد الله بن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا، لقلتم: كذب أبو هريرة. وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم؛ لما فيه من الإخبار بتغير دولهم. ومما يبيِّن هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، فليس هو من السابقين الأولين، ولا من أهل بيعة الرضوان، وغيرُه من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه، وكان النبي ﷺ يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم، ولكن كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي ﷺ»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يكني عن بعضه ولا يصرح به؛ خوفًا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة... وإنما أراد أبو هريرة بقوله: «قطع»؛ أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم... وقال غيره: يحتمل أن يكون

(١) انظر الموقع الرسمي للشيخ عبد الكريم الخضير الدرس: الشمائل النبوية (١٣) تاريخ النشر: ٢٣ محرم ١٤٣٦هـ.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢٥٥، ٢٥٦).

أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به»[(١)]. وكتمان هذا النوع من العلوم ليس من كتمان العلم في شيء، قال الإمام الذهبي: «وقد صح أن أبا هريرة كتم حديثًا كثيرًا مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: «لو بثثته فيكم، لقطع هذا البلعوم». وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه، ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء»[(٢)].

بل كان أبو هريرة ـ كغيره من الصحابة ـ من أبعد الناس عن كتمان العلم؛ ولذا كان يقول: «والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ ـ إلى ـ ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة]»[(٣)]. قال الحافظ ابن حجر معلقًا على هذا الحديث والآية: «إن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها؛ لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم»[(٤)].

وبهذا يعرف بطلان الادعاء بأن الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة رضي الله عنه هو علم الباطن كما يقوله بعض الصوفية وغيرهم من الباطنية.

قال ابن تيمية: «ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثًا يوافق الباطنية، ولا حديثًا يخالف الظاهر المعلوم من الدين. ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا، لم يكن بدٌّ أن ينقل عنه أحد شيئًا منه، بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين، وقد روى من أحاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق أصول أهل الإيمان، ويخالف قول أهل البهتان»[(٥)].

وقال ابن كثير: «وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب والقتال وما سيقع، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه، وردوا ما أخبر به من الحق، كما قال: «لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني». وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة، والأعمال

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٢١٦، ٢١٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٣، ٦٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٨).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١/٢١٧).
(٥) مجموع الفتاوى (١٣/٢٥٦).

الفاسدة، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة، ويعتقدون أن ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة، وما من مبطل ـ مع تضاد أقوالهم وأعمالهم ـ إلا ويدعي شيئًا من هذا، وكلهم يكذبون، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده!؟ وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة»[(١)].

ـ المسألة الخامسة: قصة أبي هريرة مع الشيطان وأن ذلك لا يتنافى مع ما في القرآن:

فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ: **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟** قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟** قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: **ما فعل أسيرك البارحة؟** قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ، فقال النبي ﷺ: **أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال**

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٦٩).

يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان»[(١)].

ورؤية أبي هريرة للشيطان وحواره معه لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ لأن المقصود بنفي رؤية الشيطان هو رؤيته على صورته التي خُلِق عليها. قال ابن حجر في حديث أبي هريرة هذا: «إن الشيطان من شأنه أن يكذب، وقد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها»[(٢)].

موقف المخالفين منه:

نال من أبي هريرة كثيرٌ من أهل الأهواء والبدع، وقد ذكر الإمام أبو بكر بن خزيمة أن الطاعن في أبي هريرة رضي الله عنه إما معطل جهمي، وإما خارجي، أو قدري، أو جاهل، رأى كل واحد منهم فيما رواه أبو هريرة ما يبطل مذهبه ويفند بدعته[(٣)].

ومنهم أيضًا الروافض وبعض أذناب المستشرقين ممن يدعي الانتماء إلى أهل السُّنَّة والجماعة، وبيان هذا على النحو التالي:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوكالة، رقم ٢٣١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤٨٩).

(٣) انظر: المستدرك للحاكم مع التلخيص للذهبي (٣/ ٥١٣) [دار المعرفة، بيروت].

أ ـ الروافض:

اتهم الروافض الصحابيّ الجليل أبا هريرة رضي الله عنه بالكذب على رسول الله ﷺ، وبغض آل البيت، ووضع الأحاديث في ذمهم وتنقصهم؛ تحقيقًا لرغبة معاوية كما يدعون، وأنه كان من الموالين لبني أمية العدوِّ الأكبر لآل البيت على حسب زعمهم[(٤)].

ب ـ بعض أذناب المستشرقين:

طعن بعض أذناب المستشرقين ـ منهم محمود أبو ريّة ـ في صاحب رسول الله ﷺ أبي هريرة رضي الله عنه في عدالته، وسلك مسلك الروافض في اتهام هذا الصحابي الجليل راوية الإسلام، تارةً برواية الإسرائيليات ونسبها إلى النبي ﷺ، وتارة أخرى برميه بالكذب والافتراء على رسول الله ﷺ، ووضع الأحاديث في ذم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واتهمه بالخيانة وسرقة أموال الدولة[(٥)]، فقد عقد ترجمة فقال: «وضعه أحاديث على علي»، ثم أورد ما نقله ابن أبي الحديد عن أبي جعفر

(٤) إحقاق الحق لنور الله التستري (١٩٥)، والصراط المستقيم لعلي البياضي (٣/ ٢٥٠، ٢٥١) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].

(٥) انظر: أضواء على السُّنَّة المحمدية لمحمود أبي رية (١٨٠، و١٩١) [دار المعارف، القاهرة، ط٦]، والأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السُّنَّة) من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمٰن المعلمي (١٦٣، و١٨٠) [عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ].

الإسكافي: «إن معاوية حمل قومًا من الصحابة، وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي رضي الله عنه تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة»[(١)].

بل وصل الأمر بالرجل ـ في سبيل تكذيب أبي هريرة رضي الله عنه ـ إلى ادعاء أنه لم يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا عامًا واحدًا وتسعة أشهر[(٢)].

الرد عليهم:

أما طعن الخارجي والجهمي والقدري والجاهل في أبي هريرة، فقد بيَّن الإمام ابن خزيمة بطلانه بقوله: «وإنما يتكلم في أبي هريرة رضي الله عنه ـ لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار ـ إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر، فيشتمون أبا هريرة رضي الله عنه، ويرمونه بما الله تعالى قد نزّهه عنه؛ تمويهًا على الرعاء والسفل، أن أخباره لا تثبت بها الحجة.

وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعُهُ الوقيعةَ في أبي هريرة رضي الله عنه.

أو قدري اعتزل الإسلام وأهله، وكفَّر أهل الإسلام، الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى، وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة رضي الله عنه التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر، لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة رضي الله عنه لا يجوز الاحتجاج بها.

أو جاهل: يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه وأخباره؛ تقليدًا بلا حجة ولا برهان تكلم في أبي هريرة رضي الله عنه، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه»[(٣)].

وأما اتهام الروافض للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بشتى أنواع التهم، كالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل المال، وبغض علي وآله، فهو اتهام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/ ٣٥٨). وانظر: أبو هريرة لشرف الدين (٤٢) [مؤسسة أنصاريان، قُم].

(٢) أضواء على السُّنَّة المحمدية (١٧٣)، وشيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية (١٢٤) [منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣].

(٣) المستدرك للحاكم مع التلخيص للذهبي (٣/ ٥١٣).

باطل ظالم، دافعهم إليه حقد دفين وغل شديد، فيه بوجه خاص، وفي الصحابة رضي الله عنهم بوجه عام، وهم متبوع محمود أبي رية، فما هو إلا بوق من أبواقهم، يجترّ مروياتهم المكذوبة، وينادي بأفكارهم المأفونة[1]. ومن الأدلة على ذلك ما تقدم في فضائل أبي هريرة رضي الله عنه، وبيان ما كان عليه من الحرص على العلم، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالحفظ وعدم النسيان، وشهادة الصحابة له بالصدق والحفظ، كما تقدم في بيان منزلته. ومع هذا كله لم يثبت قط عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه روى رواية إسرائيلية وجعلها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يمكن ذلك وهو ممن روى حديث تحريم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[2]. وبهذا يظهر أيضًا بطلان دعوى رواية أبي هريرة الإسرائيليات، ونسبه إياها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٤)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٧)، لابن حجر.

٣ ـ «الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السُّنَّة) من الزلل والتضليل والمجازفة»، لعبد الرحمٰن المعلّمي.

٤ ـ «البداية والنهاية» (ج١١)، لابن كثير.

٥ ـ «تاريخ دمشق» (ج٦٧)، لابن عساكر.

٦ ـ «دلائل النبوة» (ج١)، لأبي نعيم.

٧ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٢)، للذهبي.

٨ ـ «الطبقات»، لخليفة بن خياط.

٩ ـ «فتح الباري» (ج١) لابن حجر.

١٠ ـ «نسب معد واليمن الكبير» (ج٢)، للكلبي.

هود عليه السلام

اسمه ونسبه:

هود بن شالَخ بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو عابر بن شالخ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إِرم بن سام بن نوح عليه السلام[3].

(١) يراجع في نقض مفترياتهم وأباطيلهم كتاب: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السُّنَّة من الزلل والتضليل والمجازفة، للعلامة عبد الرحمٰن المعلمي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (المقدمة، رقم ٣).

(٣) انظر: تاريخ ابن جرير الطبري (١/ ٢١٦) [دار المعارف، مصر، ط٢]، والمنتظم في التاريخ (١/ ٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، =

وقد ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور أن هودًا عليه السلام من جملة الأنبياء العرب، ففي الحديث أنه قال رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يا أبا ذر، أربعة - يعني: من الرسل - سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم»**[(١)].

معنى اسمه لغة:

هود اسم أعجمي، وانصرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف، وقد يجوز أن يكون عربيًّا من: هاد يهود[(٢)]، ومعناه: رجع وتاب[(٣)].

نبوَّته:

أرسل الله تعالى هودًا عليه السلام إلى عاد الأولى، وهم عادُ إِرَمَ، وقد ذُكر في القرآن في سياق بيان إرسال الرسل ودعوتهم، فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ﴾ [هود: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء].

فهذه الآيات وأمثالها تدلّ على أن هودًا عليه السلام كان نبيًّا مرسلًا.

دلائل نبوّته:

من آيات هود عليه السلام الخاصة: أنه تفرد في دعوة قومه، وتسفيه أحلامهم، وتضليلهم، والقدح في آلهتهم، وهم أهل بطش وقوة وجبروت، وقد خوفوه بآلهتهم إن لم ينته؛ أن تمسه بجنون أو سوء، فتحدَّاهم، وقال لهم جهارًا: ﴿...إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود]، فلم يصلوا إليه بسوء، فأي آية أعظم من هذا التحدي لهؤلاء الأعداء الحريصين على إبطال دعوته بكل طريق[(٤)].

= والبداية والنهاية لابن كثير (١/٢٨٢) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/١٧١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٢/٤٧٠) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جدًّا». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/٣٨٧) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٢٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٦/١٨) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: قصص الأنبياء للسعدي (٣٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا وحده برهان قاطع على أن هودًا عبد الله ورسوله، وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوء، ولا نالوا منه مكروهًا، فدل على صدقه فيما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه، وفساد ما ذهبوا إليه»(١).

وقد أنكر قومه أنه جاءهم ببيِّنة، كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ [هود: ٥٣]، وهذا إن كان قصدهم بالبيِّنة: البيِّنة التي يقترحونها فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببيِّنة تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك؛ فإنه ما جاء نبي لقومه إلا وبعث الله على يديه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، ولو لم يكن له آية إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخُلق جميل، والنهي عن كل خُلق ذميم من الشرك بالله، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود عليه السلام من الصفات التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم لكفى بها آيات وأدلة على صدقه، ومن آياته وبيناته الدالة على صدقه أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه ويناديهم ويعجزهم(٢).

دعوته:

دعا هود عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون غيره، وترك ظلم الناس، وأمرهم بتقوى الله تعالى، وبالتوبة والاستغفار، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة؛ وذكرهم بنعم الله عليهم، وخوَّفهم من عقابه وانتقامه، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء].

كما دعاهم هود عليه السلام إلى الإيمان

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٤٤١، ٤٤٢) [دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ].

بالبعث بعد الموت، فردوا عليه بنحو مقالة الزنادقة الدهرية الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، وأنكروا قيام الأجسام بعد صيرورتها ترابًا وعظامًا؛ فقالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون].

فهذه أصول دعوة هود عليه السلام: إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة الأصنام، والإيمان باليوم الآخر، وما يتضمنه من البعث، والنشور، والحساب، ونحوه، وترك الظلم والطغيان والتجبر والتكبر، والتوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب، وأعظمها التوبة من الشرك.

قومه وموقفهم منه:

أرسل الله هودًا إلى عاد الأولى، وهم عادُ إرمَ، وليست هي عاد الآخرة، وكانوا مقيمين بالأحقاف، من رمال حضرموت، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]، وذُكر أنهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانوا أهل قوة وبطش وظلم وطغيان، مع ما أنعم الله عليهم من النعم، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء].

فلما كانوا كذلك تكبروا واستكبروا عن عبادة الله تعالى، وكذبوا هودًا عليه السلام، ورموه بأقبح الأوصاف، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود].

واحتجّوا بأنه بشر مثلهم، وهذه حجة كل من استكبر عن اتباع الرسل، ورموه بالكذب والافتراء، وكذبوا باليوم الآخر، وبالبعث والنشور، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون].

قال ابن كثير: «وهذا هو اعتقاد الدهرية، كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة، أرحام تدفع، وأرض تبلع، وأما الدورية فهم الذين يعتقدون أنهم

يعودون إلى هذه الدار، بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة، وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد، بلا برهان ولا دليل، يستميل عقل الفجرة الكفرة من بني آدم، الذين لا يعقلون ولا يهتدون»[(١)].

فلما لم يستجيبوا أهلكهم الله تعالى بريح عاتية، فيها عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝٢٥﴾ [الأحقاف].

وفاته:

لم يذكر شيء عن وفاته، وإنما ورد ذكر مكان قبره؛ فقيل: هو بمكة، بين الحِجر وزمزم. وقيل: هو في بلاد اليمن في حضرموت[(٢)]. وذكر آخرون: أنه بدمشق، وبجامعها مكان في حائطه القبلي يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام[(٣)].

والتحقيق أنه لم يثبت شيء من ذلك، وهذا عام في قبور الأنبياء عليهم السلام، إلا قبر نبينا محمد ﷺ في المدينة النبوية، وكذلك ما ذكر عن قبر إبراهيم عليه السلام وفيه نزاع معروف.

المسائل المتعلقة:

معنى الأخوّة التي أثبتها القرآن لهود عليه السلام مع قومه:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، قال أهل التفسير: يجوز أن يكون المراد بأنه بشر مثلهم، من ولد أبيهم آدم، وقالوا: ويجوز أن يكون المراد بالأخوّة هنا أخوة النسب والقبيلة والقوم، لا أخوّة الدين؛ إذ لا أخوّة بين المسلم والكافر، ولو كان أقرب قريب، ويقال: هذا كذلك في صالح عليه السلام مع قومه، وشعيب عليه السلام وقومه[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج١)، للقاضي عياض.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٩١).

(٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٢١)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣) [دار الحرمين، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٠٣).

(٤) ينظر: زاد المسير (٣/ ٢٢٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٣هـ]، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٠٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، وتفسير السعدي (٣٣٠).

الهيمنة

٣ ـ «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ ـ «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها» لمحمد خليل هراس.

٥ ـ «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للثعلبي.

٦ ـ «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ ـ «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

٨ ـ «كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج٢)، للحاكم النيسابوري.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ حكمي.

الهيمنة

يراجع مصطلح (المهيمن).





واجب الوجود

التعريف لغةً:

الوجود من مادة (و ـ ج ـ د)، قال ابن فارس: «الواو والجيم والدال يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلفيه»[(١)]. و«الوجود خلاف العدم»[(٢)]. وأما لفظ (واجب) فيقول الجوهري: «وَجَب الشيء؛ أي: لَزِم، يَجِب وجوبًا، وأَوجبه الله... ووجَب الميت إذا سقط ومات، ويقال للقتيل: وَاجب»[(٣)]. وفي اللسان: «أوجبه هو، أو استوجبه؛ أي: استحقه»[(٤)]. فالوجوب في اللغة هو اللزوم، كما يأتي بمعنى السقوط. ولم يأت في كتب اللغة مصطلح: (واجب الوجود) بهذا التركيب، فهو محدث، وبالنظر لمفرداته فهو يعني لازم الوجود.

التعريف اصطلاحًا:

واجب الوجود مصطلح استحدثه الفلاسفة، ويعني ضروري الوجود، والذي يستحيل افتراض عدم وجوده، يقول ابن سينا في تعريفه: «إن الواجب الوجود، هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال، والواجب الوجود هو الضروري الوجود»[(٥)]. وقال التفتازاني: «الوجوب ضرورة الوجود أو اقتضاؤه أو استحالته العدم»[(٦)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنيان متقاربان، فلزوم الوجود يعني ضرورة الوجود، ولم يأت هذا المصطلح بهذا التركيب في كتب اللغة.

الحكم:

إن تقسيم الموجودات إلى واجب وممكن مستحدث من ابن سينا ومن جاء بعده[(٧)]. فالفلاسفة المتأخرون غالبًا ما

---

(١) مقاييس اللغة (٦/٨٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) المصباح المنير (٢/٨٩١) [دار القلم].

(٣) الصحاح (١/٢٣١، ٢٣٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]. وانظر: العين (٦/١٩٣) [دار مكتبة الهلال].

(٤) لسان العرب (١/٧٩٣) [دار صادر].

(٥) النجاة (٢/٧٧) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ]، وانظر: معيار العلم (٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، المبين (٧٩) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٣هـ]، المطالب العالية (١/١٣٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٦) شرح المقاصد (١/٤٥٨) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٧) الصفدية (٢/١٨٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، =

يسمون الرب ﷻ: واجب الوجود[(١)]، وقلدهم في هذه التسمية متأخرو الأشاعرة[(٢)]، وهذا غير صحيح؛ لعدم ورود هذا اللفظ في الكتاب والسُّنَّة، فضلًا عن أن يكون من الأسماء الحسنى.

الأقسام:

يقسم ابن سينا واجب الوجود إلى قسمين واجب الوجود بذاته، وواجب الوجود بغيره. وتابعه على هذا التقسيم بعض متأخري المتكلمين[(٣)]، ويعرف الرازي الواجب بذاته بأنه: «الموجود الذي تكون حقيقته غير قابلة للعدم البتة»[(٤)]. وفي الصحائف: «الواجب بالذات ما يقتضي لذاته وجوده في الخارج»[(٥)]. أما الواجب بغيره فهو الممكن.

المسائل المتعلقة:

- هل يطلق واجب الوجود على الله ﷻ؟

= ١٤٠٦هـ]. وانظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ١٣٢) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(١) انظر: درء التعارض (٢/ ٣٩١) [مكتبة ابن تيمية].

(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى (٣٥٩) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: النجاة (٢/ ٧٧)، معيار العلم (٣٣١، ٣٣٢)، المبين (٧٩)، التعريفات (٣٠٤) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) المطالب العالية (١/ ١٣٤). وانظر: المباحث المشرقية (١/ ٢١٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٠هـ].

(٥) الصحائف الإلٰهية للسمرقندي (١٢٤) [مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٥هـ].

أهل السُّنَّة قد يطلقون واجب الوجود على الله من باب الإخبار عن الله، وذلك في المناظرات، والمناقشات، مع من يستخدم هذا اللفظ. كما أنهم يرون أن الوجوب الذي دل عليه الدليل هو وجوده ﷻ بنفسه، واستغناؤه عن موجد. في حين أن الفلاسفة يضيفون إلى هذا اللفظ معاني أخَر غير صحيحة كنفي الصفات. يقول شيخ الإسلام: «الوجوب الذي دل عليه الدليل، إنما هو وجوده بنفسه، واستغناؤه عن موجد، فحمّل هو[(٦)] هذا اللفظ ما لا دليل عليه، مثل عدم الصفات، وأشياء غير هذه»[(٧)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «درء التعارض» (ج٢)، لابن تيمية.

٢ ـ «الصفدية» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ ـ «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٤ ـ «موقف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من وجود الله وإيجاده للمخلوقات»، لسيرين إلمان [رسالة ماجستير].

(٦) أي: ابن سينا.

(٧) الصفدية (٢/ ١٨١). وانظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ١٣١، ١٣٢).

٥ ـ «المباحث المشرقية» (ج١)، للرازي.

٦ ـ «موسوعة مصطلحات الإمام الفخر الرازي».

٧ ـ «موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب»، لجيرار جهامي.

٨ ـ «النجاة في المنطق والإلٰهيات»، لابن سينا.

الواحد

يراجع مصطلح (الأحد).

الوارث

التعريف لغةً:

الوارث اسم فاعل من الإرث، مأخوذ من الأصل الثلاثي (ورث) الدال على أن الشيء يكون لقوم ثم يصير لآخرين بنسب أو سبب، يقال: وَرِث يَرِث إِرْثًا ووِرْثًا وميراثًا فهو وارث، فاعلًا ومفعولًا، والإرث والورث: انتقال قِنْيَة إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، ويطلق الوارث على من بقي بعد موت غيره، والتراث: الإرث والموروث.

وأورث يُوْرِث: جعل غيره يرث، وورّثه بمعنى واحد، وتوارثوا الشيء ورثه بعضهم من بعض[1].

التعريف شرعًا:

الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق[2]، والمسترد أملاكهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورّثها من يشاء ويستخلف فيها من أحب[3].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى يَرث الأرض ومَن عليها، وأنه ﷻ خير الوارثين.

الحقيقة:

إن الله ﷻ هو الأول والآخر، وهو خير الباقين، يرث الأرض ومن عليها،

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/١١٧) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٨٩) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (١/٢٩٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٦٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٢٤) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٥) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، واشتقاق أسماء الله (١٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٩٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/١٨٩) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، الأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٧) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وتفسير القرطبي (١٠/١٨) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وأضواء البيان للشنقيطي (١٦/٤٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٩٦، ٩٧).

وما بيد العباد فإنه كله يرجع إليه سبحانه وتعالى وهو خير الوارثين.

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣﴾ [الحِجر]، وفي دعاء زكريا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ [الأنبياء].

أقوال أهل العلم:

قال الأزهري: «الوارث: صفة مِن صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدّائم، والله عز وجل يَرث الأرض ومَن عليها، وهو خير الوارثين؛ أي: يَبقى ويَفْنى مَن سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وَحْده لا شريك له»[1].

وذكره من الأسماء الحسنى ابن خزيمة في التوحيد، والبيهقي في الأسماء والصفات وفي الاعتقاد، وابن عثيمين في القواعد المثلى[2].

المسائل المتعلقة:

خير الوارثين؛ ومعناه: أن الله هو الباقي الدائم، بعد فناء الخلق كلهم، وهو اسم من أسماء الله الحسنى؛ لوروده في النص، وثبوت الدعاء به، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء]

قال ابن كثير رحمه الله في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾: «دعاء وثناء مناسب للمسألة»[3].

نص بعض أهل العلم على أن (خير الوارثين) اسم من أسماء الله، حيث ذكروه ضمن الأسماء الحسنى؛ كابن منده[4] وابن الوزير[5].

وهذا الاسم (خير الوارثين) من الأسماء المضافة، ولأهل العلم كلام في عدِّها من الأسماء الحسنى، وممَّن يعدُّها شيخ الإسلام ابن تيمية، إذ يقول: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك، مما

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٨٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٠)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٧)، والاعتقاد له (٦٦)، القواعد المثلى لابن عثيمين ـ ضمن مجموع فتاواه (٣/ ٢٧٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٩/ ٤٣٩) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ٢٠٤) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: إيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م].

ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين»[(١)].

ومن الملاحظ أن (خير الوارثين) جاء في سياق الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

الآثار:

حثَّ الله عباده المؤمنين على النفقة في سبيله من المال الذي منّ عليهم به، وجعلهم مستخلفين فيه، مذكرًا لهم بأنه الوارث سبحانه، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد]، إلى أن قال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد][(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٢ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٥ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ ـ «كتاب التوحيد»، لابن منده.

٧ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «الاعتقاد»، للبيهقي.

الواسطة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العَدل والنَّصف. وأعدل الشيء أوسطه ووسطه»[(٣)]. والتَّوسيط أن تجعل الشيء في الوسط. والتَّوسط بين الناس من الوَساطة[(٤)]. ووسَطُ الشيء ما بين طرفيه[(٥)].

التعريف شرعًا:

الواسطة لفظ مجمل؛ قد يراد به الرسل في تبليغهم أمر الله؛ لأن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٢٥٨).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: الصحاح (٣/ ١١٦٧) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ].

(٥) انظر: لسان العرب (٧/ ٤٢٦) [دار صادر].

به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، إلا بالرسل الذين أرسلهم إلى عباده، فهم واسطة في التبليغ.

وقد يراد بالواسطة أنه لا بد له من التوسط في جلب المنافع ودفع المضار؛ بأن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم؛ يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، وهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار[1].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي أخذ من المعنى اللغوي معنى التوسط بين طرفين، وخص المعنى الشرعي بالتوسط بين المخلوق والخالق.

الأدلة:

الأدلة التي تنهى عن اتخاذ واسطة بين العبد وربه، وتدعو إلى التوجه إلى الرب بالدعاء كثيرة، ومنها قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧].

الأقسام:

١ ـ **الواسطة الشرعية**: وهي واسطة الرسل في تبليغهم أمر الله؛ لأن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه، إلا بالرسل الذين أرسلهم إلى عباده. فهم واسطة في التبليغ[2]، وهذه لا غنى للبشر عنها، ومن نفى هذه الواسطة وزعم الأخذ مباشرة عن الله كملاحدة الصوفية فهو كافر[3].

٢ ـ **الواسطة الشركية**: كمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية وهذا شرك[4]. وكذلك من جعل الملائكة

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢١ ـ ١٢٣) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ] بتصرف.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢١، ١٢٢) بتصرف.

(٣) انظر: بغية المرتاد (٣٩٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ]، وشرح الطحاوية (٢/ ٧٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٥).

والأنبياء أو غيرهم وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، فهو كافر بإجماع المسلمين[(١)].

مذهب المخالفين:

المخالفون في الواسطة على طرفين:

الأول: نفاة الواسطة الشرعية، ومنهم ملاحدة الصوفية، الذين يرون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة أحد من الأنبياء، وهذا كفر أكبر[(٢)].

الثاني: مثبتة الواسطة الشركية، ومنهم عبَّاد القبور الذين يتوجهون بالدعاء والسؤال لمن يقدسونه من الموتى وغيرهم، ويسمونهم الوسائط، وفعلهم شرك أكبر[(٣)].

والوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد ثلاثة وجوه يتنزه الرب عنها:

الأول: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو ﷻ يعلم السر وأخفى.

الثاني: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أنصار وأعوان لذُلِّه وعجزه، والله ﷻ ليس له ظهير ولا ولي من الذل. وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه.

الثالث: أن يكون الملك ليس مُرِيدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج؛ فإذا خاطب الملك من ينصحه ويُعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملِك وهِمَّتُهُ في قضاء حوائج رعيته، والله ﷻ هو رب كل شيء ومليكه، وليس كملوك الدنيا[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بغية المرتاد»، لابن تيمية.

٢ ـ «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.

٣ ـ «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيم [بحث منشور].

٤ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن»، لابن تيمية.

٥ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٢٤).

(٢) انظر من كتبهم: فصوص الحكم (١/ ٦٣) [دار الكتاب العربي]، ورد أهل السُّنَّة عليهم: بغية المرتاد (٣٩٩)، وشرح الطحاوية (٢/ ٧٤٤).

(٣) انظر عنهم: الرد على البكري لابن تيمية، وهو بكامله رد عليهم، ومجموع الفتاوى (١/ ١٢٦، ١٢٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦، ١٢٧).

٦ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٧ ـ «الواسطة بين الحق والخلق»، لابن تيمية.

٨ ـ «الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السُّنَّة ومخالفيهم»، للمرابط الشنقيطي.

الواسِع

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق، والعسر، يقال: وسُع الشي واتَّسع، والوُسع: الغنى، والله الواسع: الغني»[1].

الواسِع اسم فاعل من الوُسع، بمعنى الغني، والوُسع: الغنى، والوسع: القدرة والطاقة والجِدة، وذو سعة؛ أي: جدة وطاقة وقدرة وغنى، وأوسع الرجل فهو موسَع: إذا كثر ماله، وأوسع الله عليه: أغناه، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧][2].

(١) مقاييس اللغة (٦/١٠٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٩٥، ٩٦) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٣/١٢٩٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٧٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٩٩٥، ٩٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٣١) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

التعريف شرعًا:

الواسع: هو الغني الذي يسع عباده بجوده وكرمه وفضله، كما يدلّ على سعة علمه وقدرته، وحلمه ومغفرته، ونحوها من نعوت الكمال وصفات الجلال[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لاسم الجلال الواسع علاقة مطابقة، فالواسع في اللغة خلاف الضيّق، والله عَزَّ وَجَلَّ كذلك لا حدود لكماله وجلاله وعظمته وملكه وسلطانه وقوته وقدرته، وجوده وفضله وكرمه وإحسانه.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله الواسع، وأنه من أسمائه الحسنى، المتضمن سعة جوده، وكرمه، وعلمه وقدرته، وسعة إحاطته بكل شيء[4].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾ [الأنعام: ٨٠].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/٥٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠١٣، ١٠١٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (١/٦٦٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠١٣، ١٠١٤).

ومن السُّنَّة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد. فقال: «**أوكلكم يجد ثوبين؟**». ثم سأل رجل عمر فقال: «إذا وسَّع الله فأوسعوا»(١).

وورد في دعاء الجنازة عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله**»(٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: «الواسع، وسعت رحمته الخلق أجمعين، وقيل: وسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحدًا إلا وهو يأكل رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رزق»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله في سياق كلامه على آية: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٦]: «فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سيق الكلام لأجلها، وإنما سيق لذكر عظمة الرب، وبيان سعة علمه، وملكه، وحلمه، والواسع من أسمائه»(٤).

وقال السعدي رحمه الله: «الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان عظيم الجود والكرم»(٥).

المسائل المتعلقة:

- الجمع بين اسمي الواسع والعليم:

أشار الإمام ابن القيم إلى السر في الجمع بين اسمي الجلال (الواسع) و(العليم) في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة]، فقال: «ثم ختم الآية بإسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها، وهما: الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته؛ بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٣٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).
(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ].
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠١٤).
(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

أهله بحكمته وعلمه»[١].

الفروق:

الفرق بين الغني والواسع:

قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قال قائل: فإذا كان معنى الواسع عندك والغني سواء، فما الوجه في تكرارهما؟

قلنا له: قد مضى القول في هذا شرح قولنا: (عليم وبصير)، وما جاء في كلام العرب من اختلاف اللفظ واتفاق المعاني، اتساعًا وتبسيطًا في الكلام، فبني لمعنى واحد من صفاته لفظتان؛ ليكون ذلك أبلغ في المدح وأكمل في الوصف.

ومع ذلك فالواسع قد يتضمن من المعنى ما لا يتضمنه الغني، ويتصرف فيما لا يتصرف الغني، كقولنا: يا واسع الفضل، يا واسع الرحمة، وكقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ أي: عمَّت رحمتك كل شيء، وأحاط علمَّك بكل شيء»[٢].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، للأصبهاني.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٥ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٦ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ ـ «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى»، لغريب بن محمد.

٩ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الوالي

يراجع مصطلح (الولي).

الوتر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواو والتاء والراء باب لم تجئ كلمُهُ على قياس واحد، بل مفردات لا تتشابه. والوِتر والوَتر: الفرد»[٣].

الوتر في العدد خلاف الشفع، وهو العدد المفرد، والشفع العدد المزدوج، قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر]، وأوتر في الصلاة، صلى الصلاة

(١) طريق الهجرتين (٥٤٠) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٢) اشتقاق أسماء الله (٧٣).

(٣) مقاييس اللغة (٦/٨٣، ٨٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

وترًا أي: بعدد مفرد من الركعات، كالواحد والثلاث والخمس ونحوها، وأوتر العدد: أفرده، والتواتر: تتابع الشيء وترًا؛ أي: فرادى، وجاؤوا تترى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]؛ أي: متتابعين واحدًا بعد الآخر[(١)].

التعريف شرعًا:

الوتر: هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير له، والواحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وفي أفعاله لا معين له[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الوتر في اللغة يدل على الوحدانية والتفرد، وكذلك الله ﷻ هو الواحد الفرد الصمد، لا شريك له ولا نظير ولا كفء ولا ند سبحانه وتعالى.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت الوتر اسمًا من أسماء الله ﷻ، يليق بجلاله، وعظمة سلطانه[(٣)].

الحقيقة:

الوتر: هو المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فهو اسم دال على وحدانية الله تعالى سبحانه، وتفرده بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه ليس له شريك ولا مثيل في شيء منها.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر**»[(٤)].

وعن علي رضي الله عنه قال: الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة، ولكن سنَّ رسول الله ﷺ وقال: «**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**»[(٥)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٣١٠ ـ ٣١٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢/ ٨٤٢، ٨٤٣) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٥٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٦٣١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٠٩، ١٠١٠) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: شأن الدعاء (١٠٤) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٠) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، ونقض المنطق (٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، وفتح الباري (١١/ ٢٢٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وتعليقات الألباني على سنن ابن ماجه (٢٠٨) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٣١٩) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: لقاء الباب المفتوح مع الشيخ ابن عثيمين ـ موقع الشيخ ابن عثيمين ـ رقم الشريط (٦٢)، الوجه (٢)، الدقيقة: (٠٠:٢٥:٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤١٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤١٦)، والترمذي (أبواب الوتر، رقم ٤٥٣) وحسنه، والنسائي (كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رقم ١٦٧٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١١٦٩)، وأحمد (٢/ ١٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح =

أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل شيء خلقه فهو شفع؛ السماء شفع، والوتر: الله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي الكتاب والسُّنَّة أسماء ليست في ذلك الحديث: وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: **«إن الله وتر يحب الوتر»**، وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب تعالى يحب أسماءه وصفاته، ويحب مقتضى صفاته، وظهور آثارها في العبد؛ فإنه جميل يحب الجمال، عفو يحب أهل العفو، كريم يحب أهل الكرم، عليم يحب أهل العلم، وتر يحب أهل الوتر، فإذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته، فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف»(٣).

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إن الله وتر»: بكسر الواو، وتفتح؛ أي: واحد في ذاته، وواحد في صفاته، لا مثيل له، ولا شبيه، وواحد في أفعاله لا معين له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]»(٤).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن يكون اسمًا ـ يعني: الوتر ـ من أسماء الله، ويحتمل أن لا يكون؛ لأن بعض العلماء ذكر قاعدة، قال: ما جاء معرفًا بأل فهو من أسماء الله، وما لم يأت معرفًا فهو صفة من صفات الله، وبعض العلماء يقول: كل صفة من صفات الله وصف الله بها نفسه، ووصفه به رسوله فإنها اسم، وعلى هذا فيتنزل الجواب؛ إن قلنا: إن أسماء الله هي المقرونة بأل، فالوتر لا أعلم جاء مقرونًا بأل، وإن قلنا: كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله، سواء بأل أو بغير أل فهو اسم، قلنا: إن الوتر من أسماء الله، والله أعلم»(٥).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: «وهذا الحديث يدل على أن الوتر من أسماء الله، وأنه يحب مقتضى هذا الاسم الذي هو الوتر»(٦).

الآثار:

إن إيمان العبد بأن الله وترٌ يوجب

= أبي داود رقم (١٢٧٤) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) صحيح البخاري (كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) عدة الصابرين (٨٥) [دار عالم الفوائد، ط١]. وانظر كذلك: (٥٤٤).

(٤) تعليقات الألباني على سنن ابن ماجه (٢٠٨) [مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) لقاء الباب المفتوح مع الشيخ ابن عثيمين ـ موقع الشيخ ابن عثيمين ـ رقم الشريط (٦٢) الوجه (٢)، الدقيقة: (٠٠:٢٥:٣٤).

(٦) شرح سنن الترمذي، رقم الشريط (١٧٢)، موقع الشيخ عبد المحسن العباد.

عليه نفي الشريك من كل وجه، في الذات والصفات والأفعال، وإقراره بتفرد الله ﷻ بالعظمة والكمال وصفات المجد والجلال، وأن يفرده بالعبادة والذل والخضوع.

كما يدل هذا الاسم على حبّه ﷻ لكل وتر شرعه، حيث أمر ورغّب الوتر في كثير من الأعمال والطاعات، كما في الصلوات الخمس، وقيام الليل، وأعداد الطهارة، وتكفين الميت، وغير ذلك من الشرائع، وكان ﷺ يحرص على الوتر في كثير من شؤونه، ومن حبّ الله ﷻ للوتر خصّ تسعة وتسعين اسمًا من أسمائه الحسنى بأن من أحصاها دخل الجنة[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله وصفاته»، للأشقر.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «الحق المبين شرح الكافية الشافية»، للسعدي.

٥ ـ «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم.

٦ ـ «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة»، لابن تيمية.

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٣٢٠ ـ ٣٢٢).

٧ ـ «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات»، لابن تيمية.

٨ ـ «عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة»، لهراس.

٩ ـ «شأن الدعاء»، لأبي سليمان الخطابي.

١٠ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

١١ ـ «فقه الأسماء الحسنى» لعبد الرزاق البدر.

الوجه

قال ابن فارس: «الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة الشيء، والوجه مستقبل لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربما عبَّر عن الذات بالوجه تقول: واجهت فلانًا: جعلت وجهي تلقاء وجهه»[(٢)].

التعريف شرعًا:

وَجْهُ الله ﷻ صفة من صفاته الذاتية الخبرية، ثابتة له جلَّ وعلا كما يليق بجلاله وعظمته[(٣)].

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٦٢٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: كتاب صفات الله لصالح المسند (٣٥ ـ ٣٨) [دار المدني، جدة، ط٢، ١٤١٢هـ]، وصفات الله للسقاف (٣٦٨) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٥٨) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

۞ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

۞ الأدلة:

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن]، إلى غير ذلك من الآيات.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**». فقال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**». قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال النبي ﷺ: «**هذا أيسر**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(٢).

۞ أقوال أهل العلم:

قال عبد الرحمٰن بن القاسم من تلاميذ الإمام مالك: «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يُشَبِّه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف نفسه به في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له وشبيه، ولكن هو الله لا إلٰه إلا هو كما وصف نفسه»(٣).

وقال ابن خزيمة: «أثبت الله لنفسه وجهًا وصفه بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه، فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أنَّا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يَشْبَه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٣) نقله عنه ابن أبي زمنين في أصول السُّنَّة (٧٥) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ].

نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ»[(١)].

وقال ابن تيمية: «ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة، وأما لفظ الوجه فلا يمكن استقصاء النصوص المثبتة له»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ما أثر عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] لا يعتبر تأويلًا:

لقد فسر جماعة من السلف قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] بالقبلة، وهو مروي عن ابن عباس[(٣)] ومجاهد[(٤)] والشافعي[(٥)]، وهذا الرأي انتصر له ابن تيمية، وذكر أن هذه الآية ليست من نصوص الصفات[(٦)]، وهذا المسلك قد ارتضاه الدكتور عبد الرزاق بن طاهر معاش[(٧)] في توجيه الآية المذكورة، ولكن لا يلزم من تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ بالقبلة عدم ثبوت صفة الوجه لله تعالى، فهناك آيات وأحاديث كثيرة تدل على ذلك من غير شك، وتفسير من فسرها من السلف بالقبلة لا يفهم منه أنهم لا يرون ثبوت صفة الوجه لله تعالى، فإن إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أمر متفق عليه عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين.

ـ المسألة الثانية: حكم السؤال بوجه الله تعالى:

لا يسأل بوجه الله ﷻ إلا الجنة أو ما هو وسيلة لها ومقرب إليها، ولا يسأل بوجه الله الأشياء الحقيرة من مطالب الدنيا وحوائجها التافهة الفانية، وهذا من باب إجلال وجه الله ﷻ وإكرامه وتعظيمه سبحانه، وسؤال المرء بوجه الله ﷻ أمرًا من أمور الدنيا دليل على نقصان توحيده وعدم تعظيمه لوجه الله تعالى حق تعظيمه سبحانه[(٨)].

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (١/ ٢٥ ـ ٢٧) [مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ].

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥٢٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) أخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١٢) [مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ]، كما في التفسير الصحيح المسبور (١/ ٢٢١) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٤) أخرج عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٦٠) [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٠٧) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وإسناده لا ينزل عن درجة الحسن كما في التفسير الصحيح المسبور (١/ ٢٢١).

(٥) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٢٩ و٣/ ١٩٣ و٦/ ١٥ ـ ١٧).

(٧) انظر: مسالك أهل السُّنَّة فيما أشكل من نصوص العقيدة (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧) [دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٨) انظر: المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان =

مذهب المخالفين:

الوجه صفة من الصفات الذاتية الخبرية، فهي من جملة الصفات التي أنكرها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرها المتأخرون من الأشاعرة ومن وافقهم، وأوَّلوا النصوص الواردة فيها بتأويلات باطلة، فتارة زعموا أن لفظ الوجه في النصوص المذكورة زائد، وتارة زعموا أن المراد به الذات وليس الوجه، وهذا عين الأول، وتارة أوَّلوها بالثواب والإنعام والجزاء، وتارة زعموا أن المراد بها القبلة، وكل هذه التأويلات باطلة؛ فإن كلام الله ﷻ منزَّه عن الحشو والزيادة واللغو، وقد ثبت أن النبي ﷺ استعاذ بوجه الله، فلو كان المراد بالوجه الثواب أو الجزاء أو القبلة لما استعاذ النبي ﷺ بالوجه؛ لأنها كلها مخلوقة، والاستعاذة بالمخلوق لا يجوز[1]، وإن فسرت بعض هذه النصوص بالقبلة من قبل جماعة من السلف وكان مقبولًا في موضعه فلا يمكن تطبيقه في النصوص الأخرى الكثيرة الدالة على ثبوت صفة الوجه والصورة لله تعالى.

فالقول الصحيح والمذهب الحق هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة وأجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وهو أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٢ ـ «أصول السُّنَّة»، لابن أبي زمنين.

٣ ـ «اعتقاد أئمة أهل الحديث»، للإسماعيلي.

٤ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمية.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١ و٢)، للتيمي.

٦ ـ «كتاب التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢ و٣ و٦)، لابن تيمية.

= (٢/ ٦، ٧) [دار العسل، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٦ ـ ٥٢٨) لصالح آل الشيخ [وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ] وغيره من شروح كتاب التوحيد.

(١) انظر من كتب أهل السُّنَّة: نقض الدارمي على المريسي (٤١٧ ـ ٤٣٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٧٤ ـ ١٨٨)، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٧) [مكتبة وهبة، ط٢]، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣١، و٥/ ٩) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (١٠٩، ١١٠) [مدرسة الإلٰهيات بدار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، وأساس التقديس للرازي (١٥١ ـ ١٥٦) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٣٢٤، و٣/ ٢٤٩).

٨ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، للموصلي.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

الوجود

يراجع مصطلح (وجود الله).

وجود الله تعالى

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والجيم والدال يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلْفيه»[١]. والوجود ضد العدم، مصدر وَجَدَ الشيء يَجِدُهُ وجودًا[٢]. و«كوّن الله الشيء فكان؛ أي: أوجده»[٣]. والمعاني السابقة تدل على أن الموجود خلاف المعدوم، والوجود خلاف العدم، وهو الكون.

التعريف اصطلاحًا:

وجود الله ﷻ أعظم الحقائق وأكمل الوجود، فهو وجود لم يسبقه عدم، ولا يلحقه فناء، والعباد مفطورون على الإقرار بوجوده ﷻ، إلا من تغيرت فطرته.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي موافق للاصطلاحي في المعنى الكلي العام، إلا أنه في حق الرب له مطلق كمال الوجود.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود الله تعالى، وأنه من صفات كماله سبحانه، وأنه جل وعلا لم يسبق بعدم.

الحقيقة:

وجود الله ﷻ هو الوجود الحقيقي الكامل الذي لا يشوبه نقص بوجه من الوجوه، ووجوده لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بل ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد]، وكل موجود يستمد وجوده من وجوده ﷻ، بل وجود كل موجود مرهون بإيجاد الله ﷻ له، وبقاؤه مرهون بإبقاء الله ﷻ له. وفي معنى الوجود يقول شيخ الإسلام: «الوجود هو الثبوت»[٤].

ويبيِّن المراد بهذا اللفظ فيقول: «لفظ الوجود يريدون به تارة المصدر الذي هو

(١) مقاييس اللغة (٦/٨٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].
(٢) الصحاح (٢/٥٤٧) [دار العلم للملايين، ط٣].
(٣) المصباح المنير (٢/٧٤٨) [دار القلم].
(٤) الجواب الصحيح (٤/٣٠٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

الأصل فيها، ويريدون به تارة المفعول؛ أي: الموجود، كما في لفظ الخلق ونحوه، وكذلك لفظ الفعل؛ فإنهم يقولون وجد هذا، وهذا صيغة فعل مبني للمفعول، فقد يريدون بذلك أنه وجده واجد، وقد يريدون بذلك أنه كان وحصل حتى صار بحيث يجده الواجد، ثم لما صار هذا المعنى هو الغالب في قصدهم، صار لفظ الموجود عندهم، والوجود، يراد به الثبوت، والكون، والحصول»[(١)].

الأدلة:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات].

أقوال أهل العلم:

قال البيهقي: «الدائم هو الموجود لم يزل ولا يزال، ويرجع معناه إلى صفة البقاء»، وقال أيضًا: «القديم: هو الموجود لم يزل، وهذه صفة يستحقها بذاته»[(٢)].

وقال ابن تيمية في معرض رده على الجهمية وغيرهم: «فصار أهل السُّنَّة يصفونه بالوجود وكمال الوجود، وأولئك يصفونه بعدم كمال الوجود، أو بعدم الوجود بالكلية؛ فهم ممثلة معطلة؛ ممثلة في العقل والشرع، معطلة في العقل والشرع»[(٣)].

وقد وجه سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، قال السائل: «لم أجد في أسماء الله وصفاته اسم (الموجود)، وإنما وجدت اسم (الواجد)، وعلمت في اللغة أن الموجود على وزن مفعول، ولا بد أن يكون لكل موجود موجد، كما أن لكل مفعول فاعل، ومحال أن يوجد لله موجد. ورأيت أن الواجد يشبه اسم الخالق، والموجود يشبه اسم المخلوق، وكما أن لكل موجود موجدًا؛ فلكل مخلوق خالق؛ فهل لي بعد ذلك أن أصف الله بأنه موجود؟». فأجابت اللجنة[(٤)] الجواب التالي: «وجود الله معلوم من

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٢٨، ٣٢٩) [مؤسسة قرطبة]. وانظر: الصفدية (١/١١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٥٣) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) دقائق التفسير (٥/١١٠) [مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ].

(٤) كان ذلك بتوقيع كل من الشيخ: عبد العزيز بن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد الله بن غديان، وعبد الله بن قعود.

الدين بالضرورة، وهو صفة لله بإجماع المسلمين، بل صفة لله عند جميع العقلاء حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا ملحد دهري، ولا يلزم من إثبات الوجود صفة لله أن يكون له موجد؛ لأن الوجود نوعان:

الأول: وجود ذاتي، وهو ما كان وجوده ثابتًا له في نفسه، لا مكسوبًا له من غيره، وهذا هو وجود الله سبحانه وصفاته؛ فإن وجوده لم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

الثاني: وجود حادث، وهو ما كان حادثًا بعد عدم، فهذا الذي لا بد له من موجد يوجده وخالق يحدثه، وهو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور].

وعلى هذا يوصف الله تعالى بأنه موجود، ويخبر عنه بذلك في الكلام، فيقال: الله موجود، وليس الوجود اسمًا، بل صفة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[١].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ١٩٠، ١٩١) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الموجود ليس من الأسماء الحسنى:

يقول ابن القيم: «أما الموجود فإنه منقسم إلى كامل وناقص، وخير وشر، وما كان مسمَّاه منقسمًا لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى، كالشيء والمعلوم»[٢].

كما أن الواجد والموجد ليست من أسماء الله الحسنى على الصحيح من قولَي أهل العلم[٣].

ـ المسألة الثانية: وجود الله ﷻ فطري ضروري، أشد رسوخًا في النفوس من أي علم بدهي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة»[٤].

وقال أيضًا: «الذي عليه جمهور

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥، ٤١٦).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ١٩٣)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٣٣٢)، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٣٢٧ و٣٣٢) [دار إيلاف الدولية، الجهراء، الكويت، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨) (٢/ ١٥، ١٦) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]. وانظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ١٥٨)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٧٣)، ودرء التعارض (٤/ ٣٩١) [مكتبة ابن تيمية].

العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجبلَّة»[(١)].

ـ المسألة الثالثة: هل يوصف الله ﷻ بالوجود؟

لا شك أن باب الصفات توقيفي، فلا يوصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، ولم نقف على دليل من الكتاب أو السُّنَّة ينص على إثبات صفة الوجود لله كما هو الشأن في صفة الحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والاستواء والوجه واليدين وغيرها من الصفات، ولكن في مقابل من يزعم أن الله غير موجود ذكر أهل العلم أن الله يوصف بالوجود ويخبر عنه بأنه موجود، وكان ذلك لتأكيد الإثبات، وهذا سائغ؛ لأنه من باب الإخبار، وهو أوسع من باب الصفات.

قال ابن تيمية: «والناس متنازعون؛ هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع، وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع؟ على قولين مشهورين، وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع؛ كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة؛ فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى؛ كما قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه؛ مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك؛ فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء؛ فهذا سائغ»[(٢)].

وقال أيضًا: «ويفرق بين دعائه والإخبار عنه، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، وأما الإخبار عنه؛ فلا يكون باسم سيِّئ، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيِّئ، وإن لم يحكم بحسنه؛ مثل: شيء وذات وموجود»[(٣)].

وذكر ابن القيم: «أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العُلا»، وذكر أيضًا: «أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيًّا؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه»[(٤)].

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ١٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٤، و٢٨٥) [دار عالم الفوائد، ط١].

فالأحسن أن يدرج هذا المصطلح في باب الإخبار دون باب الصفات، والله أعلم.

مذهب المخالفين:

الأقوال الباطلة في صفة الوجود للرب ﷻ:

القول الأول: أن لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي، وهو قول لبعض النظار المتأخرين كالرازي في آخر كتبه والآمدي، مع اضطرابهم في ذلك[(١)]. وقد اعتقدوا أن القول بأن الوجود مشترك في المعنى يلزم منه أن الوجود زائد على الماهية، وهذا عندهم يفضي إلى الشك في وجود الأجسام، وإلى التسلسل[(٢)].

الثاني: أن الوجود مشترك في المعنى، وأن وجود الواجب زائد على ماهيته، وهو قول لجماعة من المتكلمين[(٣)].

الثالث: القول بأن وجود الرب هو الوجود المطلق، وهو أنواع:

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٩٢). ومن كتب المتكلمين: المحصل للرازي (٥٤، ٦٨) [مكتبة الكليات الأزهرية]، والمباحث المشرقية (١/ ١٢١)، والمواقف للإيجي (٤٦، ٥١) [عالم الكتب]، شرح المقاصد (١/ ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٢).

(٢) انظر: المحصل للرازي (٥٤، ٥٥).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٢٩٢). ومن كتب المتكلمين: المباحث المشرقية (١/ ١٢٠، ١٢١)، والمحصل للرازي (٥٤، ٥٥)، ومعالم أصول الدين (٢٦) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، والمواقف (٤٩، ٥٠)، وشرح المقاصد (١/ ٣١٦ ـ ٣١٨).

أولها: أنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وهو الذي لا يتعين، ولا يتخصص بحقيقة يمتاز بها عن سائر الموجودات، بل حقيقته وجود محض مطلق، بشرط نفي جميع القيود والمعينات والمخصصات[(٤)]، وهذا حقيقة قول القرامطة الباطنية في وجود الرب تعالى[(٥)]، فهم يقولون: لا موجود، ولا معدوم.

الثاني: أنه الوجود المطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية، كما قاله ابن سينا وأتباعه، ويعبرون عن هذا بأن وجوده ليس عارضًا لشيء من الماهيات والحقائق[(٦)]. وحقيقة هذا نفي الصفات عنه، بل نفي وجوده ﷻ.

الثالث: أنه الوجود المطلق لا بشرط الإطلاق، وهو قول ملاحدة الصوفية، حيث جعلوا الله هو عين الموجودات والمخلوقات[(٧)].

يقول شيخ الإسلام: «فصار أهل السُّنَّة يصفونه بالوجود، وكمال الوجود، وأولئك يصفونه بعدم كمال الوجود، أو بعدم الوجود بالكلية، فهم ممثلة معطلة»[(٨)].

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٥٢) [دار الكتب الإسلامية]، ودرء التعارض (٣/ ٤٣٩، ١/ ٢٨٥).

(٥) انظر: درء التعارض (١/ ٢٨٩).

(٦) انظر: المصدر نفسه (١/ ٢٨٥، ٢٨٧).

(٧) انظر: المصدر نفسه (١/ ٢٩٠).

(٨) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢١١).

الرد عليهم:

أولًا: أن يقال: الوجود المطلق بشرط الإطلاق، أو بشرط سلب الأمور الثبوتية، مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج، وإنما يوجد في الذهن. وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق؛ كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان[١].

ثانيًا: أنه إذا جعل وجود الرب مطلقًا بشرط الإطلاق، لم يجز أن ينعت بنعت يوجب امتيازه، فلا يقال: هو واجب بنفسه، ولا ليس بواجب بنفسه، فلا يوصف بنفي، ولا إثبات؛ لأن هذا نوع من التمييز والتقييد، فلزمهم الجمع بين النقيضين والخلو عن النقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات باتفاق العقلاء[٢].

ثالثًا: أن أصل الغلط لمن قال بالاشتراك اللفظي هو توهمهم أنه إذا قيل: إن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه الواجب، وهو نفسه الممكن، وهذا غلط؛ فليس في الخارج بين الموجودين شيء هو نفسه فيهما[٣]. بل وجود الواجب شيء يختلف عن وجود الممكن، بكمال الواجب ونقص الممكن.

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٨٥، ٢٨٦).
(٢) انظر: المصدر نفسه (١/ ٢٨٨، ٢٨٩).
(٣) انظر: المصدر نفسه (١/ ٢٩٢، ٢٩٣).

رابعًا: أن القائلين إن لفظ الوجود مشترك لفظي كالرازي مضطربون في ذلك، ومتناقضون[٤]. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما جعله مشتركًا شرذمة من المتأخرين، لا يعرف هذا القول عن طائفة كبيرة، ولا نظار مشهورين، ومن حكى ذلك عن الأشعري كما حكاه الرازي فقد غلط، فإن مذهب الرجل وعامة أصحابه أن الوجود اسم عام ينقسم إلى قديم وحادث، ولكن مذهبه أن وجود كل شيء عين ماهيته، وهذا مذهب جماهير العقلاء من المسلمين وغيرهم، فظن الظان أن هذا يستلزم أن يكون اللفظ مشتركًا»[٥].

خامسًا: الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة وعامة العقلاء أن وجود كل شيء في الخارج هو عين ماهيته الموجودة في الخارج، بخلاف الماهية التي في الذهن، فإنها مغايرة للموجود في الخارج؛ وأن لفظ الوجود والماهية والحقيقة ونحو ذلك من الألفاظ المتواطئة، والمشككة لتفاضل معانيها، فالمشكك نوع من المتواطئ العام الذي يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك، سواء كان المعنى متفاضلًا في

(٤) انظر تناقض الرازي في المحصل (٥٤) مع قوله في المطالب العالية (١/ ٢٩٠، ٢٩١)، وفي المباحث المشرقية (١/ ١٠٦، ١٠٧).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٤٢).

موارده أو متماثلًا[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، للبيهقي.

٢ ـ «درء التعارض» (ج١)، لابن تيمية.

٣ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٤ ـ «الصفدية» (ج١)، لابن تيمية.

٥ ـ «شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل المعية للذات»، للديماني.

٦ ـ «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٧ ـ «موقف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من وجود الله وإيجاده للمخلوقات»، لسيرين إلمان [رسالة ماجستير].

٨ ـ «وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية»، لخضر سوندك.

٩ ـ «وحدة الوجود عند الصوفية»، لأحمد القصير [رسالة دكتوراه].

الوحدانية

يراجع مصطلح (الأحد).

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٥٦) (٣/٧٧).

الود

يراجع مصطلح (الودود).

الودود

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والدال: كلمة تدل على محبة. وَدِدْتُه: أحببته»[٢]. وقال الجوهري: «وَدِدت الرجل أوَدُّه وُدًّا؛ إذا أحببته، والوُدُّ والوَدُّ والوِدُّ: المودة، تقول: بودِّي أن يكون كذا، والودود: الْمُحِبُّ»[٣]. والودود اسم فاعل ومفعول من الوِدّ، مأخوذ من الأصل الثلاثي (و ـ د ـ د) الدال على المحبة، يقال: وَدِدْته أَوَدُّه وِدًّا ومَوَدَّة فهو مودود؛ فاعلًا ومفعولًا؛ إذا أحببته، والودّ أيضًا التمني، وهو اشتهاء وقوع ما توده وتحبه، يقال: وددت لو تفعل كذا، أودُّ وَدًّا ووُدًّا ووِدادَة ووِدادًا: تمنَّيت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وفلان وديد فلان: حبيبه، ووادّه ودادًا؛ إذا أحبه، وتودّد إليه: تحبّب واجتلب ودّه، والودود: كثير الحبّ[٤].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٦١٧) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

(٣) الصحاح (١/١٩٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٤/٢٣٤ ـ ٢٣٦) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢/٥٤٩) =

التعريف شرعًا:

الودود هو المحِب المحْبوب، بمعنى اسم الفاعل الوادّ، وبمعنى اسم المفعول المودود[1]؛ فالله ﷻ يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه[2].

ويدخل في معناه أنه يوددهم إلى خلقه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم][3].

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم وهو الودود، وما تضمنه من الصفة (الود)؛ لدلالة القرآن الكريم عليها، ويجب

= [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٦٠، ٨٦١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٤١٤، ٤١٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٢٠) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٧٤) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والنبوات (١/ ٣٦٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ]، وجلاء الأفهام (٤٤٧) [دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٧٤)، وجلاء الأفهام (٤٤٧)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢).

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٤).

إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

الودود يأتي بمعنى المودود، فالعباد يحبون ربهم، ويطيعون أوامره، وينتهون عن معاصيه.

ويأتي بمعنى الوادِّ، وهو سبحانه يحب عباده الصالحين، ويثيبهم، ويتولاهم.

الأدلة:

ورد اسم الودود في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام البخاري: «قال ابن عباس: ﴿ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾: الحبيب»[4].

وقال ابن قتيبة: «ومن صفاته (الودود)، وفيه قولان: يقال: هو فَعُول بمعنى مفعول، كما يقال: رجل هيوب؛ أي: مَهِيبٌ، يراد به مودود. ويقال: هو فَعُول بمعنى فاعل، كقولك: غفور بمعنى غافر؛ أي: يَوَدُّ عبادَه الصالحين»[5].

(٤) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (كتاب التفسير، ٩/ ١٢٤) [دار طوق النجاة، ط١]، ووصله الطبري في التفسير (٢٤/ ٢٨٣) [دار هجر، ط١].

(٥) تفسير غريب القرآن (١٨) [دار الكتب العلمية، بيروت، طبع عام ١٣٩٨هـ].

وقال ابن تيمية: «والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه ـ على طريق الإجمال ـ التشبيه والتمثيل، فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، غفور رحيم، وأنه سميع بصير، وأنه غفور ودود، وأنه تعالى ـ على عظم ذاته ـ يحب المؤمنين، ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار، ويسخط عليهم، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليمًا، وأنه تَجَلَّى للجبل فجعله دكًّا؛ وأمثال ذلك»(١). وقال أيضًا: «وهو سبحانه ـ كما ثبت في الحديث الصحيح ـ أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وقد بيّن الحديث الصحيح أنّ فرحه بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد ماله ومركوبه في مهلكة إذ وجدهما بعد اليأس، وهذا الفرح يقتضي أنّه أعظم مودّة لعبده المؤمن من المؤمنين بعضهم لبعض. كيف، وكلّ وُدٍّ في الوجود فهو من فعله. فالذي جعل الودّ في القلوب هو أولى بالودّ»(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) النبوات (١/٣٦٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفة الود لله تبارك وتعالى:

دلَّت النصوص الشرعية على إثبات صفة الود لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج]، فالله جلَّ وعلا يَوَدُّ عبادَه الصالحين، ويحبهم ويتولاهم بالنصر والتأييد، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

ـ المسألة الثانية: بعض الحِكَم والأسرار من اقتران هذا الاسم باسمَيه: (الغفور) و(الرحيم):

الله عزَّ وجلَّ يغفر للعبد ويرحمه إذا تاب وأناب إليه؛ بل إنه يحبه ويودُّه، «فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش، ومع ذلك هو الغفور الودود، المتودد إلى عباده بنعمه، الذي يودّ من تاب إليه وأقبل عليه، وهو الودود أيضًا؛ أي: المحبوب، قال البخاري في صحيحه: «الودود: الحبيب»، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين: على كونه وادًّا لأوليائه ومودودًا لهم، فأحدهما بالوضع، والآخر باللزوم، فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه، وقال شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود]. وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور، فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد

يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»[(١)].

قال ابن القيم: «الوداد وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، و(الودود) من أسماء الرب تعالى وقرنه باسمه (الغفور) إعلامًا بأنه يغفر الذنب ويحب التائب منه ويودّه»[(٢)].

الآثار:

- من معاني اسم الله الودود ولطفه وتعلقه بظاهر العبد وباطنه، أن العبد يكون في حال اشتغال حب وشوق ولذة مناجاة لا أحلى منها ولا أطيب، بحسب استغراقه في شهود معنى هذا الاسم.

- إن الودود يأتي بمعنى المودود كما قال البخاري في صحيحه: «الودود: الحبيب»، فإذا استغرق العبد في مطالعة صفات الكمال التي تدعو العبد إلى حب الموصوف بها، أثمر له صفاء علمه بها وصفاء حاله في تعبده بمقتضاها.

- كما يأتي الودود بمعنى الوادّ وهو المحب، أثمر ذلك للعبد مطالعة ذلك حالًا تناسبه؛ فإنه إذا شاهد بقلبه غنيًّا كريمًا جوادًا عزيزًا قادرًا، كل أحد محتاج إليه بالذات وهو غني بالذات عن كل ما سواه، وهو مع ذلك يودّ عباده ويحبهم ويتودد إليهم بإحسانه إليهم وتفضله عليهم، كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب.

- يجب على العبد أن يتودد إلى ربه بامتثال أمره ونهيه، كما تودد سبحانه إليه بإدرار نعمه وفضله، ويحبه كما أحبه، ومن حب العبد لله رضاه بما قضاه وقدره، وحب القرآن والقيام به، وحب الرسول ﷺ، وحب سُنَّته والقيام بها والدعاء إليها[(٣)].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أصحاب الطوائف المخالفة لأهل السُّنَّة والجماعة إلى نفي محبة الله ﷻ لعباده، وقصروا تفسير اسمه تعالى: (الودود) على أنه مودود؛ أي: اسم مفعول بمعنى أن المؤمنين يحبونه، وهو لا يُحب أحدًا، وذهب بعضهم إلى أنه لا يُحِب ولا يُحَب، ومنهم من نفى أن تكون صفة فعلية لله ﷻ، ولهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المحبّة قديمة، فهو يحبّهم في الأزل، إذا علم أنهم يموتون

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٢٤) [دار إحياء العلوم، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٢).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٢٩، ٤٣٠) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، ومدارج السالكين (٣/ ١٤٩، ١٥٠) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٢٥) [دار التوحيد، ط١].

على حال مرضية، ويقولون: إن الله يحبّ الكفار في حال كفرهم، إذا علم أنهم يموتون على الإيمان، ويُبغض المؤمن إذا علم أنه يرتد، هذا قول ابن كلاب ومن تبعه، ثمّ منهم من يفسّر المحبّة بالإرادة. ومنهم من يقول هي صفة زائدة على الإرادة.

والقول الثاني: يجعلون هذا من باب الفعل، فالمحبّة عندهم إحسانه إليهم، والإحسان عندهم ليس قائمًا به؛ بل بائن عنه[1].

والنصوص الشرعية واضحة في إثبات الصفة وفيها الرد على هذه الأقوال فإن الله تعالى هو: العزيز، الرحيم، الغفور، الودود، المجيد. والودود (فَعُول) من الودّ، قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج]، فقرنه بالرحيم في موضع، وبالغفور في موضع.

وفُسِّر قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾، بأنه يحبّهم، ويُحَبِبهم إلى عباده، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أحبّ الله العبد نادى: يا جبريل إني أحبّ فلانًا فأحبّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحبّ فلانًا فأحبّوه، فيحبّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[2]، وقال في البغض مثل ذلك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾، قال: «يحبهم ويحببهم»[3]، وعن مجاهد في الآية نفسها، قال: «يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾، قال: «محبة»[5]. وهذا فيه إثبات حبّه لهم، بعد أعمالهم، بقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾، وهو نظير قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران]، فهو يحبّهم إذا اتّبعوا الرسول، ونظير قوله في الحديث الصحيح: «**ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[6].

---

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٢٨، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٧٨٧)، والطبري في التفسير (٧/ ١٣٧) [دار هجر، ط١].
وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٥٤٥) [دار الفكر، ١٩٩٣م].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٣٢، ١٣٣).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ٦٤٢) [دار هجر، ط١]، وسنده حسن.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢).

وكذلك قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذه الآيات وأشباهها تقتضي أن الله يحبّ أصحاب هذه الأعمال، فهو يحبّ التوابين، وإنما يكونون توابين بعد الذنب، ففي هذه الحال يحبّهم، وهذا مبني على الصفات الاختيارية[(١)].

والكتاب والسُّنَّة، وأقوال السلف والأئمة، والأدلة العقلية، إنما تدلّ على إثبات هذا الاسم وما تضمنه من صفة الود والمحبة وما يلزم من ذلك كالرحمة والمغفرة[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.

٤ ـ «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيم.

٥ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٦ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٧ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٨ ـ «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.

٩ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.

١٠ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج٣)، لابن القيم.

١١ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الورع

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الواو والراء والعين: أصل صحيح يدل على الكف والانقباض، منه الورع: العفة، وهي الكف عما لا ينبغي»[(٣)].

الورع: التحرج، والكف عن المحارم، يقال: تورع عن كذا؛ أي: تحرج، والورع: الرجل التقي المتحرِّج، وقد ورع يرِع ورعًا ورِعة، ويقال: فلان

---

(١) قال شيخ الإسلام في تعريفها: «هي الأمور التي يتصف بها الربّ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل: كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل: خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل: استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسُّنَّة»، رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل (٢/٣) [دار المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: النبوات (١/٣٥٢ ـ ٣٦٩).

(٣) مقاييس اللغة (٦/١٠٠) [دار الجيل، ط٢].

سيِّئ الرِّعة؛ أي: قليل الورع[(١)].

التعريف شرعًا:

الورع: هو ترك ما قد يضر في الآخرة، وهو ترك المحرمات، أو الشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يلتقي المعنى الاصطلاحي مع اللغوي من حيث أصل الترك، وهو جزء من حقيقة الورع كما سيأتي بيان ذلك.

الحكم:

الورع قسمان من حيث الحكم[(٣)]:

الورع الواجب: وهو اتقاء ما يكون سببًا للذم والعقاب، وهو فعل الواجب المحقق البيِّن، وترك المحرم المحقق البين، اللذين لا شبهة فيهما.

الورع المستحب: هو اتقاء ما يخاف أن يكون سببًا للذم والعقاب، عند عدم المعارض الراجح.

الحقيقة:

حقيقة الورع: هو اجتناب الفعل واتقاؤه، والكف والإمساك عنه، والحذر منه، وهو يعود إلى كراهة الأمر والنفرة منه، والبغض له، وهو اتقاء ما يكون سببًا للذم والعقاب، ويدخل فيه فعل الواجبات، وترك المحرمات، واتقاء من يخاف أن يكون سببًا للذم والعذاب، عند عدم المعارض الراجح، ويدخل في ذلك أداء الواجبات، والمشتبهات التي تشتبه الواجب، وترك المحرمات، والمشتبهات التي تشبه الحرام، وإن أدخلت فيها المكروهات، يقال: يخاف أن تكون سببًا للنقص والعذاب[(٤)].

الأدلة:

من السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**إنّك لن تدع شيئًا لله ﷻ إلّا أبدلك الله به ما هو خير لك منه**»[(٥)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ: قال: «**أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدّنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّة في طعمة**»[(٦)].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٠٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٢٩٦) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٥/ ٢٧٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٣٧، ١٣٨)، وجامع المسائل لابن تيمية (١/ ٤٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١، ٥١١، ٦١٧).

(٥) أخرجه أحمد (٣٨/ ١٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩٦) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٦٢).

(٦) أخرجه أحمد (١١/ ٢٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٧٦)، وحسنه =

وعن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من النّاس، فمن اتّقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشّبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى، ألا إنّ حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله أنه قال: «لقد رأيتنا، وما نتعلم إلا الورع»[(٢)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «الورع المشروع: هو الورع عما قد تخاف عاقبته؛ وهو ما يعلم تحريمه، وما يشك في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله، مثل محرم معين، مثل من يترك أخذ الشبهة ورعًا مع حاجته إليها، ويأخذ بدل ذلك محرمًا بينًا تحريمه، أو يترك واجبًا تركه أعظم فسادًا من فعله مع الشبهة»[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «الورع يطهر دنس القلب ونجاسته؛ كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الورع في المباحات:

مما ذمه النبي ﷺ الورع في الأمور المباحة؛ لأنه لا مضرة فيها، أو قد تكون فيها مضرة مرجوحة؛ فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرًا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيبًا فقال: «**ما بال رجال بلغهم عنِّي أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[(٥)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الورع عما لا مضرة فيه، أو فيه مضرة مرجوحة، لما تقترن به من جلب منفعة راجحة، أو دفع مضرة أخرى راجحة: فجهل وظلم؛ وذلك يتضمن ثلاثة أقسام لا يتورع عنها: المكافأة، والراجحة، والخالصة:

= المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٣٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٢) الزهد لوكيع (٤٧٤) [مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١١، ٥١٢).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٣) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥)، واللفظ له.

كالمباح المحض، أو المستحب، أو الواجب فإن الورع عنها ضلالة»[(١)].

ـ **المسألة الثانية: أمور ليست من الورع:**

١ ـ يعتقد كثير من الناس أن الورع من باب الترك فقط، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، فترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم، أو معاملة فاسدة، أو نحو ذلك، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه؛ إما عينًا وإما كفاية، وقد تعيَّنت عليه: من صلة رحم، وحق جار ومسكين، وصاحب ويتيم، وحق مسلم، وذي سلطان، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشرّ الشّرّين، ويعلم أنّ الشّريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلّا فمن لم يوازن ما في الفعل والتّرك من المصلحة الشّرعيّة، والمفسدة الشّرعيّة فقد يدع واجبات ويفعل محرّمات، ويرى ذلك من الورع»[(٣)].

٢ ـ يقع بعض من يريد أن يتورع عن الشبه والدقائق في انتهاك المحرمات، ويزعم أنه من الورع، وهذا باطل، فيجب أن ينكر عليه[(٤)].

عن ابن أبي نعم قال: كنت شاهدًا لابن عمر رضي الله عنهما وسأله رجل عن دم البعوض؟ فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ، وسمعت النبي ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[(٥)].

الفروق:

الفرق بين الورع والزهد:

الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة[(٦)].

والزهد: هو من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه، والورع: من باب وجود النفرة والكراهة للمتورَّع عنه.

والزهد يصلح في المباحات، دون الورع، فلا يجوز التورع عن المباحات،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).
(٢) انظر: المرجع السابق (٢٠/١٣٩، ١٤٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥١٢).

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٣٠٣، ٣٠٤) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٤هـ].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٩٤)، وأخرجه أيضًا في (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٥٣).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١، ٥١١)، ومدارج السالكين (٢/١٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥]، والفوائد لابن القيم (١٧١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، وعدة الصابرين (٢٦٤) [دار ابن كثير، ١٤١٩هـ].

فكل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس[١].

الثمرات:

- يصون النفس ويحفظها عما يشينها ويعيبها ويزري بها عند الله تعالى، وعند ملائكته، وعباده المؤمنين، وسائر خلقه.

- يزيد في إيمان العبد، ويصونه ويحفظه؛ لأن القبائح تذهب بالإيمان، أو تقلِّله.

- توفير الحسنات، وذلك من وجهين؛ أحدها: توفير زمانه في اكتساب الحسنات. والثاني: توفير الحسنات المفعولة عن نقصانها[٢].

مذهب المخالفين:

الخوارج والروافض والمعتزلة والصوفية ونحوهم يرون أن الورع من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب.

قال شيخ الإسلام: «وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار؛ فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلمًا من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار من الجمعة والجماعة؛ والحج والجهاد؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة كالأئمة الأربعة وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»[٣].

المصادر والمراجع:

١ ـ «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب.
٢ ـ «الفوائد»، لابن القيم.
٣ ـ «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي.
٤ ـ «الزهد»، لأحمد بن حنبل.
٥ ـ «شعب الإيمان»، للبيهقي.
٦ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
٧ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
٨ ـ «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة.
٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.
١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

الورود

يراجع مصطلح (الصراط).

وسائل الشرك

يراجع مصطلح (ذرائع الشرك).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦١٨، ٦١٩).
(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٤٤٨، ٤٤٩) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/١٤٠).

وسطية أهل السُّنَّة

التعريف لغةً:

الوسطية في اللغة مشتقة من مادة: وسط، وهي تدل على: العدل، والنِّصْف[1].

وكلمة (وسط) إذا سُكِّنت سينها فهي ظرف، تقول: جلست وَسْطَ القوم؛ أي: بينهم.

وإذا فتحت سينها فقد تكون:

١ ـ اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه، كقولك: قبضت وَسَطَ الحبل، أو للشيء بين الجيد والرديء.

٢ ـ اسما أو صفة بمعنى: خيار، وأفضل، وأجود. تقول: مرعى وسط؛ أي: خيار.

وتقول: هذا وسَطُ القوم؛ أي: أعدلهم[2].

التعريف اصطلاحًا:

لقد جاء ذكر الوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومعنى الوسط في الآية مقارب لمعناه اللغوي، حيث ثبت أن النبي ﷺ قد فسر الوسط في هذه الآية بأنه: العدل[3].

كما جاء تفسير الوسطية بالخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط[4]، وهي معانٍ متلازمة.

ويراد بوسطية أهل السُّنَّة: الحالة التي التزم بها أهل السُّنَّة والجماعة من التمسك بشرع الله، وسُنَّة مصطفاه ﷺ بلا إفراط ولا تفريط، وما اعتقدوه من عقائد كانوا فيها بين طرفي الغلو والجفاء، حتى أصبحوا أولى الطوائف بالعدل والخيرية، فجانبوا أهل البدع والأهواء من أهل الإفراط أو التفريط[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي لأهل السُّنَّة والجماعة راجع إلى المعنيين اللغويين سالفَي الذكر.

فهم قد كانوا وسطًا بين طرفي الإفراط والتفريط في سائر أبواب

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٠٨) [دار الجيل، ط٢].

(٢) انظر: الصحاح (٣/ ١١٦٧) [دار العلم للملايين، ط٤]، ولسان العرب (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٣٠) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (٢/ ٤٠٥)، والمصباح المنير (٢٥٢)، ووسطية أهل السُّنَّة لمحمد با كريم (١٥ ـ ١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٩). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٧٢) [دار المعرفة].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢١٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٧٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥)، وانظر في تعريف الوسطية: الوسطية في ضوء القرآن الكريم لناصر العمر (٤٠، ٤١)، والوسطية في القرآن للصلابي (٤١ ـ ٤٧) [دار النفائس].

الاعتقاد والعمل، وهو ما دل عليه المعنى اللغوي الأول.

وهم ـ بتمسكهم بالقرآن، وبسنَّة المصطفى ﷺ ـ قد كانوا بمجموعهم خيار الفرق المنتسبة لهذه الأمة، وأفضلها وأعدلها في الأقوال والأحكام، وهذا ما دل عليه المعنى اللغوي الثاني.

الحقيقة:

لقد تميز مذهب أهل السُّنَّة والجماعة بوسطيته واعتداله بين المذاهب الأخرى، والتي وقفت على طرفي نقيض، ما بين فرق غالية مُفْرِطة، وفرق جافية مُفَرِّطة، حيث أخذت كل فرقة ببعض الأدلة دون بعض، فوقعت في جانب الإفراط أو التفريط، وهدى الله أهل السُّنَّة، فجمعوا بين مدلولات النصوص جميعًا، فكان قولهم جامعًا للحق الذي وجد بعضه عند كل فرقة، كما كان مذهبهم سالمًا من الباطل الذي وقعت فيه فرق المبتدعة نتيجة إهمالها بعض أدلة الكتاب والسُّنَّة، فمذهب أهل السُّنَّة وسَطٌ بين مذاهب أهل البدع، كما أن أمة الإسلام وسطٌ بين أمم الكفر، **ومن مظاهر وسطية أهل السُّنَّة ما يلي:**

١ ـ وسطيتهم في باب أسماء الله وصفاته، حيث ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى إثبات كل ما جاء في الكتاب، وصح في السُّنَّة من أسماء الله وصفاته وأفعاله، على ما يليق بعظمته وجلاله، ونزهوه عن النقص ومماثلة مخلوقاته، فهم قد أثبتوا بلا تكييف ولا تمثيل، ونزَّهوا بلا تحريف ولا تعطيل، فصار مذهبهم وسطًا بين طرفين:

أ ـ طرف الغلوِّ والإفراط، وهم أهل التمثيل، فمنهم من شبَّه الخالق بالمخلوق، فأثبتوا أسماء الله وصفاته على وجه يماثل أسماء وصفات المخلوقين، كبعض قدماء الروافض، ومنهم من شبَّه المخلوق بالخالق، فأضاف إلى بعض المخلوقين شيئًا من خصائص ربوبية الله أو ألوهيته، كما يقع عند غلاة الصوفية وغلاة الرافضة.

ب ـ طرف الجفاء والتفريط، وهم أهل التعطيل على اختلاف طوائفهم، حيث نفوا أسماء الله وصفاته أو بعضها، كمن يعتقد أن الله تعالى لم يستو على العرش.

٢ ـ وسطيتهم في باب الوعد والوعيد. حيث يعتقد أهل السُّنَّة أن فاعل الكبيرة من أهل التوحيد لا يخرج عن الإسلام، ولا يخلَّد في النار.

فهو عندهم في الدنيا: مؤمنٌ ناقص الإيمان، فأصل الإيمان ثابت له، وأما كمال الإيمان الواجب فزائل عنه.

وهو عندهم في الآخرة: تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه برحمته

وأدخله الجنة ابتداءً بلا عذاب، وإن شاء عذبه بعدله بما يستحقه من العذاب، ثم يخرج من النار ويصير إلى الجنة، ولا يُخَلَّد في النار خلود الكفار.

وهم بذلك وسط بين طرفين:

أ ـ طرف الغلوِّ والإفراط، وهم أهل الوعيد (الوعيدية) وتمثلهم فرقتا الخوارج والمعتزلة.

ففاعل الكبيرة في الدنيا عندهم: خارج عن الإسلام، إما كافر (كما تقول الخوارج)، أو أنه ليس بمؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين (كما تقول المعتزلة).

وفاعل الكبيرة في الآخرة عندهم: خالدٌ مُخلَّدٌ في النار، لا يخرج منها أبدًا، بل لا يجوز لله أن يغفر له عندهم، فهم ينكرون شفاعة النبي ﷺ وغيره من الشفعاء ممن يشفع في عصاة الموحدين أن يخرجوا من النار.

ب ـ طرف الجفاء والتفريط، وهم المرجئة، ويُسَمَّون: (أهل الوعد).

وفاعل الكبيرة عندهم في الدنيا: مؤمن كامل الإيمان، بل إيمانه كإيمان الأنبياء، ويرى غلاتهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأن الشخص لا يكفر حتى ولو فعل جميع المكفرات المجمع على التكفير بها ما دامت معرفة الله ثابتة في قلبه، وبعضهم يكذب بالوعيد والعقاب بالكليَّة تغليبًا لجانب الوعد، ففاعل الكبيرة عندهم لا يستحق دخول النار.

٣ ـ وسطيتهم في باب القدر وأفعال العباد.

فأهل السُّنَّة يؤمنون بقضاء الله وقدره، ومن ذلك إيمانهم بعموم علم الله وكتابته، وعموم خلقه ومشيئته، وقد دخل في هذا العموم: علمه تعالى وكتابته وخلقه ومشيئته لأفعال العباد، سواء كانت من الطاعات أو من المعاصي، كما دل عليه عموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فدخل في ذلك خلق الأعيان، وخلق صفات الأعيان وحركاتها، كما دلَّ عليه أيضًا خصوص قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات].

فأهل السُّنَّة قد أثبتوا للعبد فعلًا، وإرادة، ومشيئة، وقدرة، واختيارًا، وكسبًا، كل ذلك على الحقيقة، ولكنها عندهم داخلة تحت قدرة الله وإرادته ومشيئته، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير]، فالعباد هم الذين فعلوا أفعالهم وكسبوها باختيارهم على الحقيقة، وليسوا مجبورين عليها ولا مُكرَهين، بل للعباد قدرة حقيقية مؤثرة

في وقوع الفعل منهم، ولكن الله هو الذي أقدرهم على ذلك، فالله هو الخالق لفعل العبد، وليس هو الفاعل له، والعبد هو الفاعل لفعله، وليس هو الخالق له، هذا حاصل قول أهل السُّنَّة في هذا الباب.

وهم بذلك قد توسطوا بين طرفين:

أ ـ طرف الغلوِّ والإفراط في جانب أفعال العباد، والجفاء والتفريط في جانب أفعال الرب، وهم القدرية النفاة، من المعتزلة وغيرهم، حيث ذهبوا إلى أن العبد هو الفاعل لفعله، وهو الخالق لفعله أيضًا، فغلاتهم أنكروا علم الله السابق بها، وخلقه لها، والمعتزلة أثبتوا العلم السابق، وأنكروا أن تكون أفعال العباد مخلوقة أو مقدورة للربِّ[(١)]، فأنكروا عموم قدرة الله ومشيئته وخلقه، ووصفوا الله بالنقص، حيث قالوا: إن الربَّ لا يقدر على عين مقدور العبد، وجعلوا العباد مشاركين لله في ربوبيته، حيث أثبتوا للعبد صفة من صفات الربوبية، وهي صفة الخلق، ولذا سُمُّوا: بمجوس هذه الأمة، لمشابهتهم المجوس في القول بتعدد الخالقين.

ب ـ طرف الجفاء والتفريط في جانب أفعال العباد، والغلو والإفراط في جانب أفعال الرب، وهم الجبرية، وهم على قسمين:

١ ـ جبرية خالصة، وهم الجهمية، حيث جعلوا الإنسان مجبورًا على أفعاله، كالريشة في مهب الريح، فلا قدرة له ولا استطاعة ولا اختيار ولا فعل على الحقيقة، بل الله هو الخالق لأفعال العباد، وهو الفاعل لها أيضًا.

٢ ـ جبرية متوسطة، وهم الأشاعرة، حيث أثبتوا للإنسان فعلًا وقدرة، إلا أنها غير مؤثرة، والقدرة غير المؤثرة وجودها كعدمها، فقولهم راجع إلى قول الجبرية الخالصة، ونزاعهم معهم لفظي[(٢)].

٤ ـ وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ، وآل البيت رضوان الله عليهم.

فمن أصول أهل السُّنَّة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فهم يحبونهم، ويقرون بفضلهم، ويعتقدون

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٣٢٣، ٧٧٢) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، والمغني في أبواب العدل والتوحيد له (٨/٣)، والمنية والأمل لابن المرتضى (٦).

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (١/٤٥٩ ـ ٤٦٤) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، وكذلك: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، لمع الأدلة للجويني (١٠٧) [دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (٥١) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ]، والمواقف للإيجي (٤٢٨) [دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ]، والتعريفات للجرجاني (٧٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ].

أنهم أكمل الأمة إيمانًا وعلمًا وحكمة، وذلك لثناء الله تعالى عليهم ولسابقتهم في الدين، ونصرتهم سيد المرسلين ﷺ، ولحسن بلائهم في الإسلام، وجهادهم لإعلاء كلمة التوحيد، كما أنهم يحبون أهل بيت النبي ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية النبي ﷺ حيث قال: «**أذكِّركم الله في أهل بيتي**»[(١)]، إلا أنهم لا يتجاوزون فيهم الحد، فلا يغلون فيهم، ولا يعتقدون عصمتهم، ولا يضيفون إليهم شيئًا مما يختص به الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وهم بذلك قد توسطوا بين طرفين:

أ ـ طرف الغلوِّ والإفراط في حق آل البيت، والجفاء والتفريط في حقِّ بقية الصحابة، ألا وهم الرافضة، الذين سبّوا صحابة النبي ﷺ ولعنوهم، وكفَّروا أكثرهم[(٢)].

وبالمقابل فقد غلوا في آل النبي ﷺ، وجاوزوا بهم الحد، بل أضافوا إليهم بعض ما يختص به الله في ربوبيته وألوهيته، فتراهم يغالون في علي رضي الله عنه، وبعض ذريته، ويفضلونهم على الأنبياء والملائكة، ويعتقدون عصمتهم، ويثبتون لهم وحيًا، وعلمًا بالغيب، وتصرفًا في الكون، ويتوجهون إليهم بالدعاء وطلب الغوث وهم أموات[(٣)].

ب ـ طرف الجفاء والتفريط في حق آل البيت، وغيرهم من الصحابة، ألا وهم النواصب، ومنهم الخوارج الذين قالوا بكفر عثمان، وعلي رضي الله عنهما، وغيرهما من الصحابة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقدحوا في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته، والرافضة أيضًا الذين طعنوا في أمهات المؤمنين، وبعض آل البيت كبني العباس وغيرهم[(٤)].

هذه بعض مظاهر وسطية أهل السُّنَّة، وكذلك في سائر أبواب الاعتقاد ترى مذهب أهل السُّنَّة وسطًا بين الأقوال المتقابلة المتناقضة؛ لأنهم تمسكوا

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨).

(٢) انظر: البرهان للسكسكي (٦٥) [مكتبة المنار، ط٢، ١٤١٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٦)، والشيعة وآل البيت لإحسان إلٰهي ظهير (٤٤، ١٩١)، وكذلك: الأصول من الكافي للكليني (١/ ١٥٤)، والروضة من الكافي له (٢٤٥)، وحق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر الرافضي (١/ ٢٧٦، ٣٠٨ ـ ٣٢٥)، وكشف الأسرار للخميني (١٣٧، ١٧٥، ١٧٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٤)، والبدء والتاريخ المنسوب للمطهر بن طاهر المقدسي (٥/ ١٢٥) [مكتبة الثقافة الدينية]، وكذلك: بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/ ٢٠٩)، وأصول الكافي (١/ ١٤٧)، والكافي (١/ ١٣٤، ٢٠٣)، وأوائل المقالات للمفيد (٨١)، وحق اليقين لعبد الله شبر (١/ ٢٠٩)، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢، ٥٣).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)، والبدء والتاريخ للمقدسي (٥/ ١٣٥)، والتنبيه والرد للملطي (٥١) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٥)، والفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الرسائل الكبرى (٢٢، ٢٣).

بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فكانوا أولى الطوائف بوصف الوسطية، المتضمن للعدل والخيرية، والتوسط بين غالي الأقوال وجافيها، والله أعلم.

الأدلة:

دلَّ على فضل الوسطية آيات؛ منها:

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ [الإسراء]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان]

أقوال أهل العلم:

قال الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله: «أما الكلام في الصفات: فإن ما رُوي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وهذا الذي جاءت به شريعة الاسلام هو الصراط المستقيم، وهو الذي يصلح به دين الانسان، وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وهي وسط بين هذين الصنفين: أصحاب البدع، وأصحاب الفجور، أهل الإسراف، والتقشف الزائد. ولهذا كان السلف يحذرون من هذين الصنفين. قال الحسن: «هو المبتدع في دينه، والفاجر في دنياه»، وكانوا يقولون: احذروا صاحب الدنيا أغوته دنياه، وصاحب هوى متبع لهواه»[(٢)].

وقال أيضًا: «ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ رد على أهل النفي والتعطيل، فالـمُمثِّل أعشى، والمعطِّل أعمى، المُمثل يعبد صنمًا والمُعطل يعبد عدمًا»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- مفاهيم خاطئة حول الوسطية.

المفهوم الخاطئ الأول: الخلط بين

(١) سير أعلام النبلاء (٣١/ ١٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ]، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٤٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٥٩).

(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩٦).

الوسطية الشرعية، و(بَينيَّة) النفاق:

أما بينيَّة النفاق، فهي ما جاء في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء]، فبينيَّة النفاق هي بينيَّة بين طرف الإسلام، وطرف الكفر، والتي أراد بها أصحابها المخادعة لأهل الإسلام، وخشية أن تصيبهم دائرة، فليست تلك وسطية بين غلوٍّ وجفاء ـ كما هي الحال في الوسطية الشرعية ـ بل هي بَينيَّة بين طرف الحق، والذي هو الوسط الشرعي، وطرف الكفر، أو هي بينية تردد وتذبذب وتحيُّر[(١)]، ولذا قال ﷺ في وصفهم: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وإلى هذه مَرَّةً**»[(٢)].

ولمَّا كان حالهم على هذه البينية، صار أمرهم ملتبسًا على كثير من الناس، ولذا كثرت نصوص القرآن في التحذير منهم.

ويدخل في هذه الوسطية النفاقيَّة كثير من الطوائف العلمانية والتغريبيَّة ونحوها، ممن توهم أنه يقف وسطًا بين طرفي غلوٍّ وجفاء، وكذلك من ظن أن الوسطية إنما تكون بالتخلي عن بعض المبادئ والشرائع الراسخة التي قررها الإسلام، كشريعة الجهاد وعقيدة الولاء والبراء، ونحو ذلك، وربما لوَّح بعضهم بشعار الوسطية موهمًا العامة والغوغاء أنه ينادي بالوسطيَّة الشرعية، وواقعهُ أنه قد وافق الوسطية، ولكنها وسطية النفاق والخداع، والحيرة والشك، والعياذ بالله.

المفهوم الخاطئ الثاني: الخلط بين الوسطية الشرعية، و(بَينيَّة) الكفر.

بَينيَّة الكفر، قد ذكرها الله بعد بَينيَّة النفاق السالفة بآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

فهذه وسطية من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، كفعل اليهود حين صدقوا بموسى ﷺ وكذبوا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأرادوا أن يتخذوا من هذا السبيل طريقًا إلى الضلالة يخدعون به جهال الناس[(٣)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٣٢).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم ٢٧٨٤).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٥٢).

ويدخل في ذلك من لفق له مذهبًا أو معتقدًا أخذ بعضه من شريعة الله، وبعضه من شرع من سواه، وكذا من قرر قانونًا ونظامًا مزجه بين شرع الله، وشرع من سواه، ورأى أنه قد حقق التوسط بذلك، وقد قال تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة].

المفهوم الخاطئ الثالث: التوهم أن كل قول بين قولين قد حقق الوسطية الشرعية، من غير اعتبار لموافقته للشرع.

وهذا غير لازم طردًا ولا عكسًا، فقد يكون القول صوابًا ولو لم يكن بين طرفين موجودين، طرفِ غلو وجفاء، كما أن من الأقوال ما يكون وسطًا بين قولين آخرين، ويكون هو باطلًا أيضًا، فالمعيار المُطَّرد في وصف الوسطية هو موافقة الشرع، وبهذه الموافقة يكون هو الأفضل والأعدل والخير (كما هي الأقوال الأشهر والأصح في معنى الوسطية)، ولو لم يكن بين قولي غلو وجفاء.

فالصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس بوصف الوسطية الشرعية، مع أنه لم يوجد في عصرهم أهل تعطيل وتشبيه، ولم يوجد في صدرهم جبرية ولا قدرية، وبالمقابل فلو قيل مثلًا إن المذهب الزيدي وسط بين أهل السُّنَّة والرافضة، أو إن المذهب الأشعري وسط بين أهل السُّنَّة والاعتزال، فإنه لو صحت هذه الوسطية و(البينيَّة) فليست هي الوسطية الشرعية قطعًا، وكذلك ما يتخذه بعض عوام الناس من سلوك منهج بين منهج أهل الاستقامة، ومنهج أهل الضلال، سواء كان في طرف الغلو أو الجفاء، فيتوهم أنه قد حقق الوسطية بمسلكه ذاك، فكل هذا من تلبيس الشيطان، وكذلك في المسائل الفقهية التي جرى الخلاف فيها على تحريم وكراهية وجواز مثلًا، فلا يلزم أن تكون الكراهية هي الصواب لكونها وسطًا بين التحريم والجواز، بل الصواب ما شهد له الدليل الصحيح بالتحريم أو الكراهة أو الجواز.

الآثار:

لقد كان لالتزام أهل السُّنَّة بمبدأ الوسطية آثارًا حميدة، تجلَّت في عقائدهم وأقوالهم، وفي سلوكهم وأعمالهم، وفي أخلاقهم وتعاملاتهم مما جعل منهجهم منهجًا متزنًا، موافقًا للفطر السليمة، وللأخلاق المستقيمة.

فمن ذلك: تحقيقهم لمقتضى شرع الله، وقيامهم بدينه، والتزامهم بالعدل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وأقرت به البشرية بجميع

أطيافها، حتى فتحوا البلاد شرقًا وغربًا.

ومن آثار المنهج الوسطي عند أهل السُّنَّة: أن كان منهجهم هو الموافق لفطر الناس، فكان عامة المؤمنين ممن لم يتلبس بمذاهب أهل البدع على الاعتقاد الحق في الجملة، فيسمع نصوص الصفات فيفهمها على ظاهر معناها، ويسمع نصوص التنزيه، فيعلم أن ظاهر الصفات لا يجري على التشبيه، وهكذا في سائر أبواب الاعتقاد.

كما أثر فيهم ذلك أن لزموا منهج الوسط والعدل في عباداتهم العملية، فضرب أئمة السلف أروع الأمثلة في تعبداتهم، وزهدهم وورعهم، ملازمين للمنهج النبوي الوسطي في ذلك، فلم يسلكوا منهج أهل الغلو والشطح من أهل التصوف ونحوهم، ولا طريق أهل الفسق من أهل الجفاء والتقصير، بل كانوا في ذلك وسطًا.

ولقد بلغ بهم الحال أن صار المنهج الوسطي سجية عندهم، ينحون نحوها بدون تكلف، وحتى في الأمور الدقيقة والعادية، كانوا ملازمين للتوسط فيها، قال الإمام ابن القيم ـ بعد ذكره لأحوال بعض المتنطعين في اللباس ـ: «والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التي سنَّها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها، وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة... فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدًا وتعبدًا بإزائهم طائفة قابلوهم، فلا يلبسون إلا أشرف الثياب، ولا يأكلون إلا ألين الطعام، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرًا وتجبرًا، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ، ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشُّهرتين من الثياب، العالي والمنخفض»[(١)]

كما أنهم قد التزموا منهج الوسط في تعاملهم مع مخالفيهم من أصحاب الفرق الضالة، فكانوا خير الناس للناس، وأرحم الخلق بالخلق، وخيرًا لتلك الفرق من بعضها لبعض، فلم يجعلوهم من أهل السُّنَّة، كما لم يلتزموا إخراج أعيانهم من دين الإسلام ما لم يقم فيهم مكفر عليه برهان من دين الله.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بحوث ندوة (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو)»، لمجموعة باحثين.

٢ ـ «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٤ ـ «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لمحمد بن إبراهيم الحمد.

(١) زاد المعاد (١/١٤٣ ـ ١٤٥).

٥ ـ «الفتوى وأثرها في حماية المعتقد وتحقيق الوسطية»، لفهد الجهني.

٦ ـ «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لإبراهيم البريكان.

٧ ـ «مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لعثمان جمعة ضميرية.

٨ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

٩ ـ «الوسطية في ضوء القرآن الكريم»، لناصر العمر.

١٠ ـ «الوسطية في القرآن الكريم»، لعلي الصلابي.

١١ ـ «الوصية الكبرى»، لابن تيمية.

الوسيلة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والسين واللام: كلمتانِ متباينتانِ جِدًّا، الأولى الرَّغْبة والطَّلَب. يقال: وَسَلَ؛ إذا رَغِب. والواسِل: الراغب إلى الله ﷻ، ومن ذلك القياس الوَسِيلة»[١]. وقال الجوهري: «الوَسِيلة ما يُتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسِيل والوَسائل، والتَّوسيل والتَّوسل واحد، يقال: وَسَل فلان إلى ربه وَسيلة، وتَوَسل إليه بوَسيلة؛ أي: تَقَرب إليه بعمل»[٢].

التعريف شرعًا:

قال ابن تيمية في تعريف الوسيلة: «هي ما يُتقرَّب إليه من الواجبات والمستحبات»[٣]. وقال أيضًا: «فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول»[٤]. وقيل: الوسيلة هي «كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسُنَّة نبيّه»[٥].

وقال الشنقيطي في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]: «اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، على وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالى... وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء»[٦].

والتوسل: هو التقرب إلى الله ﷻ بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[٧]. وقيل: التوسل «يراد به التوصل إلى رضوان الله

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١٠) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) الصحاح (٥/ ١٨٤١) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٩٩) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٠).

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١٧).

(٦) أضواء البيان (١/ ٤٠٢) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي (١٤).

والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه»[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة واضحة، فكلاهما فيه معنى التقرب والطلب، والشرع خصَّصها بالتقرب لله.

الحكم:

الوسيلة بمعناها الشرعي الصحيح واجبة، وقد تكون مستحبة، إلا أن هناك من يجعل وسيلته إلى الله ما لم يشرعه الله، فحكمه مبني على حكم العمل الذي توسل به.

الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

وقال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»[٢]، والوسيلة في هذا الحديث هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا للرسول محمد ﷺ.

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «فالوسيلة هي الأعمال الصالحة»[٣].

وقال الشنقيطي: «وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه، وهي العمل الصالح بإجماع العلماء»[٤].

المسائل المتعلقة:

الوسيلة في الأحاديث الصحيحة هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا للرسول محمد ﷺ، وهي المذكورة في قوله ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة**»[٥].

وقد فُسِّرت الوسيلة بقوله ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغي**

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤). وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٤/٨٦).

(٣) الرد على البكري (١/١١٩).

(٤) أضواء البيان (١/٤٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦١٤).

إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[١]. وهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة[٢].

مذهب المخالفين:

المخالفون هم ملاحدة الباطنية الذين لا يوجبون العمل بالشرائع على من وصل إلى حقيقة العلم، وضُلّال المتصوفة الذين ظنوا أن غاية العبادات هو حصول المعرفة، فإذا حصلت سقطت العبادات عنهم، وكذا كل من وافقهم[٣]. قال شيخ الإسلام مبينًا فساد مذهبهم، وحكمهم: «فالمقصود من هذا أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد له عقل، سواء كان كبيرًا أو صالحًا أو عالمًا، وما يظنه طوائف من جهَّال العبَّاد وأتباعهم، وجهَّال النظَّار وأتباعهم، وجهَّال الإسماعيلية والنصيرية، ـ وإن كانوا كلهم جهالًا ـ من سقوطها عن العارفين أو الواصلين أو أهل الحضرة، أو عمَّن خرقت لهم العادات أو عن الأئمة الإسماعيلية أو بعض أتباعهم، أو عمَّن عرف العلوم العقلية، أو عن المتكلم الماهر في النظر أو الفيلسوف الكامل في الفلسفة، فكل ذلك باطل باتفاق المسلمين، وبما علم بالاضطرار من دين الإسلام، واتفق علماء المسلمين على أن الواحد من هؤلاء يستتاب، فإن تاب وأقر بوجوبها وإلا قتل»[٤].

وقال ابن القيم: «فالزنديق يقول الاشتغال بالسير بعد الوصول عيب لا فائدة فيه، والوصول عنده هو ملاحظة عين الجمع، فإذا استغرق في هذا الشهود وفنى به عن كل ما سواه، ظن أن ذلك هو الغاية المطلوبة بالأوراد والعبادات، وقد حصلت له الغاية، فرأى قيامه بها أولى به، وأنفع له من الاشتغال بالوسيلة، فالعبادات البدنية عنده وسيلة لغاية وقد حصلت، فلا معنى للاشتغال بالوسيلة بعدها، وقد اشتد نكير السلف من أهل الاستقامة من الشيوخ على هذه الفرقة وحذروا منهم»[٥].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التوسل أنواعه وأحكامه»، للألباني.

٢ ـ «التوسل المشروع والممنوع»، لعبد الله المعتق [بحث منشور].

٣ ـ «التوصل إلى حقيقة التوسل»، للرفاعي.

٤ ـ «درء التعارض» (ج٣)، لابن تيمية.

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٠).
(٣) انظر: درء التعارض (٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٤)، ومدارج السالكين (٣/ ١١٦).
(٤) درء التعارض (٣/ ٢٧١).
(٥) مدارج السالكين (٣/ ١١٦).

٥ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٦ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٧ ـ «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.

وصول ثواب الأعمال

يراجع مصطلح (انتفاع الميت بسعي الحي).

الوعد

التعريف لغةً:

الواو والعين والدال: كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تَرجِيَةٍ بِقَوْل. يقال: وَعَدْتُه أَعِدُهُ وَعْدًا. ويقال: وعَدَه الأَمْرَ وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْدًا ومَوْعِدًا ومَوْعِدَةً ومَوْعودًا ومَوْعودَةً، ويكون ذلك بخيرٍ وشَرٍّ. فأمّا الوَعِيدُ فلا يكون إلا بشَرّ. يقولون: أوعَدْتُه بكذا. فإذا أُسْقِطَا قيلَ في الخَيْرِ: وعَدَ، وفي الشَّرِّ: أوعَدَ وقالوا: أوعَدَ بالخَيْرِ وبالشَّرّ، والمُوَاعَدَة من المِيعاد. والعِدَة: الوَعْد، وجمعها عِدَاتٌ: والوَعْد لا يجمع[1].

التعريف شرعًا:

الوعد: هو كل نص ورد فيه الوعد من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ ـ لمن فعله أو أتى به ـ بالخير الدنيوي أو الأخروي. قال القرطبي: «الوعد هو الخبر عن المثوبة عند الموافقة»[2].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي العموم والخصوص، فإن الوعد الشرعي مختص بالخير، أما الوعد اللغوي فيكون بالخير والشر.

الأسماء الأخرى:

يطلق على الوعد: نصوص الوعد، أهل الوعد، إنفاذ الوعد.

الحكم:

يجب الإيمان بجميع موعودات الله ﷻ ووعده لأهل طاعته ولأهل الإيمان به، فلا أصدق منه حديثًا ولا أصدق منه قيلًا، وهو ذو الجود والكرم والرحمة والإحسان.

أقوال أهل العلم:

قال يحيى بن معاذ: «الوعد والوعيد حق. فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله. الوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٩٥) [اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ]، القاموس المحيط (٤١٦).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٢٧) [دار الفكر].

والكرم إنه غفور رحيم»[1].

وقال ابن أبي زمنين المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قول أهل السُّنَّة أن الوعد فضل الله عَزَّ وَجَلَّ ونعمته، والوعيد عدله وعقوبته، وأنه جعل الجنة دار المطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء، وأرجى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عن فعله، وقال عز من قائل فيما وعد به المؤمنين المطيعين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء]»[2].

وقال العمراني اليماني الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن من وعد الله ثوابًا على عمل عمله بفضل من الله ونعمة، ولا يوصف الله بأنه يخلف وعده، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران]، ومن أوعده عذابًا على ذنب أذنبه فإن الوعيد حق له وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود، وربنا موصوف بالجود والكرم، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحضنا عليه ومدح فاعله»[3].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٤) [دار الراية، ط٢].

(٢) أصول السُّنَّة لابن أبي زَمَنِين (٢٥٦) [مكتبة الغرباء، المدينة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني (٣/ ٣٧٦) [أضواء السلف، الرياض، ط١].

الأقسام:

كل من نظر في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة يتبين له أن وعد الله عَزَّ وَجَلَّ لأهل طاعته ثلاثة أقسام:

الأول: الوعد العام لأهل الإيمان والطاعة؛ بالرحمة والمغفرة والرضوان، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥]، وأصحاب هذا الوعد هم كل من اتصف بالصفات المذكورة في الآيات على تفاوت في مراتبهم، ويجمعهم مرتبتان من المراتب التي صنف الله عَزَّ وَجَلَّ إليها المصطفين من عباده في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر] وهما مرتبة: السابق بالخيرات، ومرتبة: المقتصد، أما الظالم لنفسه فهو من أهل الوعد في الجملة، ولكن قد يعذب على قدر ذنوبه وقد يعفى عنه، ولكنه لا يخلد في النار.

الثاني: الوعد الخاص المتعلق بأشخاص معينين لصفاتهم وأحوالهم، وذلك مثل أنبياء الله ورسله عليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ [مريم: ٥٨]، ويدخل في ذلك المعيّنون بأوصاف خاصة كصحابة رسول الله ﷺ وأزواجه كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

الثالث: الوعد الخاص على أعمال معينة من أتى بها استحق كذا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة] ونحوها.

فهذا القسم من الوعد لأهل الإسلام ينقسم أهله إلى قسمين:

الأول: الذين أتوا به وهم مستقيمون على ما سواه من أوامر الشرع ومجتنبون للكبائر، فهؤلاء هم الموعودون بذلك والمستحقون على الله ﷻ تفضلًا منه وكرمًا ما وعدهم به، وهم داخلون تحت قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن] وغيرها من الآيات.

الثاني: الذين أتوا بهذه الأعمال وهم فيما سواها مقصّرون، من ترك للواجبات أو وقوع في المحرمات، فهذا الصنف مستحق لوعد الله ﷻ فيما وعدهم به؛ فإن الله لا يخلف وعده، ولكن قد يُعاقبهم بذنوبهم ثم يُعطيهم ما وعدهم

به، وقد يعفو عنهم ويعطيهم ما وعدهم به، وقد يَذهب ما وُعدوا به لغرمائهم كما في حديث المفلس[(١)]، وهذا الصنف أصحابه يدخلون تحت قول الله ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦﴾ [التوبة]، فهذه الآية وإن كان سبب نزولها الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك[(٢)]، إلا أنها قاعدة لعموم أهل الذنوب بأن من مات ولم يتب فأمره إلى الله ﷻ، وهو تحت المشيئة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وكما قال ﷺ في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك[(٣)]، وقد استدل به على ذلك أيوب السختياني رحمه الله، فقد روى ابن بطة رحمه الله عن سلام بن أبي مطيع قال: «شهدت أيوب وعنده رجل من المرجئة، فجعل يقول: إنما هو الكفر والإيمان قال: وأيوب ساكت، قال: فأقبل عليه أيوب فقال: أرأيت قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أمؤمنون أم كفار؟ فسكت الرجل، قال: فقال له أيوب: اذهب فاقرأ القرآن فكل آية فيها ذكر النفاق، فإني أخافها على نفسي»[(٤)].

فهذا الصنف ممن وقعوا في الكبائر ولم يتوبوا قبل الموت تحت المشيئة وهم المقصودون في كلام أهل العلم بأصحاب الكبائر أو الفاسق الملي، وهم باتفاق أهل السُّنَّة تحت المشيئة، فإما أن يعفو الله عنهم وإما أن يعذبهم بقدر ذنوبهم، وإذا دخلوا النار فهم لا

(١) وهو حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طرح في النار**». أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٦٧) فقد رواه عن قتادة رحمه الله وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٨)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٧٠٩).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/٧٥٤) رقم (١٠٥٢) [دار الراية الرياض].

يخلدون فيها وإنما يخرجون منها بعد أن يمحَّصوا من ذنوبهم. كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكذلك حديث عبادة بن الصامت، وكذلك أحاديث الشفاعة كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ومما جاء فيه قوله ﷺ بعد أن يؤذن له ﷺ بالشفاعة: «**فأقول: يا ربِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل**»[1] ونحوها من الأحاديث.

فهؤلاء أصناف أهل الوعد، وهذا حالهم بالنسبة لعِداتِ الله عز وجل.

المراتب:

أهل الوعد على مراتب ثلاث، هي:

١ ـ السابقون بالخيرات، وهم المقربون.

٢ ـ المقتصدون، وهم أصحاب اليمين.

٣ ـ الظالمون لأنفسهم، وهم العصاة من أهل الإسلام.

وقد جاء ذكر هذه المراتب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر]

وقد رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: «هم أمة محمد ﷺ، ورَّثَهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»[2]، وجاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه[3].

المسائل المتعلقة:

ـ نصوص الوعد:

سبق بيان أن نصوص الوعد على أقسام، والمقصود هنا بالمسألة هو نصوص الوعد التي جاءت على بعض الأعمال وتشعر أنها كافية في حصول النجاة والفلاح لمن التزم مضمون الوعد المعين، وقد تتعارض تلك النصوص في ظاهرها مع نصوص أخرى، وهي كلها نصوص صحيحة، ومن تلك النصوص:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أشهد أن لا إلـه إلّا الله، وأنِّي**

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٣٦٨) [دار هجر، ط١]، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٣٦٨) [دار هجر، ط١]، وسنده ضعيف.

رسول الله، **لا يلقى الله بهما عبد غَيْر شاكٍّ فِيهِما، إلّا دخلَ الجنّة**»[١].

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وهو يعلم أنَّه لا إلٰه إلّا الله، دخل الجنة**»[٢].

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يشهد أحد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّي رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه**»[٣].

فهذه النصوص وأمثالها قد يظن ظان أنها تتعارض مع نصوص الوعيد التي وردت على بعض الأعمال مثل حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، أَنَّه سمع النَّبي ﷺ يَقُولُ: «**لا يَدخل الجنّة قاطعٌ**»[٤].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة من لا يأمن جاره بوائقه**»[٥].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر**»[٦].

وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعيَّة، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنّة**»[٧]

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينِه، فقد أوجب الله له النّار، وحرَّم عليه الجنّة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبًا من أراك**»[٨]، ونحوها من الأحاديث.

وتلك الروايات في الوعد تتعارض مع الأمر بالتزام الفرائض والواجبات الدينية إذ أنها لم يرد فيها سوى تعليق الفلاح بعمل من الأعمال الواجبة كالشهادتين ونحوها قال ابن خزيمة رحمه الله: «وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بهذه الأخبار أن من قال: لا إلٰه إلا الله أو زاد مع شهادة أن لا إلٰه إلا الله شهادة أن محمدًا رسول الله، ولم يؤمن بأحد من الأنبياء، غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله، ولا بجنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة، لا يعذب بالنار، ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم، وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي ﷺ، جاز

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٦).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٤)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٦).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٦).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).
(٧) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.
(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٣٧).

للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي ﷺ إذا تؤوّلت على ظاهرها»[(١)].

وأهل العلم لهم عدة أجوبة عن ذلك بعد اتفاقهم على أن النجاة متحققة بفضل الله لمن كان من أهل المرتبتين السابق ذكرهما في مراتب أهل الوعد، أما من عداهما ممن خلّطوا ووقعوا في الكبائر أو التفريط بالواجبات وأتوا ببعض الأعمال الواردة في أحاديث الوعد فلأهل العلم أجوبة عديدة في بيان معنى الأحاديث، وهي:

١ ـ أن هذه الفضيلة في تلك الأحاديث هي لمن قالها عند الندم والتوبة، ومات على ذلك، وبهذا قال البخاري. وابن خزيمة[(٢)].

٢ ـ أن المراد بدخول الجنة في هذه الأحاديث هو دخولها بعد مجازاته بما يستحق من العقوبة إن لم يغفر الله له[(٣)].

٣ ـ أن المراد من تحريم دخول النار؛ أي: عدم دخول النار؛ أي: النار التي أعدت للكافرين التي من دخلها لا يخرج منها، بخلاف النار التي يدخلها عصاة الموحدين ممن شاء الله عقابه.

٤ ـ أنَّ لا إلٰه إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وبهذا قال الحسن، فعن الحسن بن عميرة قال: قيل للحسن: «إن ناسًا يقولون: من قال لا إلٰه إلا الله دخل الجنة. قال: من قال لا إلٰه إلا الله فأدى حقها وفرْضها، دخل الجنة». وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إلٰه إلا الله؟ قال: نعم، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فمن جاء به بأسنانه فتح، وإلا لم يفتح»[(٤)].

وهذا ظاهر كلام القاضي عياض، وما رجَّحه النووي وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن حجر، وكثير من الأئمة، وهو أنه لا بد مع (لا إلٰه إلا الله) من عمل الصالحات وتجنب الكبائر، الذي هو تحقيق لمعناها ومقتضاها، ودليل على الصدق فيها، ومن فرَّط في ذلك فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وإن عاقبه بالنار فإنه لا يخلد فيها وإنما مآله إلى الجنة[(٥)].

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨١٥) [مكتبة الرشد، الرياض ط٥، ١٤١٤هـ].
(٢) انظر: كلام البخاري في كتاب اللباس. فتح الباري (١٠/٢٩٥). وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨٣١).
(٣) انظر شرح النووي على مسلم (١/٢١٩).
(٤) أخرجه عنهما الأصبهاني في الحجة (٢/١٥٨).
(٥) انظر الآثار السابقة وأقوال العلماء في شرح النووي على مسلم (١/٢١٩)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية (٣/٧٥٧)، وكلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (١٤)، وفتح الباري لابن حجر (١/٢٢٦)، ومعارج القبول (١/٣٤٣)، والدين =

۞ مذهب المخالفين:

يخالف أهل السُّنَّة في نصوص الوعد طائفتان: **الأولى:** بعض المرجئة، **والثانية:** الوعيدية من الخوارج والمعتزلة

أولًا: المرجئة:

نصوص الوعد السابق ذكرها مع الفهم الذي فهمه أهل السُّنَّة منها، فإنهم جمعوا بين مدلولها وبين مدلول النصوص الشرعية الأخرى، وكذلك ما أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة؛ من أن أصحاب الكبائر الذين ماتوا ولم يتوبوا من ذنوبهم أنهم تحت المشيئة، قال العمراني رَحِمَهُ الله: «ومذهب أهل السُّنَّة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم، وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم»(١).

ويوافقهم في ذلك الأشاعرة والماتريدية وأصحاب أبي حنيفة والذين من قولهم إخراج العمل من مسمى الإيمان، ويقصدون بذلك أن العمل ليس داخلًا في مسمى الإيمان لكنهم يجعلون العمل من واجباته ولوازمه وأن التفريط بالعمل أو ارتكاب الكبائر بدون توبة منها يعرض فاعل ذلك للعقوبة المنصوص عليها في الشرع، وأنهم تحت المشيئة.

ويخالف في ذلك كله طائفة من المرجئة، يرون أن من أتى بعقد الإسلام فليس فيه وعيد، وأن أهل الإسلام ناجون بعقد الإسلام بدون الحاجة إلى عمل، قال الأشعري وهو يحكي كلام المرجئة في الأخبار إذا وردت من قبل الله سبحانه وظاهرها العموم على سبع فرق: فذكر أربع فرق ثم قال: «وزعمت الفرقة الخامسة من المرجئة أنه ليس في أهل الصلاة وعيد إنما الوعيد في المشركين، قالوا: وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] وما أشبه ذلك من آي الوعيد في المستحلِّين دون المحرّمين، قالوا: فأما الوعد من الله فهو واجب للمؤمنين، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يخلف وعده، والعفو أولى بالله، والوعد لهم قول الله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] وما أشبه ذلك من آي القرآن، وزعم هؤلاء أنه كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الإيمان عمل ولا يدخل النار أحد من أهل القبلة.

وحكي عن بعض العلماء باللغة أنه قال: من أخبر الله أنه يثيبه أثابه ومن

= الخالص (٣/ ١٣٧ ـ ١٤٧)، وتيسير العزيز الحميد (٨٧ ـ ٩١).

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني الشافعي (٣/ ٦٦٦).

أخبر أنه يعاقبه من أهل القبلة لم يعاقبه ولم يعذبه وذلك يدل على كرمه، وزعم أن العرب كانت تمتدح الوعد والعفو عما توعدت عليه»[(١)].

وقال الشهرستاني: اليونسية؛ أصحاب يونس بن عون النميري، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له وترك الاستكبار عليه، والمحبة بالقلب. فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصًا، واليقين صادقًا.

وقال: ومن تمكن في قلبه الخضوع لله، والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية، وإن صدرت منه معصية فلا تضره بيقينه وإخلاصه، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته، لا بعمله وطاعته.

وحكى الشهرستاني عن عبيد المكتئب الذي تُنسب إليه فرقة العبيدية أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات[(٢)].

فهذه الفرق من المرجئة هم غلاة أهل الإرجاء وهم الذين يُعمِلون نصوص الوعد ويهملون نصوص الوعيد فيأخذون ببعض الحق ويتركون بعضًا. قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر نصوص الوعيد وأنه ضل فيها صنفان: «صنف: منهم الخوارج والمعتزلة، أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار، وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة، الصنف الثاني: الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال: لا إلٰه إلا الله، تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها»[(٣)].

وقال العمراني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واحتجت المرجئة... بالأخبار المشهورة عن النبي ﷺ أنه قال: **«من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله دخل الجنّة»**[(٤)]، وبما روى عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: **«من شهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، حُرِّم على النّار»**[(٥)]»[(٦)].

فهؤلاء قد أخذوا بنصوص الوعد فيما

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٢٤) [المكتبة العصرية ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤٠) [مؤسسة الحلبي].

(٣) كتاب التوحيد لأبي بكر ابن خزيمة (٢/ ٧٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦/ ٣٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧). وليس في لفظه: (محمد رسول الله).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٩) بنحوه.

(٦) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني الشافعي (٣/ ٧٥٧).

يتعلق بحكم أصحاب الكبائر في الآخرة وزعموا أن أهل القبلة لا وعيد فيهم، وقولهم مردود بثلاثة أنواع من الأدلة:

الأول: نصوص الشرع الموجبة للأوامر الشرعية كالصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، والمهددة لمن تركها أو تهاون فيها، ومنها قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

الثاني: النصوص الشرعية الناهية عن ارتكاب ما حرم الله عز وجل ومعصيته ومعصية رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾ [الجن].

الثالث: النصوص الشرعية التي ورد فيها ذكر عذاب خاص على بعض الأعمال وهي كثيرة، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء]، وقول الله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء].

فهذه ثلاثة أنواع من الأدلة، وتحتها من الأفراد ما لا يحصى إلا بمشقة من كثرتها، بل إن ذلك يتعارض مع رسالة الإسلام ودعوة النبي ﷺ وجهاده، وفيها إبطال للشرع، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المرجئة قد أبطلت الملة والشرع، ومن ذلك قول سفيان: «لقد تركت المرجئة هذا الدين أرق من السابري[(١)]»[(٢)]، وقال إبراهيم النخعي: «تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري»[(٣)]، وقال أيضًا: «المرجئة أخوف عندي على أهل الإسلام من عدلهم من الأزارقة»[(٤)]؛ وذلك أن هذا الفهم والمعتقد يخالف أصل الإسلام ودعوة الرسول ﷺ. قال ابن الجوزي رحمه الله: «وقالت المرجئة: إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلًا، وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار. قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقًا؛ فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات،

---

(١) السَّابِرِيُّ: ثيابٌ رقاقٌ. لسان العرب (٤/ ٣٤٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٣٣) [السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ].

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٥/ ١٠٦١) رقم (١٨٠٧) [دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ].

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/ ٨٨٩) رقم (١٢٣٣).

وهي الخشية والمراقبة، وهدموا سياسة الشرع، فهم شر طائفة على الإسلام»[(١)].

الثانية: الوعيدية الخوارج والمعتزلة، هم القائلون بإنفاذ الوعيد على أهل الإسلام، فمن ارتكب ذنبًا من الكبائر ومات بدون توبة فإنه مخلد في نار جهنم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإيمان» لابن تيمية.
٢ ـ «تفسير الطبري».
٣ ـ «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.
٤ ـ «مقالات الإسلاميين»، للأشعري.
٥ ـ «الملل والنحل»، للشهرستاني.
٦ ـ «الإبانة»، لابن بطة.
٧ ـ «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار»، للعمراني الشافعي.
٨ ـ «الدر النقي شرح ألفاظ الخرقي»، ليوسف بن عبد الهادي.
٩ ـ «روح المعاني»، للآلوسي.
١٠ ـ «الوعد الأخروي»، لعيسى السعدي.

الوعيد

التعريف لغةً:

الوعيد: أصل مادتها الواو والعين والدال، وهي كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول. والوعيد والتوعد: بمعنى التهدُّد.

والوعد أعم من الوعيد، فالوعد قد يطلق في الخير والشر، فيقال: وعدتُ الرجل خيرًا وشرًّا، وإن كان الغالب استخدامه في الخير. أما الوعيد فهو في الشر، يقال: أوعدت الرجل، ومنه قول كعب بن زهير رضي الله عنه في قصيدته المشهورة (بانت سعاد):

نبِّئتُ أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

قال ابن سيده: «وفي الخير: الوعدُ والعِدَة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد».

وأنشدوا لعامر بن الطفيل:

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لأخلف إيعادي وأنجز موعدي[(٢)]

وقد جاء في القرآن: الوعد المطلق بمعنى الوعيد، حيث قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

التعريف شرعًا:

الوعيد: هو كل وعد بالعقوبة على

(١) تلبيس إبليس (٧٦) [دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٢٥)، والدر النقي لابن عبد الهادي (٢/ ٥٧٣) [محقق في رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى]، ولسان العرب (٣/ ٤٦٣)، والقول السديد في خلف الوعيد لملا علي قاري (١٩) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٢/ ٣/ ٤٠) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

عمل من الأعمال سواء كانت عقوبة دنيوية أو أخروية.

الأسماء الأخرى:

تسمى المسألة: إنفاذ الوعيد، الفاسق الملي، حكم أصحاب الكبائر.

الأقسام:

إن الناظر في النصوص يجد أن الوعيد لأهل المعاصي على نوعين:

النوع الأول: وعيد عام مطلق، وهذا النوع من الوعيد هو وعيد الله ﷻ لأهل معصيته من الكفار والمشركين بالعذاب الدنيوي والأخروي، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة].

وهذا الوعيد المتعلق بالكفار نافذ فيهم بسبب كفرهم؛ لأن النصوص صريحة بإنفاذ ذلك فيهم، ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ [آل عمران].

النوع الثاني: الوعيد على أعمال معينة دون الشرك والكفر، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥﴾ [البقرة]، وهذا النوع من الوعيد إن كان صاحبه من الكفار ومات على كفره فإن الوعيد نافذ فيه، أما إن كان من أهل التوحيد والإسلام فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك عند الحديث عن نصوص الوعيد.

الحكم:

مذهب أهل السُّنَّة في الوعيد يتحصَّل بما يلي:

أولًا: تحقق وعيد الكفار وإنفاذه، فقد وقع اتفاق المسلمين على إنفاذه، فلا يجوز خلف الوعيد في حق الكفار إجماعًا[(١)].

ثانيًا: وأما وعيد الفساق (أصحاب الكبائر من المسلمين)، فإن أهل السُّنَّة يقطعون بإنفاذ الوعيد في حقهم في الجملة؛ أي: يقطعون بأن من أصحاب الكبائر من المسلمين من يدخل النار ما شاء الله، ثم يخرج منها، دون أن يضيفوا ذلك إلى شخص معين من أهل الكبائر، وهؤلاء إذا دخلوا النار فإنهم لا يخلدون فيها أبدًا، بل يمكثون ما شاء الله، ثم يخرجون منها.

ثالثًا: كما يقطع أهل السُّنَّة أن من أهل الكبائر من لا يدخل النار، بل يعفو الله عنهم[(٢)] بأسباب، من الشفاعة، أو المصائب المكفرة، أو رحمة أرحم الراحمين أو غير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأهل السُّنَّة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار

(١) انظر: القول السديد في خلف الوعيد، لملا علي قاري (٢٤، ٢٨).

(٢) ويذكر في هذه النقطة ما أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما من القطع بإنفاذ وعيد القتل العمد العدوان، ووافقه على ذلك جماعة من السلف، كزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وعبيد بن عمير. انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٣٦)، فتح الباري لابن حجر (٨/٤٩٦).

ومع أن قول الجماهير من أهل السُّنَّة على خلاف ذلك، وأن للقاتل توبة، إلا أنه مما يلزم الإشارة إليه أن هؤلاء الذين قطعوا بإنفاذ الوعيد في حق القاتل العمد ليسوا موافقين للوعيدية من الخوارج في قولهم، فإن هذا الفريق من أهل السُّنَّة لا يقول بخلود القاتل في النار، بل يجزمون بخروج من دخل النار من الموحدين، لتواتر الأحاديث عن النبي ﷺ بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فإن «النزاع في التوبة غير النزاع في التخليد، وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي، فلهذا حصل فيه النزاع» مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٢٢٢، ٢٢٣)، وانظر: مدارج السالكين (١/٣٩٤) [دار الكتاب العربي، ط٢]، وتفسير ابن كثير (١/٥٣٧) [مكتبة دار التراث]، والوعد الأخروي (٢/٥٣١، ٥٣٢) [دار عالم الفوائد، ط١].

لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته منه، أو من غيره، وإما لمصائب كفَّرتها عنه، وإما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه، وإما لغير ذلك»[(١)].

الأدلة:

سبق ذكر الأدلة على الوعيد للكفار، وكذلك بعض النصوص الدالة على الوعيد على أعمال معينة، ويدخل فيها من وقع في ذلك من المسلمين، وسبق بيان أن وعيد الكفار نافذ فيهم، أما أهل الإسلام والتوحيد فإن قول أهل السُّنَّة أنهم تحت المشيئة، وسنذكر الأدلة على ذلك، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. قال ابن عمر رضي الله عنه عن هذه الآية: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار»[(٢)]. وعنه أيضًا قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من فيّ نبيِّنا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] قال: «**إني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا»[(٣)]، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»[(٤)].

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك[(٥)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٤٨٠) (١٦/ ١٩).
وينظر: القول السديد في خلف الوعيد لملا علي قاري (٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٤٧١، ٤٧٢) [المكتب الإسلامي، ط١]، وجوَّد إسناده الألباني في ظلال الجنة.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٣٩٨) [المكتب الإسلامي، ط١]، والبزار (١٢/ ١٨٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وغيرهما، وحسنه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) أخرجها أبو يعلى في مسنده (١٠/ ١٨٥) [دار المأمون، ط١]، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٨) [دار الفكر، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥) [مكتبة القدسي]: رجاله رجال الصحيح، غير حرب بن سريج، وهو ثقة. وصحح سنده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٧) [دار الفكر].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٨)، ومسلم =

وكذلك النصوص التي تدل على إخراج أهل التوحيد من النار، كأحاديث الشفاعة ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «فأقول: **يا رب، أمتي أمتي**، فيقول: انطلق فأُخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل»[(١)]، وعن أنس رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[(٢)].

وكذلك إذا قوبلت بأحاديث الوعد كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما، إلا دخل الجنة**»[(٣)].

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من مات وهو يعلم أنّه لا إلٰه إلا الله، دخل الجنة**»[(٤)].

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يشهد أحد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّي رسول الله، فيدخل النّار، أو تطعمه**»[(٥)].

فهذه النصوص بمجموعها استدل بها أهل السُّنَّة على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإسلام، إذا مات ولم يتب فهو تحت المشيئة، فإن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه، والخلود في النار مدفوع عنه بالتوحيد، فإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولا بد أن يخرج منها برحمة الله عز وجل، ولا يخلد في النار إلا الكفار. قال السفاريني: «فدل الكتاب والسُّنَّة واتفاق الفرقة الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»[(٦)]. وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السُّنَّة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثمه عليه ويدفن في مقابر المسلمين»[(٧)].

كما ذكر أهل العلم أن الوعيد الوارد على بعض الكبائر له موانع تمنع من إنفاذه، ومنها[(٨)]:

= (كتاب الحدود، رقم ١٧٠٩).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٦).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٦) لوامع الأنوار البهية (١/٣٧٠).

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/١٣٨) [دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٨) انظر: منهاج السُّنَّة (٦/٢٠٥ ـ ٢٣٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٨٧ ـ ٥٠١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٣٦٧ ـ ٣٧١)، ومدارج السالكين (١/٣٩٦، ٣٩٧)، والوعيد الأخروي (٢/٥٣٤).

١ ـ التوبة، وهي أمر متفق عليه بين المسلمين، حتى الوعيدية منهم.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١].

والتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. وأما التوبة فإنه قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]، وهذه لمن تاب.

٢ ـ الاستغفار.

٣ ـ الأعمال الصالحة، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. وأعظم الأعمال الصالحة: توحيد الله، كما في الصحيح: «**لن يوافي عبد يوم القيامة، يقول: لا إله إلا الله، يبتغي به وجه الله، إلا حرم الله عليه النار**»[١].

٤ ـ دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة، وكذا شفاعة غير النبي ﷺ من المؤمنين.

٥ ـ دعاء المؤمنين لصاحب الإثم واستغفارهم له.

٦ ـ ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدى له، مثل من يتصدق عنه ويحج عنه ويصوم عنه، قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

٧ ـ المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهمّ يهمه، إلا كفر به من سيئاته**»[٣].

٨ ـ إقامة الحدود في الدنيا. ودل على ذلك حديث عبادة بن الصامت السابق، وفيه: «**ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»[٤].

٩ ـ ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.

١٠ ـ ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الهبات، رقم ١٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٣).

(٤) تقدم تخريجه.

١١ ـ ما ثبت في الصحيح أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وُقِفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة[(١)].

١٢ ـ رحمة الله تعالى وعفوه عن الذنوب، دون ذنب الشرك، بلا سبب من العباد، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، والمراد بهذه الآية من لم يتب من الذنب؛ لأن التوبة سبب لمغفرة الذنوب جميعًا، حتى الشرك، فالتائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، وعلى التوبة حمل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

فمغفرة الذنوب جميعًا بالتوبة أمر لم يعلقه الله تعالى بالمشيئة في النصوص، وهذا يدل على أن المغفرة المعلقة بالمشيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، هي مغفرة لذنوب دون الشرك لم يتب منها صاحبها، إن شاء الله غفرها وإن شاء لم يغفرها، وعلى هذا المعنى اتفق سلف الأمة وسائر أهل السُّنَّة[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال يحيى بن معاذ: «الوعد والوعيد حق. فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله. الوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ؛ لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم»[(٣)].

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة أن الوعد فضل الله عَجَلَ ونعمته، والوعيد عدله وعقوبته، وأنه جعل الجنة دار المطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء، وأرجى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عن فعله... فوعده تبارك وتعالى للمؤمنين

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٥) (٧/ ٤٨٤، ٤٨٥)، ومدارج السالكين (١/ ٣٩٤)، وشرح الطحاوية (٤١٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٤) [دار الراية].

المطيعين صدق، ووعيده للكفار والمشركين حق، ومن مات من المؤمنين مصرًّا على ذنبه فهو في مشيئته وخياره»[(١)].

وقال يحيى العمراني الشافعي: «ومن أوعده عذابًا على ذنب أذنبه، فإن الوعيد حق له، وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود، وربنا موصوف بالجود والكرم، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحضَّنا عليه ومدح فاعله»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

نصوص الوعيد: نصوص الوعيد الواردة في الشرع لأهل المعاصي سبق بيان أنها على نوعين:

الأول: متعلق بوعيد الكفار، وهذا نافذ فيهم وعقوبتهم به محققة لا محالة لكل من مات كافرًا أو مشركًا، وليس بين أهل العلم خلاف في هذا.

الثاني: وهي مجال الحديث هنا، وهي نصوص الوعيد التي ذكرت على أعمال قد يفعلها أناس من أهل الإسلام، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٣)]، وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**»[(٤)]. ومثلها الأحاديث التي وردت تنفي الإيمان عن فاعل بعض المعاصي وكذلك الأحاديث التي تنفي أن يكون من النبي ﷺ كحديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[(٥)].

فهذه الأحاديث يؤمن بها أهل السُّنَّة ويقولون: إن معناها يجب أن يتوافق مع سائر النصوص الأخرى الشرعية، والتي دلت على أن الله عز وجل قد يعفو عن أهل التوحيد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قال ابن عمر رضي الله عنهما عن هذه الآية: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

(١) أصول السُّنَّة لابن أبي زَمَنِين (٢٥٦) [مكتبة الغرباء، المدينة، السعودية ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني اليمني الشافعي (٣/ ٣٧٦) [أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٣).

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار»[(١)]. وعنه أيضًا قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من فيِّ نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] قال: «**إني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا»[(٢)]، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»[(٣)].

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك[(٤)].

وكذلك النصوص التي تدل على إخراج أهل التوحيد من النار، كأحاديث الشفاعة، ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ومما جاء فيه قوله ﷺ بعد أن يؤذن له ﷺ بالشفاعة: «**فأقول: يا رب، أمتي أمتي**، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، **فأنطلق فأفعل**»[(٥)]. وعن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[(٦)].

وكذلك إذا قوبلت بأحاديث الوعد كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما، إلا دخل الجنة**»[(٧)].

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وهو يعلم أنّه لا إلٰه إلا الله، دخل الجنة**»[(٨)].

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يشهد أحد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّي رسول الله، فيدخل النّار، أو تطعمه**»[(٩)].

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) تقدم تخريجه.
(٩) تقدم تخريجه.

فهذه النصوص بمجموعها استدل بها أهل السُّنَّة على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإسلام، إذا مات ولم يتب فهو تحت المشيئة، فإن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه، والخلود في النار مدفوع عنه بالتوحيد، فإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولا بد أن يخرج منها برحمة الله ﷻ، ولا يخلد في النار إلا الكفار. قال السفاريني: «فدل الكتاب والسُّنَّة واتفاق الفرقة الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»[(١)]. وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السُّنَّة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثمه عليه ويدفن في مقابر المسلمين»[(٢)].

كما أن المعيَّن من أهل التوحيد لا يقطع له بمضمون ذلك الوعيد وإنما يقولون بمضمونه جملة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعيَّن لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعيَّن من أهل القبلة بالنار؛ لجواز أن لا يلحقه الوعيد؛ لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع. وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولكن لم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ»[(٣)].

ومن أهل العلم من يقول بعدم جواز إطلاق إخلاف الوعيد، ويصرح بأن الخلف على الله تعالى غير جائز، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد]، وقال: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الحج]؛ أي: إيعاده بإجماع المفسرين[(٤)]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ۝٢٨ مَا

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٠).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ١٣٨) [دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/ ٣٤٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ].

(٤) القول السديد في خلف الوعيد (٢٩).

يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق].

وعليه؛ فيقال: الخلف في الوعيد لا يجوز في حق الكافر إجماعًا.

وأما في حق عصاة المسلمين، فلم يطلقوا القول بإخلاف الوعيد، بل صرح بعضهم بعموم امتناعه، ولكن قالوا: إن النص قد أثبت العقوبة للعصاة، ووقوع هذه العقوبة على المعيَّن متوقف على تحقق الشروط، وانتفاء الموانع، فإن العذاب قد يتخلف عن المعيَّن من العصاة لأسباب، وهذه الشروط والموانع قد جاءت في النص، فعدم وقوع العذاب على المعيَّن ليس إخلافًا للوعد، بل هو تحقيق للوعد الوارد في نصوص أخرى، فنصوص الوعيد للفساق مشروطة كلها بعدم العفو.

قال ابن الصلاح: «لا يقع أصلًا شيء من أخباره تعالى على خلاف مخبَره، ومن ذلك الوعد، وأما الوعيد فالعفو متطرق إليه، وليس ذلك خُلْفًا في خبره فيه، فإن الوعيد مقيد من حيث المعنى بحالة عدم العفو، فإذا قال: «لأعذبن الظالم» مثلًا فتقديره: إن لم أعف عنه، أو إلى أن أسامحه أو أتكرم عليه، ونحو هذا، وهذا القيد عرف من عادة العرب في إيعاداتها، ومن أخبار الشارع عن ذلك على الجملة والعموم»[(١)].

(١) فتاوى ابن الصلاح (١٦٠).

وقال الملا علي قاري في كلامه على آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]: «عدم تجويز خُلف الوعيد في الكفار لما يلزم منه الخُلف في الأخبار، وهذه العلة بعينها موجودة فيما عدا الشرك، فيتعين أن لا يجوز الخلف فيه أيضًا، إلا أن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يفيد التقييد بالمشيئة، فلا يتصور الخلف فيه أيضًا، فإنه تعالى إذا قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وحملناه على ما عدا الكفر، وغفر لبعض عباده من عصاة المؤمنين، وعذب بعضهم، كيف يصح أن يقال: خالف في وعيده، والحال أن وعيده مقيد بالمشيئة، لا يقال: يجوز أن يكون خُلف الوعيد في حق من لم يشأ الله العفو عنه، فإنا نقول: هذا باطل لما طبق عليه أهل السُّنَّة من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[(٢)].

هذه عمومًا تقعيدات أهل السُّنَّة في نصوص الوعيد، أما تفصيل أقوالهم في تلك النصوص فهي على النحو التالي:

النصوص التي ورد فيها الوعيد خمسة

(٢) القول السديد في خلف الوعيد (٢٩، ٣٠). وانظر نفس المرجع (٣٣، ٤٠ ـ ٤٣، ٤٦ ـ ٥٥)، ومرقاة المفاتيح (٥/٣١٢، ٣١٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، والوعد الأخروي للسعدي (١/٢٢٨).

أنواع نذكر كل نوع منها ونبين كلام أهل العلم في معناه:

النوع الأول: نصوص نفت الإيمان عن مرتكبي بعض الذنوب:

هناك نصوص عديدة نفت الإيمان عن فاعل بعض الكبائر ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»[(١)]، وعن شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، وكان كالظّلة، فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان**»[(٣)].

وقد اختلف العلماء في معنى هذه الأحاديث إلى أقوال عدة، وذلك بعد أن أجمعوا على أن المعاصي لا يخرج صاحبها من الدين ولا يكون بها كافرًا، خلافًا للخوارج والمعتزلة[(٤)].

القول الأول: إن المراد بذلك أن الإيمان يرتفع عنه حال المعصية، ثم إذا أقلع وتاب رجع إليه إيمانه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق.

وممن قال بهذا ابن عباس رضي الله عنهما. فقد روي عنه أنه كان يقول لغلمانه: «من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زان إلا نزع منه نور الإيمان، فإن شاء أن يرده عليه رده عليه، وإن شاء أن يمنعه منعه»[(٥)].

وبه قال أبو هريرة رضي الله عنه أيضًا فقد روي عنه أنه قال: «الإيمان نزه، فمن زنى فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع رجع إليه الإيمان»[(٦)].

وبه قال عطاء وطاووس والإمام أحمد رحمهم الله[(٧)]، ومن قال بهذا القول لا يعني أن إيمان العاصي زال عنه بالكلية بحيث خرج من الدين بالكلية، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٩٠)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٥٦) وصححه، وصححه العراقي أيضًا، كما في فيض القدير (١/ ٣٦٧) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٠٩).

(٤) سيأتي ذكر قولهم في أقوال المخالفين.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الإيمان والرؤيا، رقم ٣٠٣٥٢)، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٩٦) [دار الوطن، ط٢].

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٥١) [دار ابن القيم، ط١]، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٩٦) [دار الوطن، ط٢].

(٧) السُّنَّة للخلال (٣/ ٦٠٧). وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٥٥).

المقصود زال عنه نوره الذي يدفعه للخير ويحجز عنه الشر، وبقي له من الإيمان اسم لا يدفع عنه العقوبة يوم القيامة.

قال ابن تيمية في حديث أبي هريرة: «قوله: «خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة» دليل على أن الإيمان لا يفارقه بالكلية، فإن الظلة تظل صاحبها وهي متعلقة ومرتبطة به نوع ارتباط»[1].

القول الثاني: إنه بارتكابه للكبائر يخرج من الإيمان إلى الإسلام، وذلك أن الإيمان مرتبة عالية والإسلام دونها، فارتكابه للذنوب ووقوعه في القبائح يتنافى مع الرتبة العالية في الدين، وهي الإيمان، فيخرج منها إلى المرتبة التي دونها وهي الإسلام، ولا يعني ذلك أنه لم يبق في قلبه شيء من الإيمان، وإنما معه إيمان ينجيه من الخلود في النار، وقد قال بهذا أبو جعفر الباقر وهو قول للإمام أحمد[2].

القول الثالث: أن المنفي في هذه الأحاديث هو الكمال الواجب الذي يعاقب تاركه، قال أبو عبيد القاسم بن السلام رَحِمَهُ اللهُ: «فكلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٠ ـ ٦٧٦). وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٧٣).

(٢) انظر: سنن الترمذي (٥/ ١٦)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٠٦)، والشريعة للآجري (١١٣)، ومسائل الإيمان لأبي يعلى (٣٢٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٢٤٤).

تعبيرها[3]، قيل: ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين، ولا الأمارات التي يعرف بها أنه الإيمان، فنفت عنهم حينئذ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه. فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئًا ولا عملت عملًا، وإنما وقع معناها هاهنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم وغير عامل في الإتقان»[4].

وهو قول الإمام أحمد، وأخذ به القاضي أبو يعلى، ورجحه بقوة المروزي، وقال به النووي، وابن عبد البر، وابن تيمية، والسفاريني[5].

القول الرابع: إن أحاديث الوعيد كلها تمر كما جاءت ولا تفسر، وأنها على التأكيد والتشديد.

(٣) يقصد بذلك الآيات التي وصف المؤمنين بالصفات الكاملة.

(٤) الإيمان لأبي عبيد (٩٠). وانظر نحوه عند المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٤٠٩ ـ ٥١٦).

(٥) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٩)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٤١، ٤٢)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٤)، والانتصار في الرد على المعتزلة (٣/ ٧٠١)، والتمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٤٣)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤١٦)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٣٥).

وممن روي عنه ذلك الزهري، حيث سئل عن قول النبي ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود**» وما أشبهه، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: «**من الله ﷻ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم**»[(١)].

وهو قول للإمام أحمد، وعزاه ابن تيمية إلى عامة علماء السلف أنهم يقرون هذه الأحاديث ويمرونها كما جاءت، ويكرهون أن تتأول تأويلات تخرجها عن مقصود الرسول ﷺ، وكذلك عزا ابن حجر إلى كثير من السلف إطلاق لفظ الأخبار في الوعيد، وعدم التعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر[(٢)].

القول الخامس: قول من يرى أن أحاديث الوعيد عمومًا خرجت مخرج التغليظ والمبالغة في الزجر عن المعاصي، وعزا هذا القول ابن حجر إلى الطيبي، وقد استنكر هذا القول أبو عبيد وقال عنه: أفظع ما تأول على رسول الله ﷺ وأصحابه، أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدًا لا حقيقة له، وهذا يؤول إلى إبطال العقاب؛ لأنه إن أمكن ذلك في واحد منها كان ممكنًا في العقوبات كلها[(٣)].

القول السادس: أن المراد به مستحل الزنا وشرب الخمر، وأن المنفي في ذلك هو الإيمان بالكلية[(٤)].

فهذه أشهر الأقوال في معنى هذه الأحاديث، وظاهر منها أن الأقوال الأربعة الأولى متقاربة، وهي تؤكد أن الكبيرة والذنب عمومًا يؤثر على الإيمان، إما بنفي كماله، أو نوره وما يكون به خضوع لهيبة الله وجلاله، أو بإخراجه من دائرة أهل الإيمان إلى مرتبة أدنى في الدين وهي الإسلام، وإما أن يترك اللفظ الشرعي كما ورد ولا يؤول؛ ليكون أبلغ في الزجر، مع اعتقاد أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بذلك.

النوع الثاني: النصوص التي ورد فيها وصف مرتكب بعض الذنوب بالكفر:

وردت نصوص تصف مرتكبي بعض الذنوب بالكفر، فمن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا ترغبوا عن**

(١) السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٧٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٧٤).

(٢) انظر مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٧)، مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٤)، فتح الباري (١٣/ ٢٤).

(٣) الإيمان لأبي عبيد (٨٨)، والانتصار في الرد على القدرية (٣/ ٧٠١)، وفتح الباري (١٢/ ٦٠).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٤٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٠).

آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفر»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٢].

فهذه الأحاديث ونحوها عند أهل السُّنَّة لا تدل على أن مرتكب ما ذكر فيها من ذنوب يكون كافرًا خارجًا من الإسلام، وذلك أن الله تبارك وتعالى قد وصف بعض مرتكبي الذنوب بالإيمان، ولم يكفرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال، وكذلك فإن الله تعالى قد أوجب الجلد على القاذف، والقطع على السارق، وجلد رسول الله ﷺ الزاني البكر وشارب الخمر، فلو كان هؤلاء كفارًا بارتكابهم للكبائر لوجب قتلهم لقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»[٣].

وأجمع الصحابة على عدم كفر مرتكبي الذنوب، فقد روى أبو عبيد عن أبي سفيان أنه قال: «جاورت مع جابر بن عبد الله بمكة ستة أشهر فسأله رجل: هل كنتم تسمون أحدًا من أهل القبلة كافرًا؟ فقال: معاذ الله! قال: فهل تسمونه مشركًا؟ قال: لا»[٤]، فلهذا صرح أصحاب كتب العقائد بذلك في عقائدهم فقال الطحاوي رحمه الله: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه»[٥].

وقد أجاب العلماء عن معنى الكفر الوارد في الأحاديث السابقة بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن الفعل الوارد فيه لفظ الكفر إنما ذكر هكذا؛ لأنه يؤول بفاعله إلى الكفر، وذلك لأن المعاصي كما قالوا: بريد الكفر، ويخشى على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الجواب الثاني: أنه أطلق عليه ذلك من باب المبالغة في التحذير والزجر عن الفعل[٦].

الجواب الثالث: أنه أطلق عليها ذلك؛ لأنها من الأخلاق والسُّنن التي إنما يتلبس بها الكفار والمشركون.

الجواب الرابع: أنه محمول على المستحل لذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).

(٤) الإيمان لأبي عبيد (٩٥) [مكتبة المعارف، ط١]، وقال الألباني في التعليق عليه: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وانظر: التمهيد (٩/٢٥١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٦).

(٦) وقد سبق بيان ما في هذا القول من الخطأ.

الجواب الخامس: أن المراد به الكفر، إلا أنه ليس الكفر المخرج من الملة، وإنما هو كفر دون كفر، وهو من الكفر العملي الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

وهذا الأخير أرجحها؛ لأن الأدلة قد دلت على أن لفظ الكفر ومثله الظلم والشرك قد ورد في الشرع على معنيين أكبر وأصغر، فمما ورد في الظلم ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس ذلك إنّما هو الشّرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان]»[(١)].

فهنا ذكر النبي ﷺ أن للظلم معنيين: ظلم أكبر: وهو الشرك، وظلم أصغر: وهو ظلم العبد لنفسه بالذنوب.

ومما ورد في الشرك ما روى محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر**، قالوا: وما الشِّرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **الرّياء**، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي النّاس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[(٢)].

وعن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: «كنّا نعد على عهد رسولِ الله ﷺ أنّ الرياء الشرك الأصغر»[(٣)]، فهنا بيَّن النبي ﷺ أن من الشرك نوع هو أصغر، أما الشرك الأكبر فهو عبادة غير الله.

ومثل ذلك في الكفر أيضًا، فقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُريت النّار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهنّ الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قطّ**»[(٤)].

فهنا بيَّن النبي ﷺ أن الكفر يرد شرعًا على غير الكفر بالله وهو دونه في الحكم.

ومثله ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في

(١) أخرجه البخاري، (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/ ٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام رقم (١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه البزار (٨/ ٤٠٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٣٧) وصححه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير يعلى بن شداد، وهو ثقة. مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٢) [مكتبة القدسي].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٩)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٧).

قول الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة] قال: «هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله»(١). وفي رواية أنه قال: «كفر دون كفر»(٢). ومثله ورد عن عطاء وطاووس وغيره(٣). فهذا يدل على أن الشارع أطلق الكفر على ما دون الكفر الأكبر، وهو ما يسميه العلماء: كفرًا دون كفر.

فيكون المقصود والمعنى بما ورد في الشرع إطلاق اسم الكفر عليه من المعاصي التي لا توجب كفرًا مخرجًا من الملة هو الكفر العملي، أو كفرًا دون كفر، وهذا أرجح الأقوال في ذلك وهو الذي عليه كثير من العلماء(٤).

ثالثًا: النصوص التي ورد فيها قوله ﷺ: «ليس منا»:

وردت نصوص عن النبي ﷺ يصف فيها مرتكب بعض الذنوب: بأنه ليس منه، ومن هذه النصوص:

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة**»(٥).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من حمل علينا السّلاح فليس منّا، ومن غشّنا فليس منّا**»(٦).

فهذه النصوص ونحوها للعلماء رحمهم الله أقوال في معناها:

القول الأول: أنه ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرع من فروع الدين، وإن كان معه أصله، حكى هذا القول ابن العربي(٧).

القول الثاني: أن النبي ﷺ بريء من فاعل ذلك، فيكون كأنه توعده بأنه لا يدخل في شفاعته مثلًا، وهذا تفسير ابن حجر حملًا لحديث: «**ليس منا**» على حديث: «إن رسول الله ﷺ بريء من الصّالقة والحالقة والشّاقّة»(٨).

القول الثالث: أن معناه: ليس من أهل الإيمان المستحقين للثواب بلا عقاب، ولهم الموالاة المطلقة والمحبة المطلقة،

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/٣٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٥٢١) [مكتبة الدار، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/١١٣).

(٢) أخرجه الحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/١١٣).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (١٠/٣٥٤)، والتمهيد لابن عبد البر (٤/٢٣٧)، والسُّنَّة للخلال (٤/١٥٩ ـ ١٦١).

(٤) انظر: الإيمان لأبي عبيد (٩٣)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٥١٧ ـ ٥٢٩)، وفتح الباري لابن حجر (١/٨٣)، ومجموع الفتاوى (٧/٣٥٠ ـ ٣٥٥)، ومدارج السالكين (١/٣٣٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٤/٢٣٦)، وشرح الطحاوية (٣٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٣).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠١).

(٧) انظر: فتح الباري (٣/١٦٤).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٤).

وإنما هو بارتكابه لذلك الفعل نقص إيمانه وصار ممن يستحق العقوبة[١].

القول الرابع: أن هذا من أحاديث الوعيد التي يجب أن نؤمن بما ورد فيها، وتمرّ كما جاءت ولا يتكلم في تأويلها؛ حتى يكون ذلك أبلغ في الزجر، وهذا مروي عن الزهري[٢].

وعلى هذا القول الإمام أحمد، فقد روى الخلال عنه أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا...**» قال: «على التأكيد والتشديد، ولا أكفر إلا بترك الصلاة»[٣].

قال ابن حجر: والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله؛ ليكون أبلغ في الزجر[٤].

القول الخامس: أن معناها أنه ليس من المطيعين لنا، ولا من المقتدين بنا، ولا من المحافظين على شرائعنا، وقال بهذا أبو عبيد[٥].

القول السادس: أنها خرجت مخرج التغليظ[٦].

القول السابع: أن المعنى: ليس مثلنا، واستنكر هذا عبد الرحمٰن بن مهدي والإمام أحمد وغيرهم، قال عبد الرحمٰن بن مهدي مستنكرًا له: «لو أن رجلًا عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبي ﷺ؟!»[٧].

فهذه الأقوال فيها تقارب في بيان معنى الحديث، والمستنكر فيها القولان الأخيران، وما عداهما فإن معناه وفحواه متقارب جدًّا، والواجب في ذلك إبطال المعنى الفاسد، وهو التكفير والإخراج من الدين، ثم إثبات اللفظ أو ما يدل عليه والتشديد فيه؛ ليكون ذلك أبلغ في زجر الفاعل عن الفعل، ونهيه عنه، والله أعلم.

النوع الرابع: نصوص ورد فيها تحريم الجنة.

وردت نصوص نبوية ورد فيها تحريم الجنة على من ارتكب بعض الكبائر، منها: حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه سمع النّبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنّة قاطع**»[٨].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة من لا يأمن جاره بوائقه**»[٩].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٩٤). وانظر منه: (٧/ ٥٢٤).
(٢) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٣/ ٥٧٩) وسبق ذكره.
(٣) السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٧٩). وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٧).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٤).
(٥) الإيمان لأبي عبيد (٩٢)، والسُّنَّة للخلال (٣/ ٥٧٨).
(٦) حكى هذا القول القاسم بن سلام في الإيمان (٨٨)، وذكره الباقلاني في التمهيد (٤٢٢)، وسبق بيان بطلان مثل هذا القول.
(٧) السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٧٦).
(٨) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٤)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٦).
(٩) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٦).

النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر**»[(١)].

وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيّته، إلا حرّم الله عليه الجنّة**»[(٢)].

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النّار، وحرم عليه الجنّة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبًا من أراك**»[(٣)].

ولأهل العلم عدة أقوال في بيان معناها بعد اتفاقهم على أن من مات على التوحيد فإن مآله الجنة وإن عذب قبل ذلك، قال الطيبي: «فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا هو المذهب الحق الذي تظاهرت أدلة الكتاب والسُّنَّة، وإجماع من يعتد به عليه، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي»[(٤)]، وأجابوا عن هذه النصوص بعدة إجابات، منها:

الأول: أنه محمول على المستحلّ لذلك إذا مات عليه.

الثاني: أنه قد استحق النار ويجوز العفو عنه.

الثالث: أنه قد حرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين.

الرابع: هو على معنى الدعاء منه ﷺ؛ أي: بوأه الله ذلك، والمعنى: أنَّ هذا جزاؤه وقد يعفى عنه[(٥)].

النوع الخامس: نصوص توعَّدت أصحاب بعض الذنوب بالخلود في النار:

قد وردت نصوص في الشرع فيها الوعيد على بعض الأعمال بالخلود في النار أو تحريم الجنة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٣٧).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/٤٤٧).

(٥) انظر هذه الأقوال في: إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض (١/٤٣٤)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٨/٢٦١٠) [مكتبة الباز، ط١، ١٤١٧]، وعمدة القاري (١٩/٢١)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/٥٤٦) [دار النوادر، دمشق ط١، ١٤٢٩هـ]، وشرح سنن أبي داود للعيني (٦/٤٥٤) [مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٠٣) [مكتبة الرشد، الرياض ط٢، ١٤٢٣هـ].

﴿ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [البقرة].

ومن الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه فهو يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردَّى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»**[1].

فهذه النصوص وردت بالعذاب والخلود في النار، وهي أشد نصوص الوعيد التي يدخل فيها أهل التوحيد، وأهل السُّنَّة يقولون: بأنه لا يخلد أحد من أهل التوحيد في النار بناء على نصوص أخرى قطعية.

يقول السفاريني رحمه الله: «فدلَّ الكتاب والسُّنَّة واتفاق الفرقة الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»[2]. وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السُّنَّة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثمه عليه ويدفن في مقابر المسلمين»[3].

وأما معنى هذه النصوص وما أشبهها فقد اختلف أهل العلم في بيان المقصود به إلى ستة أقوال:

الأول: أن الوعيد في حق المستحل لها؛ لأنه كافر، وأما من فعلها غير مستحل لها لم يلحقه وعيد الخلود، وإن لحقه وعيد الدخول. قال السفاريني معقبًا على هذا القول: وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله هذا القول، وقال: لو استحل ذلك ولم يفعله كان كافرًا، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما قال من فعل كذا وكذا[4].

والثاني: أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام، كما يقال: خلَّد الله ملك السلطان.

والثالث: أن هذا جزاؤه، ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلمًا وأنه يخرج أهل التوحيد منها[5]، قال ابن كثير في آية النساء في القاتل: «قال أبو هريرة[6] وجماعة من

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٩)، واللفظ له.
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٠).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ١٣٨).
(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٠).
(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٢٨) [دار المعرفة، ١٣٧٩] والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٣٣/ ٢٦٧)، وإِكمَالُ المُعْلِمِ بفوائد مسلم لعياض اليحصبي (١/ ٣٨٧) [دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ].
(٦) أخرج قول أبي هريرة رضي الله عنه: ابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ١٠٣٨) [مكتبة الباز، ط٣]، والطبراني =

السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون كذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه، على قولي أصحاب الموازنة أو الإحباط، وبتقدير دخول القاتل إلى النار، أما على قول ابن عباس[(١)] ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو به، فليس يخلد فيها أبدًا، بل الخلود هو المكث الطويل»[(٢)].

والرابع: أن في الكلام إضمارًا، وهو: إن شاء، ومنهم من قال بإضمار الاستثناء، والتقدير: فجزاؤه كذلك إلا أن يعفو.

والخامس: أن هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، والوعد حق عليه أوجبه على نفسه والله لا يخلف الميعاد.

قالوا: ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله ﷺ حيث يقول:

نُبِّئتُ أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسألة أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد، فقال عمرو بن عبيد: يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده وقد قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] الآية، فقال له أبو عمرو: ويحك يا عمرو، من العُجمة أُتيت، إن العرب لا تعد إخلاف الوعيد ذمًّا بل جودًا وكرمًا، أما سمعت قول الشاعر:

ولا يرهبُ ابن العم ما عشتُ صولتي
ولا يختشي من سطوة المتهدد
وإني إن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

والسادس: أن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا

= في الأوسط (٨/ ٢٧٠) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي: فيه محمد بن جامع العطار، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (٧/ ٨).

(١) أخرج قول ابن عباس رضي الله عنه: مسلم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٧).

مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين.

ومن هاهنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتبارًا بمقتضي العقاب ومانعه وإعمالًا لأرجحها[١].

وبه يتبيَّن أن أهل السُّنَّة لا يقولون بإنفاذ الوعيد قطعًا ولا يردونه قطعًا وإنما يتأولون ما ورد من النصوص في ذلك تأويلًا يتوافق مع بقية النصوص التي تدل على أن أهل الإسلام تحت المشيئة على ما سبق تفصيله.

الثمرات:

إن ما تقدم تقريره في مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الوعيد من شأنه أن يثمر في سلوك العابد ثمرات جليلة، **ومن أَجَلِّها**:

١ ـ حسن الظن بالله، والجمع بين أوصاف كماله وجلاله ـ من شدة عقابه وبطشه، وصدق وعده، وعظيم عقوبته ـ وبين أوصاف جماله، من عظم رحمته وعفوه، وتوبته على التائبين.

٢ ـ أن يجمع السالك في سيره إلى الله بين الخوف والرجاء، وأن يحسن ظنه بربه ومولاه، ولا يأمن مكر خالقه، حيث يوقن أن ما أتاه من الذنوب غير مضمون له فيه المغفرة، بل هو فيه بين الخوف من أن يؤاخذ بجريرة عمله، وبين أن يُغفَر له ذنبه، وذلك معلق بمشيئة الله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨][٢]، فتتم عنده المحاذرة من الوقوع في الذنب، والمبادرة إلى التوبة منه عند وقوعه.

٣ ـ كما يثمر في العبد عظم خوفه من الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه، وهو الشرك بالله، والبعد عن أسبابه، ومفارقة أهله والبراءة منهم.

٤ ـ حسن الظن بالناس، وعدم إسقاط ما عندهم من خير بذنب واحد ـ كما هو مذهب الوعيدية ـ بل يرجى للمحسن منهم، دون القطع له بعينه بالنجاة، ويخاف على المسيء منهم دون القطع على المعين منهم بالعذاب.

٥ ـ أن يحرص المذنب على فعل ما يستطيعه مما يرجى معه زوال موجب الوعيد، من التوبة والاستغفار، والأعمال الصالحة، واحتساب الأجر وتكفير الوزر فيما يصيبه من مصائب.

مذهب المخالفين:

المخالفون في حكم أهل الوعيد من المسلمين فرقتان: الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة، والفرقة الأخرى هم المرجئة.

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٠١) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٠).

(٢) انظر: القول السديد في خلف الوعيد (٤٩).

أولًا: الوعيدية (الخوارج والمعتزلة):

ذهب الوعيدية ـ من الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم ـ إلى أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح[1]، وهذا القدر لا إشكال فيه في الجملة[2]، وإنما الغلط عندهم أنهم قد ذهبوا إلى أن الإيمان حقيقة واحدة، إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهو كُلٌّ لا يتبعَّض ولا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص[3]، فمن أخلَّ بهذا الإيمان، وارتكب كبيرة (عند بعضهم) أو أي معصية (عند بعضهم) ولقي الله على غير توبة لم يكن من أهل الوعد بالجنة، بل هو عندهم من أهل الوعيد بالنار، وهذا الوعيد لازم الإنفاذ عندهم، لا يتخلف بأي سبب غير التوبة[4].

وبناء على مذهب هؤلاء الوعيدية في الإيمان، **فقد قالوا بأمرين**:

١ ـ التكفير والتفسيق لأصحاب الكبائر.

فالكبيرة عندهم تزيل اسم الإيمان بالكلية عن فاعلها، فإما أن يسمى صاحبها كافرًا، أو مشركًا، أو كافر نعمة، أو فاسقًا، على خلاف بينهم.

٢ ـ الجزم بإنفاذ الوعيد بأهل الكبائر من عصاة الموحدين، ممن ترك فرضًا واجبًا، أو فعل كبيرة من الكبائر، ولهذا جزموا بإنفاذ وعيد أهل الكبائر، وقطع جمهورهم بخلودهم في النار[5].

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «لا خلاف بينهم [يعني المعتزلة] أن وعيد الله بالعقاب حق لا يجوز عليه الإخلاف ولا الكذب، كما أن وعده بالثواب حق، ولا خلاف بينهم في أن مرتكب الكبائر من أهل النار، وأن من يدخل النار يكون مخلدًا فيها كالكافر، وإن كان حاله في العقاب دونه»[6].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٠٥) [دار إحياء التراث، ط٣]، والكشاف للزمخشري (١/ ١٢٨، ١٢٩) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٧هـ]، والانتصار للخياط (٩٢، ٩٣) [المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧م]، وكذلك: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٤٨٠). وانظر أيضًا: طبقات المعتزلة لابن المرتضى (٧، ٨) [المطبعة الكاثوليكية، ط ١٣٨٠هـ]، والتفسير الكبير للرازي (٢/ ٢٣ ـ ٢٥) [دار الكتب العلمية، طهران، ط٢].

(٢) يقع الغلط عند بعضهم في بعض تفصيلاته، كقول الإباضية وبعض المعتزلة: إن الإيمان لا يشمل كل الطاعات الواجبة والمندوبة، بل هو مختص بالطاعات الواجبة التي يكفر من تركها عندهم. انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٧٠٧)، ومشارق الأنوار للسالمي الإباضي الخارجي (٣٣٢، ٣٣٣)، والوعيد الأخروي للسعدي (١/ ٤٣٧، ٤٣٨)، ومقالات الإسلاميين (٤٣٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٢٣).

(٤) انظر: مشارق أنوار العقول (٣٣٤، ٣٣٥).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٨٦)، والفصل لابن حزم (٤/ ٧٩)، والتفسير الكبير (٣/ ١٤٤، ١٤٥)، ومشارق أنوار العقول للسالمي (٢٩٤)، والوعيد الأخروي (١/ ٤٥٦).

(٦) فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار (٣٥٠)، وانظر: شرح الأصول الخمسة له (١٣٥، ١٣٦، ٦٤٧ ـ ٦٥٠)، ورسالة للقاسم الرسي الزيدي ضمن رسائل =

وقال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا ـ الخوارج ـ على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات، فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا»[(١)].

الرد عليهم:

ما زعمه الوعيدية من الجزم بإنفاذ وعيد من لقي الله على غير توبة من أصحاب الكبائر هو أمر لا يسلّم؛ لأن نصوص الوعيد مبنية على نصوص الوعد الدالة على تعليق المغفرة بمشيئة الله لما دون الشرك من الذنوب، أو على سبب آخر من الخلق، كالشفاعة، على ما تقدم تفصيله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وعن ابن عمر قال: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار»[(٢)].

وعنه أيضًا قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من فيِّ نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، قال: «**إني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا»[(٣)]، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»[(٤)].

وما احتج به الوعيدية من نصوص الوعيد يجاب عنه بما تقدم من دلالة النصوص الأخرى على بعض الموانع التي تمنع إنفاذه، من التوبة والحسنات والمصائب ونحوها، وتلك النصوص بمثابة المخصصات لعموم نصوص الوعيد، والمقيدات لإطلاقها، فلا يقطع بتحقق نصوص الوعيد على جميع الأعيان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتحقيق أن يقال: الكتاب والسُّنَّة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد،

= العدل والتوحيد (١/١٢٧، ١٢٨) [دار الهلال]، على أن هناك من نازع في كون هذا إجماعًا عند المعتزلة، وأثبت عن بعض المعتزلة القول بجواز مغفرة الله لصاحب الكبيرة من غير توبة منه. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١١٦).

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٨٦) [دار فرانز شتايز، ألمانيا، ط٣، ١٤٠٠هـ] وقوله هنا: إلا النجدات؛ يقصد أن نجدة بن عامر لا يكفر أصحاب الحدود من موافقيه، وقال: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه وأن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة وأصرَّ عليها فهو مشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم إذا كان من موافقيه على دينه، فهو يستثني موافقيه من الخوارج. انظر: الفرق بين الفرق (٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبيِّنه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين، فكذلك في موارد النزاع.

فإن الله قد بيَّن بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بيَّن أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الربا يبطل العمل، وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي: في ذلك العمل، ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة.

وبهذا تبيَّن أنا نشهد بأن: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء]، على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه، وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتضٍ لهذا العذاب، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه»[1].

وقال البيضاوي مجيبًا عن قول المعتزلة واحتجاجهم: «وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو، لدلائل منفصلة، كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقًا»[2].

الثانية: المرجئة.

المرجئة يرون أن من أتى بعقد الإسلام فليس فيه وعيد وأن أهل الإسلام ناجون بعقد الإسلام بدون الحاجة إلى عمل، فهم مخالفون للنصوص الشرعية التي تدل على العقوبة المرتبة على الذنوب.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الجزاء الأخروي»، لمحمد عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني [رسالة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤).
(٢) تفسير البيضاوي (٩٧).

ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى].

٢ ـ «حادي الأرواح»، لابن القيم.

٣ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٤ ـ «فتاوى ابن الصلاح».

٥ ـ «القول السديد في خلف الوعيد»، لملا علي قاري.

٦ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٨ ـ «الملل والنحل»، للشهرستاني.

٩ ـ «منهاج السُّنَّة».

١٠ ـ «موانع إنفاذ الوعيد»، لعيسى السعدي.

١١ ـ «الوعيد الأخروي»، لعيسى السعدي.

وقت الساعة

يراجع مصطلح (الساعة).

الوكالة

يراجع مصطلح (الوكيل).

الوكيل

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتمادِ غيرك في أمرك ومنه التوكل، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك»[(١)].

والوكيل اسم فاعل على وزن (فعيل) من الوكالة، مأخوذ من الأصل الثلاثي (وكل) الدال على اعتماد غيرك في أمرك، يقال: وَكَل يَكِل وِكالة ووَكالة، والوِكالة: أن يعهد إلى غيره أن يعمل له عملًا.

والتَّوَكُّل: إظهار العجز عن الأمر والاعتماد فيه على غيرك، يقال: توكّل يتّكل توكّلًا فهو متوكل، إذا أسلم أمره إلى غيره واعتمد عليه وفوضه إليه، والاسم التُّكلان: الاعتماد على الغير.

وواكل وتواكل؛ إذا ضيّع الأمر واتّكل على غيره[(٢)].

التعريف شرعًا:

الوكيل: هو الكفيل بأرزاق عباده والقائم عليهم في جميع شؤونهم، والمعتمد عليه في جلب كل خير ودفع كل شر في العاجل والآجل؛ وحده دون سواه[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٦٤٣) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٧١، ٣٧٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٥/ ١٨٤٤، ١٨٤٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٣٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٤، ١٠٥٥) [دار الدعوة، ط٢].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط٣، =

قال الخطابي: «وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، ومن هذا قول المسلمين: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران]؛ أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها»(١).

وقال السعدي: «الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه فيسَّرهم لليسرى وجنَّبهم العسرى وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلًا كفاه»(٢).

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: الوكيل، وما دل عليه من الصفة؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباته لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، وإثبات ما دل عليه من الصفة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل. كما يجب أن يفوض العبد أموره كلها لله ويتوكل عليه في قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده الدينية والدنيوية، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله. أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أَمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جماعه، وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من عمله، كما قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ولكن لا بد فيه من العلم، وهو إما شرط فيه، وإما جزءٌ من ماهيته»(٣).

الحقيقة:

الاستقلال بأمر الموكول فيما توكل عليه من جميع الوجوه، والله عَزَّ وَجَلَّ كاف عباده وحده في جميع حاجاتهم وشؤونهم على وجه العموم وكاف وحده لحماية عباده المؤمنين المتوكلين عليه من غير حاجة إلى ظهير ونصير(٤).

والوكيل: معناه: الكافي الكفيل، وهو عام وخاص:

أما العام: فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام]؛ أي: المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات وأقواتها، القائم بتدبير شؤون الكائنات وتصريف أمورها.

= ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢١٢) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٩) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٣، ٢٤٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(١) شأن الدعاء (٧٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٣، ٢٤٤).

(٣) طريق الهجرتين (٢٥٧) [الدار السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ].

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١) [المكتبة العلمية، بيروت].

والخاص: يدل عليه قوله تعالى: ﴿...وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]؛ أي: نعم الكافي لمن التجأ إليه، والحافظ لمن اعتصم به، وهو خاص بعباده المؤمنين به، المتوكلين عليه[1].

فالله سبحانه له الوكالة التامة، وهذه الصفة تجمع العلم المحيط الشامل والقدرة الكاملة لله ﷻ؛ لأن الوكالة تقتضي علم الوكيل بما هو وكيل عليه وإحاطته بتفاصيله، وقدرته التامة عليه ليتمكن من التصرف فيه، وحفظ ما هو وكيل عليه، مع حكمة ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو أصلح وأنسب وأفيد وأليق، والله ﷻ هو الأحق بهذا الاسم وبهذه الصفة على الإطلاق[2].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «يعني بقوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كفانا الله؛ يعني: يكفينا الله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو: المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه؛ وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم»[3].

وقال البيهقي: «الوكيل: هو الكافي، وهو الذي يستقل بالأمر الموكل إليه، وقيل: هو الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم»[4].

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٢٣٩) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩]، وطريق الهجرتين (٢٥٧).

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢٠٢، ٢٠٣) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٠٦٤) [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ].

(٤) الاعتقاد والهداية للبيهقي (٤٧) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ].

تعالى (الوكيل): هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه استقل بأمر الموكول إليه»[١].

وقال السعدي: «الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليسرى، وجنَّبَهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلًا كفاه»[٢].

وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أجاب بعض أهل العلم عن إشكال قد يتوهمه من لا يفهم حقيقة هذا الاسم، قال القرطبي: «فإن قلت: إذا كان الله سبحانه قد توكل وتكفل بأرزاق عباده وإقامة خلقه، فما بال من يموت جوعًا وعطشًا؟

فالجواب: أن الله سبحانه لم يقبض أحدًا حتى يستوفي رزقه الذي ضمن له وتوكل له به، وفي الحديث: «**إن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها**»[٣]، وهذا أبين من أن يحتاج فيه إلى إكثار، فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لا بد له منه، فالله سبحانه هو الوكيل والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه فيخلق له الشبع والريّ، كما يخلق له الهداية في القلوب، أو بواسطة سبب ملك، أو غيره، يوكله به»[٤].

ـ المسألة الثانية: جزاء التوكل على الله:

إن الله ﷻ جعل لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فهو سبحانه لم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق التوكل وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره[٥].

ـ المسألة الثالثة: من عرف الله حق معرفته توكّل عليه:

ينبغي للعباد أن يعلموا أن الله وكيلهم، وأنه سبحانه غني، عليم قدير

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٢) تفسير السعدي (٥/ ٦٢٦)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته [مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢١٤٤)، وابن حبان (كتاب الزكاة، رقم ٣٢٣٩)، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢١٣٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٢٠٩).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٠٧).

(٥) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٧٦٦، ٧٦٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ].

فإذا عرفوا الله ﷻ بهذا الاسم وبهذه الصفة حق لهم أن يتوكلوا عليه في جميع أمورهم، وأن يفوضوا إليه جميع شؤونهم، وبذلك يصلون إلى مقام التوكل الصحيح الذي هو من أعظم مقامات الدين.

- المسألة الرابعة: عدم استبطاء الكفاية من الله ﷻ:

لا ينبغي للعبد أن يستبطئ كفاية الله له إذا بذل أسبابها وتوكل عليه ﷻ، فإن الله بالغ أمره في الوقت الذي قدره له، قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق]؛ أي: وقتًا لا يتعداه، فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له؛ فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت ودعوت، فلم أر شيئًا ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له»[١].

الآثار:

- التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء، مقام عظيم من مقامات الدين الجليلة، وفريضة عظيمة من فرائض الله على عباده يجب إخلاصها لله وحده، وهو من أجمع أنواع العبادة وأهمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في الأمور الدينية والدنيوية ثقة به سبحانه بأنه الكفيل الوكيل لا شريك له، صحَّ إخلاصه وقويت معاملته مع الله، وحسن إسلامه وزاد يقينه، وصلحت أحواله كلها.

- التوكل هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل[٢].

- ينبغي للعبد أن لا يستكثر ما يسأل؛ فإن الوكيل غني، ولهذا قيل: من علامة التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل[٣].

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
٢ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.
٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
٤ - «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.

(١) إعلام الموقعين (٦/٤٩) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ].
(٢) فقه الأسماء الحسنى (٢٤٠).
(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٠٨).

٥ ـ «بدائع الفوائد» (ج٣)، لابن القيم.

٦ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٧ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٨ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٩ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الولاء والبراء

التعريف لغةً:

الولاء: مادته في اللغة تدل على معنى القرب، قال ابن فارس: «الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الوَلْي: القرب. يقال: تباعد بعد ولْي؛ أي: قرب. وجلس مما يليني؛ أي: يقاربني»[(١)].

والولي: ضد العدو. يقال منه: تولاه. والولي: التابع المحب. ووالى فلان فلانًا: إذا أحبه، والموالاة: المتابعة. والمولى: المعتِق، والمعتَق، وابن العم، والناصر، والجار، والمحب. والولي: الصهر، وكل من وَلِي أمر واحد فهو وليه. وتولّاه: اتخذه وليًّا، والأمر: تقلده. وإنه لبيِّن الولاءة، والولية، والتولي، والولاء، والوَلاية ويكسر[(٢)].

البراء: مصدر برئت، وهو مأخوذ من مادّة (برأ) الّتي تدلّ على التّباعد من الشّيء ومزايلته، ومن ذلك: البُرء، وهو السّلامة من السّقم، والوصف من ذلك: براء على لغة أهل الحجاز، وأنا بريء منك على لغة غيرهم، وقد جاءت اللّغتان في القرآن الكريم، والبراءة تكون من العيب والمكروه ونحوهما، فتقول: برئت منك ومن الدّيون والعيوب براءة وبرئت من المرض بُرءًا، وأهل الحجاز يفتحون الرّاء في الفعل والباء في المصدر، فيقولون: برأت بَرءًا، وبارأت شريكي؛ إذا فارقته. ويقال: برئ إذا تخلّص، وبرئ إذا تنزّه وتباعد، وبرأ: إذا أعذر وأنذر. وأصل البرء والبراء والتّبرّؤ: التّقصّي ممّا يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، ومن فلان وتبرّأت وأبرأته من كذا، وبرأته[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة (١٠٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١٠٦٤، ١٠٦٥)، والصحاح للجوهري (٧/٣٧٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٥/٣٢١ ـ ٣٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (١٢٣٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١/٢٣٦، ٢٣٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١/٣٢) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والصحاح للجوهري (١/٣٦، =

فيتلخص مما سبق أن البراء يأتي بمعنى: التنزه، والتخلص، والبعد، والبغض.

التعريف شرعًا:

الولاء هو: «التقارب بين المسلمين بقلوبهم، وتحابهم في الله، وتناصرهم وتعاضدهم لله ﷻ»[١].

والبراء: هو بغضُ جميع الأمور التي تُسخط الله تعالى من الكفر والفسوق والعصيان ومخالفة ذلك كله ومعاداته والتخلص منه.

وقيل: هو بُغض الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر ـ بجميع ملله ـ وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه[٢].

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة للولاء: الموالاة، الحب.

ومن الألفاظ المرادفة للبراء: المعاداة، البغض.

= ٣٧)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (١/٨٦) [دار القلم].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (١/٢٥٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) الولاء والبراء في الإسلام لأبي عاصم الشحات البركاتي (٤) [دار الدعوة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ]. وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (١/٢٥٦).

الحكم:

يجب على المؤمن أن يوالي الله ورسوله والمؤمنين، وأن يحذر من موالاة الكفار والمشركين.

كما يجب على كل مسلم أن يبرأ من كل ما برأ منه الله ورسوله ﷺ، ويبغض ذلك ويعاديه ويجانبه، ولا يركن ويوالي الكفرَ وأهلَه ولا الفسوقَ وأهلَه أبدًا على الدوام. وأن يُحقق عقيدة البراء بقلبه تحقيقًا كاملًا ويُظهر مقتضياتها على الجوارح واللسان بحسب القدرة والإمكان.

الحقيقة:

الولاء يقتضي التحاب والجمع، فحقيقته إنما هي بحب ما أحبه الله تعالى، وبجمع ما جمع الله بينه، فالمؤمن يجمع بين المؤمنين في المحبة والنصرة، ولا يفرق بينهم لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض مثل الأنساب، والبلدان، والتحالف على المذاهب، والطرائق، والمسالك، والصداقات وغير ذلك؛ بل يُعطي كلّ من ذلك حقه[٣].

والبراء: هو بغضُ جميع الأمور التي تُسخط الله تعالى من الكفر والفسوق والعصيان ومخالفة ذلك كله، ومعاداته والتخلص منه[٤].

(٣) انظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (١٣٣) [مكتبة التراث الإسلامي].

(٤) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (١/٢٥٦).

الأهمية:

الولاء له أهمية جليلة ومكانة سامية في الدين، لما يأتي:

١ ـ هو تحقيق شهادة أن لا إلٰه إلا الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما أبغضه»[(١)].

٢ ـ هو أوثق عرى الإيمان، دلَّ على ذلك ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**أي عرى الإيمان** أظنه قال: **أوثق**؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: **الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»[(٢)].

٣ ـ لأنه يترتب عليه أعمال كثيرة من أعمال القلوب والجوارح.

قال الشيخ عبد اللطيف بن حسن آل الشيخ: «أصل الموالاة: الحب. وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك»[(٣)].

٤ ـ بتحقيقه يستكمل الإيمان الواجب، كما دل على ذلك ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٤)].

٥ ـ بتحقيقه يجد العبد طعم الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[(٥)].

كما تظهر أهمية البراء من كل ما يسخط الله ورسوله ﷺ في النقاط الآتية:

١ ـ أنه من لوازم لا إلٰه إلا الله.

٢ ـ أنَّ الإيمان لا يتحقق إلا به.

٣ ـ تحقيقه أوثق عُرى الإيمان.

٤ ـ يجد الإنسان إذا حققه حلاوة الإيمان.

(١) مجموع الفتاوى (٨/٣٣٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢١٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ]، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٧٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، وسنده ضعيف جدًّا، كما ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٢٩). لكن هناك شواهد لجملة الحب والبغض في الله.

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (٢٩٦) [دار العلوم ط، ١٣٨٩هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٣).

٥ ـ أن التبرؤ من الكافرين دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونحن مأمورون بالسير على طريقهم.

٦ ـ عناية المصطفى ﷺ بغرز هذه العقيدة في نفوس أصحابه.

الأدلة:

١ ـ من أدلة الولاء:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فأخبر تعالى أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض.

٢ ـ ومن أدلة البراء:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سر يقول: «**إن آل أبي[١] ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلّها ببلالها**»[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[٤].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله اشترط عليَّ.

---

(١) أي: أقربائي من النسب من لم يُسلم منهم.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٩٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتنصح للمسلم، وتبرأُ من الكافر**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]: «وهذا نهي من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه.

يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا توالوا الكفار فتؤازروهم من دون أهل مِلَّتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين. ثم قال جلَّ ثناؤه متوعدًا: من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، إن هو لم يرتدع عن موالاته، وينزجر عن مخالته أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيّه ﷺ بتبشيرهم بأن لهم عذابًا أليمًا، يقول: لا تعرضوا لغضب الله، بإيجابكم الحجة على أنفسكم في تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهل الكفر به»[(٢)].

وقال ابن عطية: «نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة. وحُكم هذه الآية باق. وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [المائدة: ٥١]، وأما معاملة اليهودي والنصراني من غير مخالطة ولا ملابسة فلا تدخل في النهي، وقد عامل رسول الله ﷺ يهوديًّا ورهنه درعه[(٣)]»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب، وهذا لأن حقيقة التوحيد: أن لا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله»[(٥)].

وقال أيضًا: «على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك

---

(١) أخرجه أحمد (٣١/ ٤٩١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣١٤) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ]، وصححه محقق المسند.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩١٦).

(٤) تفسير ابن عطية (٢/ ٢٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٦٥). وانظر: المرجع نفسه (٢٠/ ٤٩٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٤٠) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

مؤمن فعليه أن يواليه ـ وإن ظلمه ـ فإنّ الظّلم لا يقطع الموالاة الإيمانيّة. وإذا اجتمع في الرّجل الواحد: خير وشرّ وفجور، وطاعة ومعصية، وسنّة وبدعة، استحقّ من الموالاة والثّواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشّرّ»[١].

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ: «وأصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض؛ وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال»[٢].

وقال السعديّ: «وحيث إنّ الولاء والبراء تابعان للحبّ والبغض فإنّ أصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله»[٣].

الأقسام:

الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء على ثلاثة أنواع[٤]:

النوع الأول: من يحب محبة خالصة، وهم الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وعلى رأسهم نبيّنا ﷺ، فإن محبته متقدمة على محبة كل أحد، كما دل عليه ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين**»[٥].

ثم الصحابة، وعلى رأسهم أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطاهرين، والخلفاء الأربعة، ثم سائر الصحابة أجمعين على مراتب بينهم في الفضل والتقدم، ثم التابعون، وسلف هذه الأمة من أهل القرون المفضلة.

النوع الثاني: من يبغض بغضًا مطلقًا بحيث لا مودة معها، وهم الكفار والمشركون والمنافقون. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

النوع الثالث: من يحب من وجه، ويبغض من وجه آخر، وهم العصاة من

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/٣٢٥) [ط٦، ١٤١٧هـ].

(٣) الفتاوى السعدية (١/٩٨) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٢هـ].

(٤) الولاء والبراء للفوزان (٢٧ ـ ٣٢) [دار الوطن، ١٤١١هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٣١٧ ـ ٣١٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

المؤمنين، فيحبون بقدر ما فيهم من طاعة، ويبغضون بقدر ما فيهم من معصية[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه، وموالاته ومعاداته تابعًا لأمر الله ورسوله، فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله. ومن كان فيه ما يوالى عليه من حسنات، وما يعادي عليه من سيئات عومل بموجب ذلك، كفساق أهل الملة؛ إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، والحب والبغض بحسب ما فيهم من البر والفجور فإن من يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًّا يره»[(٢)].

ـ كما ينقسم البراء إلى قسمين:

القسم الأول: البراء المشروع، وهو البراءة والبغض لكل ما يسخط الله تعالى ويبغضه، من الفساد والكفر والمعاصي، ومن تلبس بشيء من ذلك اعتقادًا أو قولًا أو عملًا.

القسم الثاني: البراء الممنوع، هو التبرؤ من الإسلام وأهله، وبغض كل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأشياء والأشخاص وكراهية ذلك ومعاداته[(٣)].

وللبراء مرتبتان:

ـ الأولى: البراء القلبي، المتمثل في حب القلب وبغضه وإرادته وكراهته لكل ما يغضب الله تعالى ويسخطه. وهذه البراءة القلبية لا بد أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقصُ الإيمان.

ـ الثانية: البراء العملي، وهو فعل البدن، فهذا منوط بالقدرة والاستطاعة[(٤)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مظاهر موالاة المسلمين:

لموالاة المسلمين مظاهر عديدة[(٥)] منها ما يأتي:

١ ـ الهجرة إلى بلاد المسلمين، وترك بلاد الكفار، فالمسلم مطالب بترك بلاد الكفار لأجل الفرار بالدين[(٦)] لأن الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة، والدليل على ذلك ما رواه معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنقطع الهجرة**

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩)، و(٣٥/٩٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٥٩، ٣٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٩٤، ٩٥).

(٣) انظر: مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها (٧٣ ـ ٨٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٥) انظر: الولاء والبراء للفوزان (١٧ ـ ٢٦).

(٦) انظر: شرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك للفوزان (٨٣ ـ ٨٨) [١٤٢٨هـ].

حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)].

٢ ـ نصرة المسلمين، والدفاع عنهم، ومعاونتهم بما أمكن، وتراحمهم وتعاطفهم. قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال]، وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ثم شبك بين أصابعه»**[(٢)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[(٣)].

٣ ـ نصحهم، وعدم غشهم وخيانتهم.

٤ ـ احترامهم، والتجنب عن طعنهم، وعيبهم، وتنقصهم. والدليل على هذه المظاهر الثلاثة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**[(٤)].

٥ ـ الدعاء لهم والاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

٦ ـ الرفق بضعفائهم، دل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»**[(٥)].

وعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلًا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**هل تنصرون وترزقون**

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (٢٨/١١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢/٢٣٥) [المطبعة العلمية، ط١]: (فيه مقال)، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٢٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١١)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٦٤)، مسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٦٤)، واللفظ له.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٤٣) واللفظ له، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٢٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١١/٣٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٠٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

إلا بضعفائكم»[(١)].

ـ المسألة الثانية: النهي عن موالاة الكفار:

قد نهى الله تعالى عن موالاة الكفار والمشركين. قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

فهذه الآيات ناهية عن موالاة الكفار والمشركين وأهل الكتاب، ومبينة أن المؤمن لا يوالي الكافر ولو كان أقرب قريب له، فإن الموالاة بين الكافر والمؤمن منتفية في كل حال.

ـ المسألة الثالثة: مظاهر موالاة الكفار:

لموالاة الكفار مظاهر[(٢)]، منها ما يلي:

١ ـ التشبه بهم في الملبس والكلام ونحوهما، فإن التشبه بالكفار منهي عنه، وهو منبئ عن محبتهم، وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين أو كانا متهاجرين؛ وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية، فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان»[(٤)].

٢ ـ الإقامة في بلادِهم وعدم الهجرة منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٩٦).

(٢) انظر: الولاء والبراء للفوزان (٧ ـ ١٦)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٣٠٨ ـ ٣١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٣١)، وأحمد (٩/١٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وجوَّد سنده شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٦٩) [دار العاصمة، ط٦]، وحسن إسناده الألباني في الإرواء (٥/١٠٩).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٩٤).

فإن الإقامة في بلد الكفار تدل على موالاة الكافرين، وقد حرم الله تعالى الإقامة في بلد الكفار لمن قدر على الهجرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء]، فتوعد الله من تخلف عن الهجرة من غير عذر بأن مصيرهم في الآخرة جهنم، ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾؛ يعني: وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها مصيرًا ومسكنًا ومأوى[١].

روى البخاري في صحيحه عن محمد بن عبد الرحمٰن أبي الأسود قال: «قطع على أهل المدينة بعْثٌ، فاكتتبت فيه، فلقيتُ عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم فَيُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾»[٢].

وهي «عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع، وبنص هذه الآية»[٣].

٣ ـ السفر إلى بلاد الكفار لغرض النزهة، فإن السفر إلى بلادهم من غير ضرورة ـ كالتجارة، وتعليم ما لا يمكن تعليمه إلا بالسفر إلى بلادهم ـ محرم[٤].

٤ ـ الثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران]، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين فيطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم؛ لأنهم بجهدهم وطاقتهم لا يقصرون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩، ١٠٠، ١٠١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) صحيح البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٨/٤).

(٤) انظر: الدرر السنية (٣٦١/٢) [ط٧، ١٤٢٥هـ]، ودروس في شرح نواقض الإسلام للفوزان (١٥٧ ـ ١٦١).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٤/٣).

روى ابن أبي حاتم عن ابن أبي الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن هٰهنا غلامًا من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبًا، فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين»(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين، واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب»(٢).

٥ ـ التأريخ بتواريخهم، لا سيما ما يعبر عن طقوسهم وأعيادهم، ولهذا أرَّخ السلف بتاريخ الهجرة ليتميزوا بذلك عن تاريخ الكفار.

٦ ـ المشاركة في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، وقد دل على تحريم ذلك الكتاب والسُّنَّة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان]، وقد فسر غير واحد من السلف الزور بأعياد المشركين، كما رواه ابن أبي حاتم عن الضحاك وقال: وروي عن أبي العالية، وطاوس، والربيع بن أنس، والمثنى بن الصباح نحو ذلك(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما أعياد المشركين، فجمعت الشبهة، والشهوة، والباطل، ولا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة، فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورًا. وحضورها: شهودها.

وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده، ثم مجرد هذه الآية فيها الحمد لهؤلاء والثناء عليهم، وذلك وحده يفيد الترغيب في ترك شهود أعيادهم وغيرها من الزور، ويقتضي الندب إلى ترك حضورها وقد يفيد كراهية حضورها لتسمية الله لها زورًا»(٤).

ومن السُّنَّة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: **إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الأضحى**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الأدب، رقم ٢٥٨٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٥٣) [مكتبة الباز، ط٣].

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٦).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٣) [دار إشبيليا، ط٢/ ١٤١٩]. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٨، ٣٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

ويوم الفطر»[١].

قال شيخ الإسلام: «وجه الدلالة: أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ، ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: «**إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين**»، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه، ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا فيما ترك اجتماعهما»[٢].

٧ ـ مدحهم، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الفاسدة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه]، فما أعطاه الله الكفار من الدنيا كله ابتلاء واختبار منه ﷻ، وقد عجلت لهم طيباتهم في الدنيا كما قال النبي ﷺ لما قال له عمر بن الخطاب: «ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، وكان متكئًا، فقال: **أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**»[٣].

٨ ـ الاستغفار لهم والترحم عليهم. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، قال الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا به ﴿أَن يَسْتَغْفِرُوا۟﴾ يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم ﴿أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة لهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبيَّن لهم أنهم من أهل النار؛ لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله»[٤].

٩ ـ التسمِّي بأسمائهم، فبعض المسلمين يسمّون أولادهم بأسماء الكفار، وهو من الأمور التي يسبب الانفصال بينهم وبين سلفهم، وقد رغب النبي ﷺ في أسماء شرعية فقال: «**إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمٰن**»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٣٤)، والنسائي (كتاب العيدين، رقم ١٥٥٦) [مكتبة المعارف، ط١]، وأحمد (٢١/ ٢٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والحاكم (كتاب صلاة العيدين، رقم ١٠٩١) وصححه على شرط مسلم، وكذا قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٦)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٠٣٩) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٦٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٩).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٣٢).

ـ المسألة الرابعة: من مظاهر البراء من الكفار:

١ ـ بغض الشرك والكفر والنفاق وأهله عمومًا.

٢ ـ هجر بلاد الكفر وعدم السفر إليهم إلا لحاجة، مع القدرة على إظهار شعائر الإسلام.

٣ ـ أن لا يناصر الكفار ولا يعينهم على المسلمين.

٤ ـ أن لا يستعين بهم من غير حاجة ولا يتخذهم بطانة له يحفظون سره.

٥ ـ أن لا يشاركهم في أعيادهم وأفراحهم ولا يهنئهم بها، وأن لا يستغفر لهم ولا يترحم عليهم.

٦ ـ هجر مجالسهم المحتوية على منكراتهم، وعدم صداقتهم ومخاللتهم.

٧ ـ عدم المداهنة والمجاملة لهم على حساب الدين.

٨ ـ أن لا يعظم الكافر بلفظ أو فعل.

٩ ـ عدم التولي العام لهم.

١٠ ـ أن لا يبدأهم بالسلام من غير موجب.

١١ ـ ترك اتباع أهوائهم وطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

١٢ ـ عدم الركون إلى الكفرة الظالمين.

١٣ ـ ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة[(١)].

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام للبدراني (٤٨)

ـ المسألة الخامسة: متى يكون التولي كفرًا؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وفي الحديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه النصوص وما ورد في معناها مثل: أثر عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة»[(٢)].

أن هذا قد يحمل على التشبه المطلق، الذي يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا أو معصية أو شعارًا للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك[(٣)].

كما بيَّن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة]، أن هذا الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليًا تامًّا صار ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ وما هو دون ذلك[(٤)].

[مصدر الكتاب: موقع مشكاة الإسلامية].

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب الجزية، رقم ١٨٨٦٣، ١٨٨٦٤).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٨٥٦).

وذكر بعض أهل العلم أن تولي الكافر إذا كان لدينه ـ وليس لأمور دنيوية ـ أن هذا كفر، وقد تكون معصية أو كبيرة من الكبائر إذا كانت لغرض دنيوي، وعلى هذا الأخير حمل بعض أهل العلم قصة حاطب بن بلتعة التي رواها عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **يا حاطب ما هذا؟** قال: يا رسول الله لا تعجل علي؛ إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(١)].

قال ابن العربي: «من كثر تطلعه على عورات المسلمين، وينبه عليهم، ويعرّف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرًا إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين»[(٢)].

قال ابن تيمية: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة، فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافرًا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة»[(٣)].

ـ المسألة السادسة: إن ولاء المؤمن لا يكون إلا لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

وعلى هذا فلا يكون الولاء لطائفة معينة، ولا لقبيلة معينة، ولا لشيخ معين، وكذلك لا يكون البراء على ذلك، وإنما يكون الولاء للطاعة وأهلها،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) أحكام القرآن (٤/ ٢٢٥) [دار الكتب العلمية]. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٣).

والبراء من المعصية وأهلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحد أن يعلق المدح، والذم، والحب، والبغض، والموالاة، والمعاداة، والصلاة، واللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك: مثل أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك مما يراد بها التعريف... فذكرُ الأزمان، والعدل بأسماء الإيثار، والولاء، والبلد والانتساب إلى عالم، أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره، فأما الحمد والذم، والحب، والبغض والموالاة، والمعاداة، فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمنًا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرًا وجبت معاداته من أي صنف كان...»[1].

ـ المسألة السابعة: معاملة الكفار في الأمور الدنيوية كالتجارة، وإجراء العقود المالية، أو مهادنتهم من ولي أمر المسلمين لا تعد من موالاة الكفار:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة]، وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: **نعم صِليها**»[2].

قال ابن عيينة: فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[3].

وقال تعالى في حق الوالدين إذا كانا كافرين: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

فأمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، وهذا يدل على أن ذلك لا ينافي معاداتهما في الدين، ولا يدخل في النهي عن موالاة الكفار.

وكذلك لا تعد من موالاتهم أن يستفاد من مخترعاتهم وخبراتهم، فقد استأجر النبي ﷺ ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر[4]، واستدان من بعض اليهود[5].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٨٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٠٣).

(٣) أخرجه بهذه الزيادة البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٩٦).

وانظر: إيثار الحق على الخلق (٣٧٠، ٣٧١) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ]، ودروس في شرح نواقض الإسلام للفوزان (٩٢ ـ ٩٤).

ـ المسألة الثامنة: حقيقة الحب في الله والبغض في الله:

محبة المسلم لأخيه المسلم في الله، وبغضه لأعداء الله في الله، من أوجب الواجبات التي أمر بها الشرع، وهي أوثق عرى الإيمان.

قال الإمام مالك: «الحب في الله والبغض في الله من الفرائض»(١).

وبغض الكافرين ومعاداتهم والبراءة منهم من أوجب واجبات الدين، بل إنها مقدمة في كتاب الله على البراءة من الأوثان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومحبة المؤمن لأخيه المؤمن في الله، إنما هي ثمرة من محبته لله، ومن تمام محبة الإنسان لله، كما أنها موجبة لمحبة الله.

فإن من تمام حب الله: حب ما يحبه الله، والله يحب الأنبياء والصالحين، فكان حبهم من ثمرات حبه تعالى، ومن أحب شخصًا في الله، كان المحبوب لذاته هو الله(٢).

والمحبة في الله إنما تتحقق إذا ما أحب المؤمن أخاه المؤمن محبة خالصة لله، لا لغرض دنيوي.

فمن اعترت محبته لغيره شائبة نفع دنيوي، فإن محبته لا تكون خاصة لله على التمام، وضابط ذلك أن تحب الشخص لما فيه من الطاعة، لا بمقدار انتفاعك الدنيوي منه، بل تحبه وإن لم تحصل منه على نفع دنيوي.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء»(٣).

وعليه، فمن أحب إنسانًا لمجرد النفع الدنيوي الذي يلقاه منه، من عطاء المال والنصرة ونحو ذلك، فإنما أحب ذلك النفع الذي وصله، فلا يكون محبًّا لذلك الشخص في الله، وإن زعم ذلك فهو كاذب، وذلك من دسائس النفوس، ونفاق الأقوال، وكثير من محبة الخلق لبعضهم هي من هذا القبيل، وهذا الحب لا ثواب عليه في الآخرة ولا نفع، وإنما النافع ما كان حبًّا في الله ولله وحده(٤).

ـ وقد جاءت النصوص الكثيرة التي تؤكد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٢٧) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: قاعدة في الزهد والورع لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٠٧، ٦٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، ودرء التعارض له (٤/ ١٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ].

(٣) فتح المجيد (٣٣٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٠٩).

[المجادلة: ٢٢]، وقال ﷻ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَرَى المؤمنينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسدِ إذا اشتكَى عُضوًا تَداعَى له سائِرُ جَسدِهِ بالسّهَرِ والْحُمَّى**»[(١)].

قال السعدي رحمه الله: «إن الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم - من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسُّنَّة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، وكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل، وأصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله»[(٢)].

- **المسألة التاسعة: اجتماع الحب في الله والبغض في الله في الشخص الواحد:**

الأصل في المسلم ثبوت المحبة في حقه، فأما من كمل إيمانه فإنه يُحبُّ جملة، وأما من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا فإنه يُحَب بقدر ما فيه من الطاعة، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية، فقد يجتمع في الشخص ولاية من وجه، وعداوة من وجه[(٣)].

ولهذا روى عمر بن الخطاب أنّ رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقّب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا، فأمر به، فجلد، فقال رجل من القوم: اللَّهُمَّ العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسُنَّة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١١)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٦).
(٢) الفتاوى السعدية (١/٩٨) [المؤسسة السعدية، الرياض].
(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٥)، الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد القحطاني (١٣٦) [دار طيبة، ط١].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٠).

فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم»(١).

- المسألة العاشرة: المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه:

إذا تحقق عند المؤمن البغض الشرعي للكافر، والبراءة الشرعية منه، ولكن وُجِدَ من هذا الكافر ما يقتضي أن يحب جبلة وطبعًا ـ لا شرعًا ـ كأن يكون هذا الكافر أبًا أو أمًّا أو ابنًا للمسلم، أو تكون الكافرة زوجة كتابية له، وكذا إذا ما توجه الكافر بإحسان للمسلم، فوجد المسلم في نفسه محبة طبيعية لهؤلاء، فالأقرب والله أعلم أن هذه المحبة لا تنافي البغض الشرعي، ولا يأثم المسلم إذا وجدها في قلبه مع استقرار البراء الشرعي منهم، ومن دينهم؛ إذ لا تعارض بين البغض الشرعي، والمحبة الطبيعية، فالجهة منفكة، ولكن بشرط أن يقف بهذه المحبة عند حدها القلبي الجبلِّي، فلا يترحم عليهم، ولا يصلي عليهم، بل إن وُجِدَ ما يقتضي محاربتهم وقتالهم (كأن يكون الأب الكافر في جيش الكفار) قاتلهم، وقدَّم مقتضى البراء الشرعي على تلك المحبة الطبيعية؛ إذ المودة الشرعية للمؤمن والبراء الشرعي من الكافر هو الأصل والحاكم في التعامل مع الناس، اعتقادًا وفعلًا.

ومما استدل به القائلون بجواز هذه المحبة الطبيعية للزوجة الكتابية ونحوها ما يلي:

١ ـ قوله تعالى في حق أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، حيث فسرها كثير من أهل العلم بـ: من أحببت هدايته(٢)، وفسرها جمع منهم بـ: من أحببت شخصه لقرابته(٣)، ولا تعارض بين التفسيرين، ولا مانع من الجمع بينهما والله أعلم، فتكون الآية ـ على القول الثاني ـ دليلًا للمسألة.

٢ ـ الجمع بين إباحة الشرع لنكاح المؤمن من الكتابية العفيفة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]، وإباحة المودة بين الزوجين عمومًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٢)، وتفسير البغوي (٦/ ٢١٥)، وتفسير السمعاني (٤/ ١٤٩) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ]، وزاد المسير (٦/ ٢٣٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ]

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٧) [عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٢٤) [دار الفكر].

وَرَحۡمَةًۚ﴾ [الروم: ٢١]، قال ابن عباس: «الْمَوَدَّةُ: حُبُّ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ»[(١)]، فدل عموم هذه الآية على جواز وقوع المحبة الطبيعية بين الزوج المسلم وزوجته الكتابية.

وأما نصوص البغض للكافرين والبراءة منهم، فهي ثابتة ولا شك، وهي محمولة على البراءة الشرعية من الكافر ومن كفره، فلا تعارض المحبة الطبيعية إذا وُجد سببها[(٢)].

- المسألة الحادية عشرة: الكره الطبيعي للمسلم الذي وقع منه موجب ذلك الكره.

وهي مقابلة للمسألة السابقة، فإن الأصل هو ثبوت المحبة الشرعية من المسلم لأخيه المسلم، وإن وقع منه ظلم له، فذلك الظلم لا يزيل تلك المحبة الشرعية، ولكن قد يقع في قلبه كره طبيعي وجِبِلِّيٌّ لمن ظلمه من المسلمين، كمن سرق ماله، وقتل قريبه، ونحو ذلك، بل كما تكره المرأة زوجها كرهًا طبيعيًّا لأي سبب معتبر فتخالعه، وكما يكره الرجل زوجته فيطلقها، أو يمسكها على كراهته لها، وقد قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء]. والشاهد منها إثبات وقوع الكراهة، وعدم إنكارها، بل الندب لإمساك المرأة مع تلك الكراهة لما يرجى من خير كثير[(٣)].

فلا تعارض بين ذلك الظلم وبين ثبوت أصل المحبة الشرعية لذلك المسلم، فإنها محبة له من أجل ما في قلبه من الإيمان، وكما تقرر في المسألة السالفة أن البغض الشرعي لا يعارض الحب الطبيعي، فكذلك هٰهنا الكره الطبيعي لا يعارض الحب الشرعي، لانفكاك الجهة بينهما في المسألتين، وإن حصل تدافع بين لوازم المحبة الشرعية والكره الطبعي فالمقدَّم قطعًا ما كان لازمًا للمحبة الشرعية، فلا يجوز بحال أن يحمله ذلك الكره الطبيعي على ظلم أخيه المسلم وإضاعة حقوقه، بل ينبغي مدافعة ذلك الكره، وعدم الركون إليه[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧) [دار الشعب]، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٠٩).

(٢) انظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ١٣٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ]، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٣٧٣، ٣٧٤) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م]، وإعانة المستفيد للفوزان (١/ ٢٥٨) [مؤسسة الرسالة]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٩٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ]، والعقد الثمين (٨/ ٣٤٤، ٣٤٥) [مكتبة الطبري، ط١، ١٤٠٣هـ]، وبحث: (المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه) لتميم القاضي، منشور في مجلة التأصيل، العدد الخامس.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٣) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: (حب الكافر لذاته مع بغض كفره هل يجوز =

ـ المسألة الثانية عشرة: أن بغض الكفار ومعاداتهم، لا ينافي البر والإقساط في حق غير الحربي منهم.

ما تقدم تقريره من وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم لا يعارض ما قررته الشريعة من وجوب العدل معهم، والبر والإقساط في حق من لم يكن محاربًا لنا منهم.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]

يقول القرافي في كتابه (الفروق) لما فرَّق بين مسألة بغضهم، ومراعاة البر والإحسان إليهم قال: «وسر الفرق أنّ عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم؛ لأنّهم في جوارنا، فيتعين علينا برهم في كل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودة في القلب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدَّى إلى أحد هذين، امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية»[1].

ومما يدخل في ذلك: الإهداء لهم، وقبول هديتهم، فقد قبل النبي ﷺ هدية من ملك أيلة، وهي بغلة بيضاء وبُرد[2]، وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهدى حلة لأخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[3].

ومما يدخل في ذلك: عيادة مرضاهم، فقد زار النبي ﷺ غلامًا يهوديًا ـ كان يخدمه ـ قبل موته[4].

وكذلك قصة عيادة النبي ﷺ لعمه أبي طالب قبيل وفاته[5].

كما أن تلك العداوة والبغض للكافرين لا تعارض ما تقتضيه مصلحة دعوتهم إلى الإسلام من لين القول ـ من غير ذلة ـ والمجادلة بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال الله لموسى وهارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه]

وهذا اللِّين والحكمة يجب ألا يوصلا

= شرعًا؟) مقال للشيخ البراك، نُشِرَ في مجلة البيان، عدد ٣١٠، جمادى الآخرة، (١٤٣٤هـ)، وبحث: (المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه) لتميم القاضي، منشور في مجلة التأصيل، العدد الخامس.

(١) الفروق للقرافي (٣/٢٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٦١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ١٣٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٦١٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

لمسلم إلى محبتهم وترك بغضهم وعداوتهم، بل بغضهم ثابت، وإنما المحبة لهدايتهم.

- **المسألة الثالث عشرة: ما يُشرع لمن أحب أخًا له في الله:**

يُشرع لمن أحب أخًا له في الله أن يخبره بتلك المحبة.

فعن المقدام بن معديكرب عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنّه يحبّه**»[(١)].

الآثار:

من الآثار الحميدة المترتبة على البراء من كل عمل لا يرضي الله:

- محبّة الله لأوليائه المؤمنين الّتي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون.

- معيَّة الله لأوليائه المؤمنين بنصرتهم وتأييدهم وتسديدهم وإجابة دعائهم.

- بيان صفة أولياء الله وفضائلهم المتنوّعة.

- الولاء والبراء يقتضي عدم الاحتكام إلى أيّ طاغوت في أيّ حكم من الأحكام الدّينيّة أو الدّنيويّة.

- ومن آثار الحب في الله والبغض في الله أنه من أوثق عرى الإيمان، وبه تتحقق كثير من الشعائر الإسلامية، كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتتحقق التفرقة بين المؤمنين والكفار.

مذهب المخالفين:

وجدت بعض المفاهيم الخاطئة والعقائد الفاسدة لدى بعض الناس في عقيدة البراء، والتي نشأت من الجهل والهوى والغلو، وهذه المفاهيم وقع فيها طائفتان:

- طائفة غلت وأسرفت حتى خرجت عن المشروع، حيث توهَّمت أن البراء من الكفار ومعاداتهم وبغضهم يجيز ظلمهم والاعتداء عليهم وسلب حقوقهم، فأجازت لنفسها ظلم الكفار، وأخذ أموالهم، والاعتداء على أعراضهم ودمائهم، دون تفريق بين أحوالهم وأشخاصهم.

- وطائفة أهملت وفرطت حتى أنكرت شرعية البراء من الكفار، ومعاداتهم، لظنها استلزام ذلك لما نُهي عنه من ظلمهم والاعتداء عليهم، أو لسوء فهمها لمبدأ التسامح والمحبة في الإسلام، فدعت إلى محبتهم وموادتهم ونزع عداوتهم.

والحق أن كلا الطائفتين ضلَّت عن سواء السبيل.

فإن البراء من الكفار ومعاداتهم

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥١٢٤)، والترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٩٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٨/٤٠٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤١٧).

وبغضهم لا يجيز ظلمهم والبغي عليهم، فالإسلام يأمر بالعدل حتى مع الأعداء ويحرم ظلمهم، بل إن مجرد الكذب عليهم لا يجوز.

أما الطائفة التي أنكرت العداوة والبراء والبغض للكفار لظنها بأن ذلك ملازم لظلمهم والاعتداء عليهم فليس الأمر كذلك، فلا تلازم بين الأمرين، فالمؤمن يبرأ من الكفار ويعاديهم ويبغضهم، ومع ذلك فهو لا يظلمهم بل يسلك معهم العدل في قوله وفعله ويحسن إلى غير المحاربين منهم ويتألفهم ويحب لهم الهداية، فالعدل مع الكافر وعدم ظلمه لا يعني مودته أو عدم بغضه[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٢ ـ «حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسُّنَّة بين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين»، لعصام السناني.

٣ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج٢).

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ ـ «شرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»، للفوزان.

٦ ـ «قاعدة في المحبة»، لابن تيمية.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٩ ـ «الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية»، لمحماس بن عبد الله الجلعود.

١٠ ـ «الولاء والبراء»، للفوزان.

١١ ـ «الولاء والبراء والعداء في الإسلام»، للبدراني.

الولاء

يراجع مصطلح (الولاء والبراء).

الولاية (صفة الله)

يراجع مصطلح (الولي).

الوَلِيّ

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب، من ذلك الوَلْيُ: القُرْبُ، يقال: تباعد بعد ولْيٍ؛ أي: قربٍ»[2]، والوَلِيّ صيغة مبالغة من اسم فاعل (الوالي) من الولاية، مأخوذ من الأصل الثلاثي (ولي) الدال على

(١) مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها (٩٠ ـ ٩٢). بتصرف.

(٢) مقاييس اللغة (٢/٦٤٥) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

القرب والدنو، يقال: ولي وتولى يتولى ولاية فهو وليّ ومولى، والوَلْيُ: القرب، يقال: جلس مما يليني؛ أي: بقربي.

والوَلاء والوَلاية والمُوَالاة: النصرة، والتأييد، وتولاه: اتخذه وليًّا.

وتولى الأمر يتولاه وِلاية: ملكه وقام به، من الولاية: الملك والسلطان، واستولى عليه: ظهر وغلب عليه، وتمكن منه.

والوَلي: المحب والصاحب والحليف والناصر والمعتق، وكل من تولى أمرًا فقام به وتعاهده[(١)].

التعريف شرعًا:

الوليّ: المتولي لجميع شؤون خلقه والقائم بذلك، والناصر لعباده المؤمنين الذي يتولى نصرهم وإرشادهم في الدنيا، ويتولى يوم الحساب جزاءهم وثوابهم[(٢)].

الأسماء الأخرى:

المولى، الوالي.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله الولي والإيمان به لدلالة النصوص عليه[(٣)].

الحقيقة:

إن الله ﷻ هو ولي المؤمنين، فهو ناصرهم، ومعينهم على أعدائه وأعدائهم، وهو ﷻ المتولي للأمور كلها.

الأدلة:

ورد اسم الولي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى]، وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

أقوال أهل العلم:

ذكره البيهقي في الأسماء والصفات، وفي الاعتقاد[(٤)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٧ ـ ٤٥٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١١٠٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/ ٢٥٢٨ ـ ٢٥٣٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٥ ـ ٨٨٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٧، ١٠٥٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، واشتقاق أسماء الله (١١٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٧٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٤) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٤)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٥٠).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٤)، والاعتقاد له (٦٢).

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه: الولي؛ ومعناه: الناصر لعباده المؤمنين، وقيل: المتولي للأمور كلها»[(١)].

وذكره ضمن الأسماء الحسنى الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى[(٢)].

الأقسام:

الولاية تنقسم إلى قسمين[(٣)]:

القسم الأول: ولاية مطلقة، وهذه لله عَزَّ وَجَلَّ، لا تصلح لغيره، كالسيادة المطلقة.

القسم الثاني: ولاية مقيدة، وهذه تكون لغيره الله، قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم: ٤]

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من كنت مولاه، فعلي مولاه»**[(٤)].

وتكون هذه الولاية بمعنى النصرة والمتولي للأمر والسيد والعتيق ونحو ذلك.

المراتب:

ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده وتوليه لهم نوعان:

الأول: ولاية عامة، وهي إثبات جميع معاني الملك لله عَزَّ وَجَلَّ على خلقه، وتصريفه سبحانه وتدبيره لجميع الكائنات وشؤونهم، وأنهم جميعًا طوع تدبيره، ولا خروج لأحد منهم عن نفوذ مشيئته وشمول قدرته، وهذا يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر، والجماد والنبات، وسائر الموجودات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس]، ومعنى كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مولى الكافرين: أنه المالك لهم المتصرف فيهم بما يشاء، المتولي لهم الولاية العامة.

النوع الثاني: الولاية الخاصة: الملازمة للمحبة، والتي تقتضي النصر والتأييد، والعناية واللطف، والتوفيق لعباده المؤمنين الموحدين، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾ [محمد: ١١]،

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ١٢٦، ١٢٧) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠).

(٣) انظر: القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧١٤) وحسَّنه، وأحمد (٣٢/ ٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٣٠).

فالمنفي هنا عن الكفار الولاية الخاصة المقتضية للنصر والتأييد والتوفيق، لا الولاية العامة المقتضية للملك والتدبير، ولا تعارض بينهما[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ولاية الله تعالى:

ولاية الله تعالى صفة من الصفات الفعلية، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة[2].

والواجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجاثية]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللَّهُمَّ آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[3].

قال ابن أبي العز الحنفي: «مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسُّنَّة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات»[4].

ـ المسألة الثانية: المولى:

المولى اسم من أسماء الله، وهو بمعنى: الناصر والمعين، وهو المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه المالك، ولا مفزع للمملوك إلا مالكه[5].

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٨٩) [مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٦٨، ١٦٩) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة للسقاف (٣٧٤) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: شأن الدعاء (١٠١) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٥)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٠٦).

أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد]. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: **«اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللَّهُمَّ آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»**[(١)].

وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى، ولم يسقطه سوى: الزجاج، وابن منده، والزجاجي، وابن حزم، وابن العربي، وابن الوزير، وصديق خان، والسعدي.

ـ المسألة الثالثة: الوالي:

الوالي هو المالك للخلق، المتولي لجميع شؤونهم والراعي لمصالحهم، والمتصرف بمشيئته فيها، ينفذ فيها حكمه، ويجري فيها حكمه[(٢)].

ولا يصح إطلاق اسم الوالي على الله عز وجل؛ لافتقاره إلى دليل يثبت به، وإنما استند من أثبته من أهل العلم إلى وروده في بعض طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، والصحيح أن هذا التعيين لا يصحّ رفعه إلى النبي ﷺ وإنما هو مدرج في الحديث، كما رجح ذلك كثير من أهل العلم الخبيرين بالصناعة الحديثية، والله أعلم[(٣)].

ـ المسألة الرابعة: هل يجوز إطلاق: أن الله وليّ الكافرين؟.

لم يطلق في النصوص أن الله عز وجل وليّ الكافرين؛ لأن الله عز وجل وإن كان قد أنعم على الكافرين وهو المتولي لجميع شؤونهم المدبر لها إلا أنهم قابلوا ذلك بالكفر والجحود والنكران لهذه النعم، ولم يقروا بها لمسديها عليهم، في حين أن المؤمنين قابلوا نعمه بالشكر والإقرار والطاعة والتوحيد، فاستحقوا بذلك ولاية الله عز وجل ظاهرًا وباطنًا.

كما أنه لما كان من معاني الوليّ المحب والناصر والمعين لم يجز إطلاق أن الله وليّ الكافرين حتى لا يتبادر إلى ذهن السامع أن المراد به الولاية الخاصة التي تقتضي المحبة والنصرة والعون والتأييد والتوفيق[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦١)، وشأن الدعاء (٨٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٤)، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦١).

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٤ ـ ٩٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١١٤)، والأسنى في شرح =

ـ المسألة الخامسة: حصول ولاية الله تعالى:

إن تحقيق ولاية الله ﷻ عند أهل السُّنَّة والجماعة من الأمور المكتسبة التي ينالها العبد متى ما حقق قام بأسبابها الموجبة لها، من الإيمان الصادق وتقوى الله ﷻ بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس].

أما عند أهل البدع وخاصة الصوفية منهم وأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود بالأخص، فإن الولاية عندهم هبة من الله ﷻ يعطيها لمن يشاء من عباده، فنسبوها بهتانًا وزورًا إلى الفسقة والمجانين والزنادقة والملحدين بمجرد حصول بعض الخوارق والشعوذات الشيطانية على يدي هؤلاء المزعومين، والحقيقة أنها أحوال شيطانية، وليست من الكرامات الإلٰهية التي يجريها الله ﷻ على يد بعض أوليائه الذين حققوا الولاية الصحيحة بالتزام كتاب الله ﷻ وسُنَّة نبيّه ﷺ، كما أن حصول هذه الكرامات والخوارق ليست شرطًا في نسبة الولاية لمن يستحقها؛ بل إنها من المكافآت التي يمنحها الله ﷻ لبعض من يستحق ذلك من عباده عند الحاجة.

فليس كل من تظاهر بالولاية فهو وليٌّ لله صدقًا؛ فإن أولياء الله حقًّا هم المتمسكون بما أوجبه الله ﷻ عليهم، المجانبون لما نهاهم عنه، أما من تظاهر بالولاية وادعاها وهو لا يؤدي الفرائض، ولا يتجنب المحرمات، ويدعي سقوط التكاليف عنه، فإنه في حقيقة الأمر وليّ للشيطان وليس وليًّا لله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف][1].

الفروق:

الفرق بين: الولي، والوالي، والمولى:

كلٌّ من الوليّ والوالي والمولى أسماء متقاربة يدور معناها حول الملك والسلطان والقدرة، وهذا بمقتضى الولاية العامة، والمحبة والنصرة والعون والتأييد والتوفيق، وهذا بمقتضى الولاية

= أسماء الله الحسنى (١/٣٠١، ٣٠٢) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٨٩).

(١) انظر للتفصيل في هذا الموضوع: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان لابن تيمية، وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي لعبد الرحمٰن دمشقية.

الخاصة بالمؤمنين، والفرق بينها من جهة الصيغة المستخدمة، وبيانه فيما يلي:

الوليّ أعم متعلقًا؛ إذ إنه أكثر شمولًا لمعاني الولاية بنوعيها العامة والخاصة، والوالي أكثر تعلقًا بالولاية العامة، والمولى أكثر تعلقًا بالولاية الخاصة.

الآثار:

١ ـ جاءت نصوص الكتاب والسُّنَّة مبينة للأسباب التي نال بها المؤمنون من عباده ولاية الله ﷿، **منها**:

أ ـ «تحقيق الإيمان الصادق والتقوى في السر والعلن، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس].

ب ـ الاجتهاد في التقرب إلى الله ﷿ بطاعته، وذلك بأداء فرائض الإسلام، ثم التزود من النوافل ورغائب الدين، كما في الحديث القدسي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**»[(١)][(٢)].

٢ ـ تقتضي مغفرة الذنوب إذا وقعت من عباد الله المؤمنين، ولا تقتضي العصمة منها، ويدل على ذلك ما جاء في حديث البراء بن عازب ﵁ في غزوة أحد: «أن أبا سفيان قال بعد أن أصيب المسلمون: أفي القوم محمد؟ قال النبي ﷺ: **لا تجيبوه**، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: **لا تجيبوه**، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: **أجيبوه**، قالوا: ما نقول؟ قال: **قولوا: الله أعلى وأجلّ**، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: **أجيبوه**، قالوا: ما نقول؟ قال: **قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»[(٣)].

فمع ما وقع من بعضهم من ذنوب ومخالفة لأمر النبي ﷺ إلا أنه لم ينفِ عنهم أن يكون الله ﷿ مولاهم، وأنهم أولياء لله الولاية الخاصة.

كما أن في هذه الحادثة في هذه

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢).
(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٤٣).

الغزوة تحذيرًا وتنبيهًا وعبرة لهم ولمن بعدهم، أنه بقدر ما يوافق المسلم كتاب ربه وسُنَّة نبيّه ﷺ قولًا وعملًا واعتقادًا، تكون له النصرة والمعونة من الله جلّ شأنه[1].

٣ ـ إذا عرف المسلم ما تقدم جاهد نفسه على ملازمة طاعة الله ﷻ وطاعة نبيه ﷺ والعمل بما أمرا به، والانتهاء عما نهيا عنه، حتى تتحقق له ولاية الله ﷻ وما يترتب عليها.

مذهب المخالفين:

ـ الولاية صفة من الصفات الفعلية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.

والصحيح أنه يجب إثبات هذه الصفة لله جَلَّ وَعَلَا كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٢ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٦ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.

٧ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٨ ـ «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

١٠ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

١١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

الوهاب

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والهاء والباء: كلماتٌ لا ينقاس بعضُها على بعض. تقول: وهَبْتُ الشَّيءَ أَهَبُهُ هِبَةً ومَوْهِبًا. واتَّهَبْتُ الهبة: قَبِلتُها. والمَوْهِبَة: قَلْتٌ يَسْتنقِعُ فيه الماء؛ والجمع مَواهب. ويقال: أوْهَبَ إليَّ من المال كذا؛ أي:

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (٢/٤٧، ٤٨) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

ارتفع. وأصبح فلانٌ مُوهَبًا لكذا؛ أي: مُعَدًّا له»[(١)]. والوهاب مبالغة من الهبة، مأخوذ من الأصل الثلاثي (و هـ ب) الدال على إعطاء الشيء بلا عوض، يقال: وهب يهب وهبًا وهبة وموهبة فهو واهب ووهّاب وموهوب، والهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، ورجل وهّاب ووهّابة: كثير الهبة لأمواله[(٢)].

التعريف شرعًا:

الوهاب: الذي شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل، ودائم الإحسان، وواسع المواهب، يجود بالنوال قبل السؤال، المتفضل بالعطايا التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، من غير أن يتوقع عوضًا[(٣)].

وجاءت صيغة هذا الاسم على وزن (فَعّال) من صيغ المبالغة؛ لكثرة مواهب الله ﷻ وعطاياه وترددها، وتنوعها، وسعتها[(٤)].

الحكم:

يجب إثبات اسم الوهاب، وما دل عليه من الصفة: (الوهب) لله تعالى، على الوجه اللائق بالله تعالى، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة[(٥)].

الحقيقة:

أن الله ﷻ هو الوهاب كثير العطايا، يهب ما لا يمكن أن يهبه سواه، فهو واهب الحياة وواهب كل نعمة ابتداءً من رزق وولد ومال وهداية بلا ثمن ولا مقابل، وفوق ذلك يهب الجنة لمن أطاعه وليست الجنة ثمنًا مقابلًا للطاعة، وهذا العطاء منه سبحانه هو حقيقة ومقتضى اسمه الوهاب واتصافه ﷻ بذلك.

الأدلة:

ورد اسم الوهاب في مواضع عدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾

(١) مقاييس اللغة (٦/١٤٦) [دار الجيل، ط٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/٤٦٣، ٤٦٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (١/٢٣٥) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٤، ٨٨٥) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٨٢، ١٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٥٩) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/٢٠١) [الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، واشتقاق أسماء الله (١٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٥٣) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٦) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٩١) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧٣) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١١٩) [دار التوحيد، ط١].

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٢٦)، وفقه الأسماء الحسنى (١١٩).

(٥) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥٣) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ]، وشرح القصيدة النونية لأحمد بن إبراهيم (٢/٢٣٤) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].

[ص]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران].

أقوال أهل العلم:

قال الزجاج: «الوهّاب هو (فعّال) من قولك: وهبت أهب هبة، والهبة تمليك الشيء بلا مثل، والمثل في الشرع على وجهين قيمة وثمن، والله تعالى وهَّاب الهبات كلها»[(١)].

وقال أبو سليمان الخطابي: «الوهاب: هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة، ومعنى الهبة: التمليك بغير عوض يأخذه الواهب من الموهوب له، فكل من وهب شيئًا من عرض الدنيا لصاحبه، فهو واهب، ولا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت.

والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالًا، أو نوالًا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هدى لضلال، ولا عافية لذي بلاء، والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده، ورحمته، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده»[(٢)].

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (٣٨) [دار المأمون للتراث، ط٥، ١٤٠٦هـ].

(٢) شأن الدعاء للخطابي (٥٣) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكذلك الوهاب من أسمائه
فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السماوات العلى والأرض عن
تلك المواهب ليس ينفكان»[(٣)]

وأورد هذا الاسم جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم.

الآثار:

١ ـ الإيمان باسم الله الوهاب يغرس في النفوس محبة الله العظيم، ويدفعها إلى القيام بحمده وشكره، ويقوي رجاءها وتعلقها بربها الكريم، الذي غمر خلقه بهبات عظيمة، وعطايا جسيمة، ومنن جليلة ليست محصورة بعدد، ولا مقصورة على مُدَد، بل يده سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة.

٢ ـ على العبد أن يحمد الله عَزَّ وَجَلَّ على جميع مواهبه وعطاياه، وإن كان الحمد نفسه هبة ونعمة منه تستوجب الحمد، ولذا قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها»[(٤)].

(٣) شرح القصيدة النونية لأحمد بن إبراهيم (٢/ ٢٣٤).

(٤) الرسالة (٧، ٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م].

فالعبد دائر في حياته كلها بين الحمد والشكر، فالحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون، له الحمد والشكر، وله المنة والفضل، بيده الأمر كله، ولا إله غيره، العزيز الوهاب[(١)].

٣ ـ كما أن العبد مندوب إلى أن يتصف بهذا الوصف، وهو مندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج]، فكل ما يؤدي العبد من واجب ليس هبة، وكل ما أولى من معروف لم يجب عليه يبتغي به وجه الله تعالى فهو هبة مندوب إليها[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للأصبهاني.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٧ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.

٨ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٩ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

١٠ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها»، لماهر مقدم.

الوهب

يراجع مصطلح (الوهاب).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٢١).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٩٩).



حرف الياء

يأجوج ومأجوج

التعريف لغةً:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، فلا اشتقاق لهما. وقيل: عربيان، وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجيج النار: وهو التهابها. وقيل من الأجّة، وهي الاختلاط أو شدة الحر. وقيل من الأج: وهو العدو السريع. أو من الأجاج: وهو الماء الشديد الملوحة. وقيل: مأجوج من: ماج؛ إذا اضطرب، ويشهد له قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩][١].

التعريف شرعًا:

أصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليه السلام[٢]. وهما من سلالة يافث ولد نوح عليه السلام. وقد كانوا يعبثون في الأرض ويؤذون أهلها، فحصرهم ذو القرنين في مكانهم خلف السدِّ، حتى يأذن الله في خروجهم آخر الزمان[٣].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا شك في أن يأجوج ومأجوج في سرعة انتشارهم في الأرض، وإفسادهم فيها مثلهم مثل النار في سرعة انتشارها، وعظم فسادها.

الحكم:

يجب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان. وظهورهم من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بخروجهم يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

---

(١) ينظر: الصحاح (٢٩) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، ولسان العرب (٢/٢٠٦، ٢٠٧) [دار صادر، ط٣].

(٢) زعم بعضهم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بتراب؛ فتولد منه يأجوج ومأجوج، وهو قول منكر لا أصل له. ينظر: فتح الباري (٦/٤٤٥).

(٣) ينظر: الفتن والملاحم (١/١٥٣) [دار الكتب الحديثة، ط١]، وفتح الباري (١٣/١١٣).

ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء]. وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها**. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم، إذا كثر الخبث**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد بيده تسعين**»(٢). وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف: تسع مئة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى؛ ولكن عذاب الله شديد**. قالوا: يا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ قال: **أبشروا. فإن منكم رجل، ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة. فكبَّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبَّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبَّرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»(٣).

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه؛ حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم**

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٦)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٢).

قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١١٥): «عقد العشرة أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا، وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها، ويضمها ضمًّا محكمًا بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة».

اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ[(١)] في رقابهم؛ فيصبحون فَرْسَى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُم[(٢)] ونَتْنُهُم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت[(٣)] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مدر، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة[(٤)]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك»[(٥)]، الحديث.

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوج، ومأجوج، ونُشَّابِهم، وأَتْرِسَتِهم سبع سنين»**[(٦)]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكرًا، من لحومهم»**[(٧)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان

(١) النَّغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. وقيل: هو الدود الأبيض الذي يكون في النوى. ينظر: غريب الحديث (٤/٢٠٣) [دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٨٧هـ].

(٢) الزَّهَم: رائحة اللحم المنتن. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٦) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) البُخْت: نوع من الإبل تتميز بطول أعناقها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٤).

(٤) الزلفة: المرآة، شبَّه الأرض بها لاستوائها ونظافتها. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري (١٣/١١٧) [المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٠).

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٠) واللفظ له، وأحمد (١٦/٣٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٣٥).

واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك خروج يأجوج ومأجوج، وهم ذرء جهنم»[(١)].

وقال السفاريني: «أمر يأجوج ومأجوج؛ يعني: خروجهم من وراء السد، حق ثابت لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يُحِلْه عقل فوجب اعتقاده»[(٢)].

وقال صدِّيق حسن خان: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صِدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا منامًا، ومن ذلك: أشراط الساعة... ويخرج يأجوج ومأجوج»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: جهة السد:

هو في جهة الشرق كما دل عليه قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ

(١) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١١٦) [المكتب الإسلامي، مكتبة أسامة].

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٧، ١٢٨) [ط١، ١٤٠٤هـ].

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف].

ـ المسألة الثانية: موقع السد:

الذي تدل عليه الآيات أن السد بني بين جبلين، لقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣]، والسدان: هما جبلان متقابلان. ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أي: حاذى به رؤوس الجبلين وذلك بزُبَر الحديد، ثم أفرغ عليه نحاسًا مذابًا، فكان السد محكمًا، وحجز به بين يأجوج ومأجوج ومجاوريهم. وذهب بعض العلماء والباحثين إلى أن موقع السَّد معروف بدليل ما رواه البخاري أن رجلًا قال للنبي ﷺ: «رأيت السد مثل البُردِ المحبَّر. قال: **رأيته**»[(٤)]، وأقر النبي ﷺ الصحابي على أنه رأى السد. فمن رآه في ذلك العصر مع قلة توفر التقنية الحديثة، ووسائل النقل السريعة، والخرائط الدقيقة، فرؤيته في هذا الزمن أسهل وأيسر[(٥)]، إلا أنه من الأسلم

(٤) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج)، ووصله ابن أبي عمر في مسنده، كما ذكر الحافظ في الفتح (٦/٣٨٦) [دار المعرفة].

(٥) ينظر: ذو القرنين وسد الصين (١٨٧)، وما بعدها =

القول: إن الله تعالى قد حجب رؤيته عن بقية خلقه في الجملة، حتى يأتي إذنه تعالى بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ويقع منهم ما يقع من الفساد والإفساد والله أعلم.

ـ المسألة الثالثة: هل خرجت قبائل يأجوج ومأجوج؟

ذهب بعض العلماء إلى أن قبائل يأجوج ومأجوج قد خرجت، وهو ليس بالخروج الذي هو من علامات قرب الساعة؛ بل هو خروج من محل إلى محل، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ﴾ [الحشر: ٢]، وكقوله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات]، وأما الخروج المراد المترتب عليه فسادهم وإفسادهم فهو خروجهم على نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه، وسيكون قرب قيام الساعة[1]. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن السد باقٍ حتى الآن لم يندك، وأن قبائل يأجوج ومأجوج لم تخرج بعد، وإنما يرتبط خروجها بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، فإن معرفة جميع بقاع الأرض، والإحاطة بما فيها من المخلوقات لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، الذي أحاط بكل شيء علمًا، ولا يلزم من عدم اكتشافنا لمكان سد يأجوج ومأجوج، أنه غير موجود؛ فقد يكون الله عز وجل صرف رؤية الناس عنه، أو جعل بينه وبين الناس موانع تمنع من الوصول إليه، كما حصل مع بني إسرائيل في التيه[2]. ولعل هذا أسلم؛ فإنه لا يعنينا تحديد مكان السد، أو أن قبائل يأجوج ومأجوج قد خرجوا أو لم يخرجوا؛ بل نقف عند ما أخبرنا به الله ﷻ، وما أخبرنا به رسوله ﷺ، وهو أن سد يأجوج ومأجوج موجودٌ إلى أن يندك، وتخرج منه قبائل يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة[3]، والله أعلم.

ـ المسألة الرابعة: وقت خروجهم:

دلَّت الأحاديث التي سبق ذكرها أن خروجهم يكون بعد مقتل الدجال، وقبل موت عيسى والمهدي عليهما السلام.

ـ المسألة الخامسة: لا قتال بعد هلاك يأجوج ومأجوج:

يدلُّ عليه حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه

= [دار غراس، ط١، ١٤٢٤هـ]، ورسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج (٧٣ ـ ٧٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ].

(١) ينظر: رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج (٨٣، ٨٤)، والصين ويأجوج ومأجوج (٧٠)، وما بعدها وعقيدة الإسلام في حياة عيسى (٣٦١ ـ ٣٦٨) [المجلس العلمي، ط١، ١٤٦هـ].

(٢) ينظر: نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى (٣٣٣) [التدمرية، ط٨، ١٤٣١هـ].

(٣) ينظر: أشراط الساعة (٣٧٧) [دار ابن الجوزي، ط٢٧، ١٤٣٠هـ].

قال: «بينا أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! إن الخيل قد سيبت ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها. قال رسول الله ﷺ: **كذبوا الآن جاء القتال، وإنه لا تزال من أمتي أمة يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج**»(١). وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة، فبخروجهم يتوقف القتال؛ ولذا فإن الله عندما يريد إهلاكهم يسلط عليهم الدود في رقابهم فيهلكهم.

- **المسألة السادسة: يحج إلى بيت الله الحرام، بعد خروج يأجوج ومأجوج:**

كما دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**»(٢)، على الأمن والرخاء الذي يصيب المسلمين بعد أن يهلك الله يأجوج ومأجوج.

الحكمة:

إن في خلق يأجوج ومأجوج خيرًا للمسلمين يوم القيامة، وذلك أن نصيبهم من النار ألف، ومن أمة محمد ﷺ واحد. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والإشارة إلى كثرتهم وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر، وأنهم من ذرية آدم ردًّا على من قال خلاف ذلك»(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (ج٣)، لحمود التويجري

٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان.

٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٤ - «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٥ - «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج١)، للسفاريني.

٦ - «ذو القرنين وسد الصين»، لمحمد الطباخ.

٧ - «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ضمن مجموعة رسائل الكشميري» (ج٢)، لمحمد أنور الكشميري.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب السير، رقم ٨٦٥٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٩٣).

(٣) فتح الباري (٦/ ٤٤٥).

٨ ـ «فتاوى محمد رشيد رضا» (ج٢).

٩ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١٠ ـ «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج٥، ٩)، لابن باز.

١١ ـ «نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى»، لمحمد العريفي.

اليأس والقنوط

التعريف لغةً:

اليأس: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الياء والهمزة والسين كلمتان؛ إحداهما: اليأس: قطع الرجاء، ويقال: إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه؛ يقال منه: يئس ييأس. والكلمة الأخرى: ألم تيأس؛ أي: ألم تعلم»[1].

اليأس: القنوط، وقيل: هو ضد الرجاء، وقطع الأمل. يقال: يئِس من الشيء ييأس، أيست منه آيسُ يأسًا، مثل: يئست منه أيأس[2].

والقنوط: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء، يقال: قنَط يقنِط، وقنِط يقنَط»[3].

والقُنوط: مصدر، وهو أشد اليأس، وقيل: اليأس مطلقًا، أو اليأس من الخير، وفيه ثلاث لغات: قنَط يَقْنِط قنوطًا، وقَنِط يَقْنَطُ قنْطًا، وقنَط يقنُط فهو قانط[4].

التعريف شرعًا:

قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، واستبعاد الفرج واليأس منه[5].

الحكم:

اليأس من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله ذنبان عظيمان، وهما من كبائر الذنوب كما دلّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة، وأقوال سلف الأمة، وقد نص جمع من أهل العلم على عدِّهما من كبائر الذنوب، وهما ينافيان كمال التوحيد الواجب، وقد ينقلان عن ملة الإسلام؛ لأنهما قد يصلان بالعبد إلى اعتقاد سوء الظن بالله تعالى، والكفر بوعده ووعيده[6].

---

(١) مقاييس اللغة (٦/١٥٣) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٣/٩٩٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (١٥/٤٣١) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٤/٦٦٨) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٥/٣٢).

(٤) انظر: الصحاح (٣/١١٥٥)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٣١٩)، وترتيب القاموس (٣/٧٠٠).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/٨٨٥) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٨هـ]، وفتح المجيد (٤١٤، ٤١٦) [دار الأثير، ط١٥، ١٤٣٤هـ]، والقول المفيد (٢/١٠٦ ـ ١٠٧) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٦) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز =

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن قنط من رحمته ويئس من رَوحه فقد ظن به ظن السوء»[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة اليأس من رَوح الله والقنوط من رحمة الله: هو فقد الرجاء بالكلية أو ضعفه في قلب العبد، مما ينتج عنه غلبة الخوف وشدته، وهما استبعاد رحمة الله تعالى، واستبعاد حصول المطلوب، واستبعاد زوال المكروه، وذلك كله سوء ظن بالله تعالى، وجهل به، وبسعة رحمته، ومغفرته، فهما يستلزمان الطعن في قدرته عَزَّوَجَلَّ لأن من علم أن الله تعالى على كل شيء قدير لم يستبعد شيئًا على قدرة الله تعالى. والطعن في رحمته سبحانه؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالًّا[(٣)].

= الحنفي (٢/٤٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ]، والكبائر وتبيين المحارم للذهبي (١٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١٣]، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/١٠٦ ـ ١٠٨).

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي (٢/٤٥٦).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧].

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/٢٣٠)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١١٤)، والقول السديد

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن السُّنَّة حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، قال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله**»[(٤)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»[(٥)].

لابن سعدي ـ ضمن المجموعة الكاملة (٣/٣٧) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ]، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/١٠٣ ـ ١٠٧).

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/٧١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٣١) [مكتبة الباز، ط٣]، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٩) [دار طيبة، ط٢]: «في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفًا».

وأخرجه موقوفًا: الطبراني في الكبير (١٢/٢٥٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١١٦) [مكتبة القدسي].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ١٩٧٠١)، وابن جرير في تفسيره (٨/٢٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الكبير (٩/١٥٦) =

وعن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»**(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم رحمه الله وهو يعدد الكبائر: «الكبائر... القنوط من رحمة الله، واليأْس من روح الله، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن»(٢).

وقال ابن قاسم رحمه الله: «القنوط: استبعاد الفرج، واليأس منه، والفرق بينهما لطيف، وسوء ظن بالله تعالى، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، منافيان لكمال التوحيد، ذكرهما المصنف تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا، يخاف ذنبه، ويعمل بطاعة الله ويرجو رحمة ربه»(٣).

= [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٩) [دار طيبة، ط٢]، والهيتمي في مجمع الزوائد (١/١٠٤) [مكتبة القدسي].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) مدارج السالكين (١/١٣٣).

(٣) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٥٦، ٢٥٧) [ط١٤، ١٤٢٤هـ].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فالقنوط من رحمة الله لا يجوز؛ لأنه سوء ظن بالله عز وجل، وذلك من وجهين: **الأول**: أنه طعن في قدرته سبحانه؛ لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئًا على قدرة الله. **الثاني**: أنه طعن في رحمته سبحانه؛ لأنه من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه سبحانه، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالًّا»(٤).

المسائل المتعلقة:

- أسباب القنوط:

للقنوط من رحمة الله واليأس من رَوحه سببان:

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصرّ عليها ويصمم على الإقامة على المعصية ويقطع طمعه من رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع من الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفًا وخُلُقًا لازمًا، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة،

(٤) القول المفيد (٢/١٠٣، ١٠٤).

ويظن بجهله أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه، ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه[(١)].

الفروق:

الفرق بين اليأس والقنوط:

اليأس والقنوط في أصل المعنى هما بمعنى واحد، لكن قد يفترقان:

- إما أن يقال: إن اليأس والقنوط إذا اجتمعا افترقا، فيكون القنوط بمعنى استبعاد رحمة الله تعالى، واستبعاد حصول المطلوب، وأما اليأس: فهو استبعاد حصول المكروه، وأما إذا افترقا اجتمعا؛ أي: أنهما بمعنى واحد: وهو قطع الرجاء.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المراد بالقنوط: أن يستبعد رحمة الله، ويستبعد حصول المطلوب، والمراد باليأس هنا أن يستبعد الإنسان زوال المكروه، وإنما قلنا ذلك لئلا يحصل تكرار في كلام ابن مسعود»[(٢)].

- أو أن بينهما فرقًا: فيكون القنوط أبلغ وأشد من اليأس[(٣)]، على قول البعض، أو أن اليأس أشد من القنوط على قول البعض؛ لأن القنوط حكم على أهله بالضلال، وأما اليأس فقد حكم لأهله بالكفر.

قال سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلى هذا يكون الفرق بينه ـ أي: القنوط ـ وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء فيكون القنوط من اليأس؛ وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال»[(٤)].

- أو يقال: إن القنوط أعم من اليأس؛ لأن الرحمة المضافة إلى القنوط أعم من الرَّوح؛ فالرحمة تشمل جلب النعم، ودفع النقم، ورَوح الله عَزَّ وَجَلَّ يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب، فهو بمعنى التنفيس والتفريج، فيكون إذًا هذا من باب عطف الخاص على العام[(٥)].

الفرق بين اليأس والاستيئاس:

الاستيئاس مقبول ومشروع،

---

(١) انظر: القول السديد لابن سعدي ـ ضمن المجموعة الكاملة (٣/ ٣٧).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٠٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١١٣) [دار إحياء التراث العربي]، ولسان العرب (١١/ ٣١٩).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٨٦).

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٨٦، ٣٨٧) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

فالرسل عليهم السلام قد يصلوا إليه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، ولكن اليأس محرم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف]، فالاستيئاس هو ألا يجد العبد طريقًا إلى حل المشكلة ولكن يعرف ويوقن أن لله طرائق وحلولًا أكثر من أنفاس المخلوقات، فالعبد هنا يائس من آرائه وفكره، موقن في ربه ووسع فضله وعلمه. أما اليأس فهو قاطع للرجاء والأمل من الله فيما يرومه ويقصده[(١)].

الآثار:

١ ـ أن فيه تكذيبًا لله ولرسوله.

اليأْس من رحمة الله، وتفريجه من صفة الكافرين، إذ فيه إمَّا التكذيب بالربوبية، وإمَّا الجهل بصفات الله تعالى[(٢)].

٢ ـ الفتور والكسل عن فعل الطاعات والغفلة عن ذكر الله، فالقانط آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها[(٣)].

٣ ـ اليأْس من رَوح الله والقنوط من رحمته؛ يؤدي إلى ترك العمل، والاستمرار في الذنوب والمعاصي.

قال أبو قلابة: الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف][(٤)].

٤ ـ سبب لفساد القلب: فالقنوط من رحمة الله، واليأْس من روح الله، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنَّة»، لسهل العتيبي.

٢ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لابن القيم.

٥ ـ «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، لابن حجر الهيتمي.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨١ ـ ١٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٧٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٢٢).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٠).

(٥) مدارج السالكين (١/ ١٣٣).

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ ـ «القول السديد في مقاصد التوحيد»، للسعدي.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «الكبائر وتبيين المحارم»، للذهبي.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

يحيى عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يحيى ابن نبي الله زكريا عليه السلام.

معنى اسمه لغة:

يحيى: اسم عربي، سمي به؛ أخذًا من الفعل المضارع (يحيى) ومعناه يعيش، وهو نقيض الموت، كقول الله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى]، قال الأزهري: «قال الليث: يقال: حيي يحيا فهو حي»[(١)]، وقال ابن دريد: «والحي: ضد الميت؛ حيي يحيا حياة طيبة»[(٢)]، وقال النحاس في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]: «(بِيَحْيَى) لم ينصرف؛ لأنه فعل مستقبل سمي به»[(٣)]. وذكر غير واحد أن هذا هو المشهور عن المفسرين، قال ابن عادل الحنبلي: «و(يَحْيَى) فيه قولان: أحدهما ـ وهو المشهور عند المفسِّرين ـ: أنه منقول من الفعل المضارع، وقد سَمَّوا بالأفعال كثيرًا، نحو: يعيش، ويعمر، ويموت. قال قتادة: «سُمِّي بيحيى؛ لأن الله أحياه بالإيمان»، وقال الزَّجَّاج: «حيي بالعلم»، وعلى هذا فهو ممنوع من الصرف للعَلَميَّة ووزن الفعل، نحو يزيد ويشكر وتغلب»[(٤)].

ورجح الزمخشري كونه اسمًا أعجميًّا، فقال: «ويحيى إن كان أعجميًّا ـ وهو الظاهر ـ فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربيًّا فللتعريف»[(٥)]. وتبعه في ذلك أبو حيان[(٦)] وغيره. قال السيوطي: «ويحيى اسم عجمي وقيل: عربي»[(٧)]. ورده الدكتور ف. عبد الرحيم بقوله: «يحيى بن زكريا عليه السلام، هذا الاسم العربي، المقابل

(١) تهذيب اللغة (٥/ ١٨٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م]. وانظر: القاموس المحيط (١٢٧٧) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ].

(٢) جمهرة اللغة (١/ ٢٣٢) [دار العلم للملايين، ط١].

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٤) [عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ].

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥/ ١٩٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٩) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ].

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ١٠٨) [دار الفكر].

(٧) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٧٧).

ليوحنا بالسريانية، وليس معرَّبًا، وإن رجح الزمخشري كونه معرَّبًا»[١].

وهذا هو الراجح؛ لأمور:

الأمر الأول: أن هذا الاسم لم يكن معروفًا لدى العجم أصلًا، وأن أول من سمي بيحيى هو نبي الله يحيى، سماه الله به، ولم يكل تسميته إلى أبويه، وأخبر سبحانه أنه لم يتسمَّ أحد قبل يحيى بيحيى، فقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾ [مريم]. روى الإمام عبد الرزاق بسند صحيح[٢] عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾: «لم يسمَّ أحد قبله يحيى»[٣].

الثاني: أن الاسم الأعجمي لا اشتقاق له في العربية، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن (يحيى) مشتق من الحياة، وهذا يدل على أنه عربي. فقد روى الطبري بسند حسن[٤] عن قتادة في قوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ٧] أنه قال: «عبد أحياه الله للإيمان»[٥]. وقال ابن كثير: «قال قتادة وغيره: إنما سمي يحيى؛ لأن الله تعالى أحياه بالإيمان»[٦].

ونقل السيوطي عن الكرماني تعليله وجه تسمية يحيى بيحيى على هذا القول فقال: «إنما سمّي به؛ لأنه أحياه الله بالإيمان، وقيل: لأنه حي به رحم أمه، وقيل: لأنه استشهد والشهداء أحياء»[٧].

وقال السعدي: «وسماه الله له (يحيى)، وكان اسمًا موافقًا لمسمَّاه؛ يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين»[٨].

الثالث: أنه لا دليل على الجزم بأنه أعجمي إلا إن قيل: إن أباه أعجمي، والأعجمي يسمي ابنه بالاسم الأعجمي، وهذا يرده الواقع المشاهد، فكم من الأعاجم يسمون أبناءهم بمحمد وأحمد وعلي وصالح، إلى غير ذلك.

الرابع: أن الكتب المتخصصة ببيان الأسماء الأعجمية[٩] أدرجت اسم (زكريا)، وبينت كونه أعجميًّا، ولم تدرج اسم (يحيى). وأما جزم الزمخشري ومن

---

(١) الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (١٩٢) [دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ].
(٢) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٣/ ٣٣٣).
(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٤) [مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ].
(٤) انظر: الصحيح المسبور (٣/ ٣٣٣).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٣٧٠) [دار هجر، ط١].
(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧).
(٧) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٧٧).
(٨) تفسير السعدي (٤٩٠).
(٩) كالمعرّب للجواليقي، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم.

تبعه بأن (يحيى) اسم أعجمي دون ذكر دليل ففيه نظر؛ ولذا رده الدكتور ف. عبد الرحيم كما تقدم، والله أعلم.

مولده ونشأته:

ولد يحيى بن زكريا عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر[(١)]، وبشر بمجيئه، ثم جاء وظهر عيسى عليه السلام في زمن يحيى بن زكريا عليه السلام، كما سيتضح من حديث الحارث الأشعري[(٢)].

نبوَّته:

ذكر الله نبوة يحيى عليه السلام في القرآن الكريم، فقد أورد اسمه ضمن أنبيائه ورسله الكرام عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام].

وذكره النبي ﷺ ضمن الأنبياء الذين لقيهم في السماوات، كما جاء في حديث الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ قال: «**ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ـ صلوات الله عليهما ـ فرحبا ودعوا لي بخير...**»[(٣)].

كتابه:

كان بنو إسرائيل مأمورين بالتوراة، فكانوا يتدارسونها بينهم، ولما بلغ يحيى عليه السلام سن التمييز أمره الله بتعلم الكتاب، وهو هذه التوراة، وذلك بحفظ ألفاظها، ومعرفة معانيها، والأخذ بها بقوة، وذلك بالعمل بأوامرها وترك نواهيها[(٤)]، فقال سبحانه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم].

وقد ذكر ابن كثير: «أن الله علمه الكتاب، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار. وقد كان سنّه إذ ذاك صغيرًا، فلهذا نوّه بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه، فقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: تعلم الكتاب بقوة؛ أي: بجد وحرص واجتهاد، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾؛ أي: الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث السن»[(٥)].

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (٢/٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) سيأتي تخريجه. وانظر أيضًا: رحمة للعالمين لمحمد سليمان (٥٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢)، واللفظ له.

(٤) انظر: تفسير السعدي (٤٩٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/٢١٦). وانظر: الشفا بتعريف =

وقال الشنقيطي: «والكتاب: التوراة؛ أي: خذ التوراة بقوة؛ أي: بجد واجتهاد، وذلك بتفهم المعنى أولًا حتى يفهمه على الوجه الصحيح، ثم يعمل به من جميع الجهات، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتأدب بآدابه، ويتعظ بمواعظه، إلى غير ذلك من جهات العمل به، وعامة المفسرين على أن المراد بالكتاب هنا: التوراة، وحكى غير واحد عليه الإجماع، وقيل: هو كتاب أنزل على يحيى، وقيل: هو اسم جنس يشمل الكتب المتقدمة، وقيل: هو صحف إبراهيم، والأظهر قول الجمهور: إنه التوراة، كما قدمنا»[(١)].

دعوته:

دعوة نبي الله يحيى عليه السلام كانت إلى خمس مسائل، في مقدمتها: الدعوة إلى تحقيق توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك، والأمر بالبعد عنه، وعدم صرف شيء من خصائص الله لغيره كائنًا من كان، وهذه الخصال الخمس قد جاء بيانها في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها**، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن، أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه

= حقوق المصطفى (١/٢٠٨) [دار الفيحاء، عمّان، ط٢].

(١) أضواء البيان (٣/٣٧٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

من الشيطان إلا بذكر الله. قال النبي ﷺ: **وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم**، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: **وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله»**(١).

قومه وموقفهم منه:

قوم يحيى بن زكريا عليه السلام هم بنو إسرائيل، كما تقدم في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها»**(٢).

وقد كذبوه وآذوه، بل اعتدوا عليه حتى مات عليه السلام مقتولًا مظلومًا، وقد أدخله بعض المفسرين تحت الفريق المقتول الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة]، قال الشوكاني: «ومن الفريق المكذَّبين عيسى ومحمد، ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا»(٣).

وذكر في قتله أسباب؛ من أشهرها: أن ملك دمشق في ذلك الوقت أراد الزواج من إحدى محارمه، قيل: إنها خالته، وقيل: عمته، وقيل غير ذلك، فسئل يحيى عن حكم هذا الزواج، فأجاب بأنها لا تحل له، وكانت تلك المرأة تريد الملك، فأرادت الانتقام من يحيى، فذهبت إلى الملك وطلبت منه أن يتزوجها ويجعل مهرها إحضار رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام فطلب منها غير هذا، فأصرت على هذا الطلب الوحيد، فقتله وجاءها برأسه(٤).

وفي تحديد مكان قتله قولان:

أحدهما: أنه في الصخرة التي ببيت المقدس، لما نقله الثوري عن شمر بن عطية من أنه قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيًّا، منهم يحيى بن زكريا عليه السلام.

والآخر: أنه في دمشق، لما نقله أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن سعيد بن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٨/ ٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٨٩٥)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ].

(٤) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ]، وفبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لعثمان الخميس (٤٢٨، ٤٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

المسيب من أن بختنصر قدم دمشق، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفًا فسكن، وصحح ابن كثير هذا الأخير إلى سعيد بن المسيب، وذكر أن هذا يقتضي أنه قتل بدمشق[(١)].

وفاته:

مات يحيى بن زكريا عليه السلام مقتولًا مظلومًا[(٢)]، وهو شاب[(٣)]، وقد تقدّم تفصيل ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى كون يحيى عليه السلام حصورًا:

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران]. قال البخاري: «وقال ابن جبير: ﴿وَحَصُورًا﴾ لا يأتي النساء»[(٤)].

وقال السمعاني: «والحصور: قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء وجماعة: هو الذي لا يأتي النساء»[(٥)].

ففي هذا بيان لمعنى الحصور، وهو الذي لا يأتي النساء، وعدم إتيانه للنساء لم يكن لآفة وإنما كان باختياره انقطاعًا للعبادة.

قال ابن جرير: «قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ يعني بذلك: ممتنعًا من جماع النساء»[(٦)].

وقال البغوي: «والحصور: أصله من الحصر، وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء والحسن: الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول، (فعول) بمعنى (فاعل)؛ يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات»[(٧)].

وقال ابن حجر: «وأصل الحصر: الحبس والمنع، يقال لمن لا يأتي النساء، أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعِنِّين، أو بمجاهدة نفسه، وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحيى عليه السلام»[(٨)].

وقال العيني: «وعند الشافعي التخلي

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٢/٣٦٤) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ] وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨).

(٢) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨).

(٣) انظر: فبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٤٢٨، ٤٢٩).

(٤) صحيح البخاري (٦/٣٣) [دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ]، وذكر ابن حجر أنه جاء موصولًا في تفسير الثوري. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٢٠٩).

(٥) تفسير السمعاني (١/٣١٦) [دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ].

(٦) تفسير الطبري (٥/٣٧٦) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٧) تفسير البغوي (١/٤٣٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٨) فتح الباري لابن حجر (٨/٢٠٩).

للعبادة أفضل؛ لقوله عز وجل في يحيى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وهو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن، فمدح الله به»[١].

وقال الشنقيطي: «والتحقيق في معنى قوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن؛ تبتلًا منه، وانقطاعًا لعبادة الله، وكان ذلك جائزًا في شرعه، وأما سُنَّة النبي ﷺ فهي التزويج وعدم التبتل»[٢].

وأما ما قيل في تفسير الحصور بمعنى المحصور عن النساء لِعِنَّة وعدم القدرة على إتيانهن، فهذا غير صحيح؛ لأن هذا نقص وعيب في الرجال، وليس هو من فعله حتى يمدح به.

قال الشنقيطي: «أما قول من قال: إن الحصور: (فعول) بمعنى (مفعول)، وأنه محصور عن النساء؛ لأنه عنين لا يقدر على إتيانهن فليس بصحيح؛ لأن العنة عيب ونقص في الرجال، وليست من فعله حتى يثنى عليه بها، فالصواب ـ إن شاء الله ـ هو ما ذكرنا، واختاره غير واحد من العلماء، وقول من قال: إن الحصور هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر... قول ليس بالصواب في معنى الآية، بل معناها هو ما ذكرنا»[٣].

ـ المسألة الثانية: فيما يتعلق بالقبر الذي في الجامع الأموي:

قيل: إن يحيى عليه السلام مدفون في الجامع الأموي، لما رواه أبو الحسن الربعي بإسناده عن زيد بن واقد قال: «وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة، فعرفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق ففتح الصندوق، فإذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد فرد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرًا من الأعمدة، فجعلوا عليه عمودًا مسفط الرأس»[٤].

وهذا الأثر غير صحيح؛ لأن في إسناده إبراهيم الغساني، وقد كذّبه غير واحد، قال الألباني: «ونحن نقطع ببطلان قولهم، وأن أحدًا من الصحابة والتابعين لم ير قبرًا ظاهرًا في مسجد بني أمية أو غيره، بل غاية ما جاء فيه بعض الروايات عن زيد بن أرقم بن واقد، أنهم في أثناء العمليات، وجدوا مغارة فيها

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].
(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٨٤).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٨٤).
(٤) فضائل الشام ودمشق للربعي (٣٣) [مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط١، ١٩٥٠م]، ورواه من طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٤١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

صندوق فيه سفط (وعاء كامل) وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليه السلام مكتوب عليه: هذا رأس يحيى عليه السلام، فأمر به الوليد فرد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرًا من الأعمدة، فجُعل عليه عمودٌ مسبك بسفط الرأس... وإسناده ضعيف جدًّا؛ فيه إبراهيم بن هشام الغساني، كذبه أبو حاتم وأبو زرعة[1]، وقال الذهبي: متروك[2].

ومع هذا فإننا نقطع أنه لم يكن في المسجد صورة قبر، حتى أواخر القرن الثاني؛ لما أخرجه الربعي وابن عساكر عن الوليد بن مسلم، أنه سئل: أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثَمَّ، وأشار بيده إلى العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي، فهذا يدل على أنه لم يكن هناك قبر في عهد الوليد بن مسلم، وقد توفي سنة أربع وتسعين ومِائة، وأما كون ذلك الرأس هو رأس يحيى عليه السلام فلا يمكن إثباته، ولذلك اختلف المؤرخون اختلافًا كثيرًا، وجمهورهم على أن رأس يحيى عليه السلام مدفون في مسجد حلب، ليس في مسجد دمشق»[3].

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١٤٣) [مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ].

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٧٣) [دار المعرفة، ط١].

(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (٦٣، ٤٦) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤].

وليس هناك دليل صحيح في تحديد مكان قبر يحيى عليه السلام ولا زكريا، ولا غيرهما من الأنبياء، إلا قبر نبينا محمد ﷺ. خلافًا لما يدّعى أن قبري يحيى وزكريا موجودان في هذا الجامع الأموي، وهي دعوى خالية عن الحجة والبرهان.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ج١)، للقاضي عياض.

٢ ـ «تاريخ دمشق» (ج٦٤)، لابن عساكر.

٣ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج٢)، لابن الجوزي.

٤ ـ «قصص الأنبياء» (ج٢)، لابن كثير.

٥ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٦ ـ «فتح القدير» (ج١)، للشوكاني.

٧ ـ «أضواء البيان» (ج٣)، للشنقيطي.

٨ ـ «رحمة للعالمين»، لمحمد سليمان.

٩ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ»، لعثمان الخميس.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

اليد (صفة لله تعالى)

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الياء والدال: أصلُ بناء اليَدِ للإنسانِ وغيره، ويستعار في المِنَّة فيقال له: عليه يدٌ. وتصغير اليد يُدَيَّة. وجَمَع ناسٌ يدَ الإنسان على الأيادِي ويَدَيْتُه: ضَربتُ يدَه»[(١)]. وقال الأزهري نقلًا عن ابن الأعرابي: «اليَدُ النِّعْمَة، واليَدُ القُوّة، واليد القُدرة، واليدُ المِلْك، واليَدُ السلطان، واليَدُ الطاعةُ، واليد المجاعة، واليد الأكل، وتُجمع يَدُ النعمة: أياديَ ويدِيًّا، وتُجْمَعُ اليَدُ التي في الجَسد: الأيدِي»[(٢)]. ومن هذه النقول يتضح لنا أن اليد تأتي لمعان عديدة، ولكن من خلال القرائن والسياق يتضح المعنى المراد في كل موطن من تلك المعاني العديدة.

التعريف شرعًا:

يد الله: هي يد حقيقية لائقة بالله موصوفة بالكف والأنامل والأصابع والقبض والبسط، الله أعلم بكيفيتها[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٦/١٥١) [دار الجيل، ط٢].
(٢) تهذيب اللغة (١٤/١٦٨، ١٦٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].
(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٨) [دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥) [دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ].

الحكم:

يجب إثبات صفة اليد لله سبحانه على الوجه اللائق بجلاله وعظمته؛ لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ثبوتها لله تعالى[(٤)].

الحقيقة:

حقيقة اليد هي اليد المعروفة لغة، وهي في حق الله يد حقيقية لائقة بالله موصوفة بالكف والأصابع والقبض والبسط والساعد ونحو ذلك مما جاء في الشرع من أوصافها، الله أعلم بكيفيتها[(٥)].

الأدلة:

دلَّت النصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع على ثبوت صفة اليد لله كما يليق بجلاله وعظمته، منها قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله ﷻ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السُّنَّة حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(٦)].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٨).
(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟** فقال النبي ﷺ: **فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**»[(١)].

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «بَاب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم بيديه. قال عز وجل لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال جل وعلا تكذيبًا لليهود حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكذبهم في مقالتهم وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وأعلمنا أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس]، وقال: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١]»[(٣)].

وقال أبو القاسم الأصبهاني بعد أن أورد جملة من الأحاديث الدالة على صفة اليدين: «وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبره متدبر، ولم يتعصب بان له صحة ذلك وأن الإيمان واجب، وأن البحث عن كيفية ذلك باطل، وهذا لأن اليد في كلام العرب تأتي بمعنى القوة يقال لفلان يد في هذا الأمر أي: قوة وهذا المعنى لا يجوز في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ لأنه لا يقال: لله قوتان. ومنها: اليد بمعنى النعمة والصنيعة، يقال: لفلان عند فلان يد؛ أي: نعمة وصنيعة، وأيديت عن فلان يدًا؛ أي: أسديت إليه نعمة، ويديت عليه؛ أي: أنعمت عليه، وهذا المعنى أيضًا لا يجوز في الآية؛ لأن تثنية اليد تبطله، ولا يقال لله نعمتان وقد تكون اليد بمعنى: الملك والتصرف. يقال: هذه الدار في يد فلان؛ أي: في تصرفه وملكه، وهذا أيضًا لا يجوز لتثنية اليد، وليس لله تعالى ملكان وتصرفان.

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١٨) [دار الرشد، ط١، ١٤٠٨هـ].

ومنها اليد التي هي معروفة، فإذا لم تحتمل الأوجه التي ذكرنا لم يبق إلا اليد المعلوم كونها، والمجهولة كيفيتها، ونحن نعلم يد المخلوق وكيفيتها لأنا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، ولا نعلم كيفية يد الله تعالى؛ لأنها لا تشبه يد المخلوق، وعلم كيفيتها علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى»[(١)].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن، والسُّنَّة، وكلام الصحابة، والتابعين؛ في أكثر من مائة موضع، ورودًا متنوعًا، متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والمصافحة»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مذهب أهل السُّنَّة إثبات يدين لله ﷻ بصيغة التثنية:

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة: إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة على ذلك، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السُّنَّة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمٰن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[(٣)].

فهذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ صريحة في إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وعلى ضوئها أجمع السلف الصالح.

ـ المسألة الثانية: الجمع بين ورود اليد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع:

وردت اليد بصيغة الإفراد كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وبصيغة التثنية كما في قوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وبصيغة الجمع كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

فيجمع بين هذه النصوص، فيقال: إن لله يدين لا أكثر؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ومجيء اليد بصيغة الإفراد لا يمنع ما ثبت لله من أن له يدين اثنتين؛ لأن المفرد المضاف يفيد العموم والشمول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

فـ (نعمت) مفرد مضاف يشمل نعمًا

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٨).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).

كثيرة، ولذا قال: ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾.

وأما مجيء اليد بالتثنية فيدل على أن الله يدين لا أكثر؛ لقوله تعالى في قصة خلْق آدم عليه السلام: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ووجه الاستدلال: أن الله لو خلقه بأكثر من يدين لذكر ذلك لأن المقام مقام تشريف، فكلما ازدادت الصفة التي بها خلق الشيء ازداد تعظيم الشيء.

ولما ثبت أيضًا في السُّنَّة من حديث أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار**، وقال: **أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده**، وقال: **عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع**»[(١)]. وأما مجيء اليد بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١] فلا يخالف أيضًا ثبوت اليدين لله؛ لما يلي:

أولًا: أن أقل الجمع اثنان لنصوص عديدة؛ منها: قوله تعالى ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] فالإخوة جمع والمراد الاثنان؛ لأن الأخ الواحد لا يحجب الأم عن الثلث، وإنما يحجبها اثنان فصاعدًا[(٢)]، ويحصل أيضًا فضل صلاة الجماعة باثنين، وعليه فالمراد بالأيدي اليدان.

ثانيًا: أن الاثنين قد يخاطبان بلفظ الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فالخطاب في أوله مع الاثنين ثم عبر عن القلبين بالقلوب؛ لأن لكل واحد من الاثنين قلبًا واحدًا لا أكثر لقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] والمرأة كذلك.

الثالث: أو يقال: إن المراد بالجمع في الآية: التعظيم، وعليه فلا تخالف بين ورود اليد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع[(٣)]، وسيأتي مزيد بيان لهذه الآية.

ـ المسألة الثالثة: من أوصاف اليد: الكف، اليمين، الساعد:

أولًا: الكف:

فقد جاءت النصوص الشرعية بوصف اليد المضافة إلى الله بـ(الكف)، قال ابن فارس: «الكاف والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قبض وانقباض، من ذلك الكَفُّ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١١، ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٢٨) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢/٣٣٨، ٣٣٩) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩٩ ـ ٣٠٢) [دار ابن الجوزي، الرياض، ط٥، ١٤١٩هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان الجامي (٣٠٤ ـ ٣٠٩) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ].

للإنسان، سمِّيت بذلك لأنَّها تَقبِض الشّيءَ»[(١)].

وأما تعريف صفة الكف في الشرع فهي: صفة ذاتية خبرية ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

ومما ورد في بيان ثبوتها لله ﷻ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمٰن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمٰن، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلُوَّه أو فصيله**»[(٢)].

ثانيًا: اليمين:

فقد جاءت النصوص بوصف يد الله باليمين، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

ومن السُّنَّة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمٰن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا**»[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٢٩) [دار الجيل، ط٢]. وانظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٤).

(٣) تقدم تخريجه.

الثالث: الساعد:

وجاء وصف اليد المضافة إلى الله بـ(الساعد)، فقد روى الإمام أحمد بإسناده عن أبي الأحوص عن أبيه عن النبي ﷺ، وفيه: «**ساعد الله أشد من ساعدك**»[(٤)].

وهو دال على ثبوت صفة الساعد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته[(٥)].

ـ المسألة الرابعة: هل لله تعالى شمال؟.

ورد ذكر الشمال في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[(٦)].

فإطلاق الشمال على إحدى يدي الرحمٰن هو من باب التسمية وكلاهما يمين من حيث الشرف والفضل، ولذا

(٤) أخرجه أحمد (٢٥/ ٢٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وابن حبان (المقدمة، رقم ٥٦١٥)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٦٥) وصححه، وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ١٦٦) [دار باوزير، جدة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٥) انظر: مقدمة محقق كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لسليمان الطوفي (١/ ١٢٩) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٨).

فهو لا يعارض حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمٰن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[1].

وقد جمع بذلك بعض أهل العلم، قال ابن باز في هذين الحديثين ونحوهما: «كلها أحاديث صحيحة عند علماء السُّنَّة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفًا، وليس بينها اختلاف بحمد الله. فالله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر وكلتاهما يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى[2]»[3].

- **المسألة الخامسة: المراد بقول الله تعالى**: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١].

هو أحد الأمور التالية:

الأول: أن المراد بالجمع هنا التعظيم وهو لا يعارض ما جاء من ثبوت اليدين لله[4].

الثاني: حمل الجمع على التثنية لما تقدم من النصوص التي جاء فيها لفظ الجمع مرادًا به التثنية.

الثالث: أن المراد بـ(أيدينا) الذات الموصوفة باليد، وهذا تعبير سائغ كما في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم]؛ أي: بما عملوا. وعليه فإن الأنعام لم يخلقها الله بيده، بخلاف آدم عليه السلام فهو مخلوق باليدين[5].

الفروق:

الفرق بين اليد والأيد:

تختلف اليد عن الأيد تمامًا؛ فاليد هي اليد المعروفة التي يبطش بها والأيد هي القوة[6]، ولذا يفرقون بينهما في المعاجم اللغوية فيجعلون هذه غير تلك[7]. فالأيد من آد يئيد أيدًا؛ إذا قوي واشتد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات] قال ابن كثير في تفسيرها: «(بأيد)؛ أي:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسَّنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/١٢٦).

(٤) وهذا الوجه رجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير الآية. انظر: أضواء البيان (٧/٢٨٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (١/٣٠١، ٣٠٢).

(٦) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١٩١).

(٧) انظر: مقاييس اللغة (١/١٦٣).

بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد»[(١)].

مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية والمعتزلة والرافضة ومتأخرو الأشاعرة وغيرهم إلى تأويل صفة اليدين بالذات، أو القدرة أو النعمة أو العناية والاهتمام ونحو ذلك[(٢)].

الرد عليهم:

تأويل اليد بالقدرة أو النعمة أو العناية والاهتمام ونحو ذلك من التأويلات كلها مردودة، لما يلي:

الأول: أن إطلاق لفظ (اليد) على القدرة أو النعمة خلاف الأصل.

الثاني: أن ذلك التأويل خلاف الظاهر أيضًا.

الثالث: أن تأويل اليد بالقدرة أو النعمة صرف للفظ عن الأصل والظاهر بغير دليل، وهو مردود.

الرابع: أن حمل اليد على القدرة أو النعمة مجازًا مردود؛ لأن المجاز لا يصح استعماله بلفظ التثنية، وصفة اليد قد جاءت في النصوص الشرعية مثناة وهذا لا يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.

الخامس: أن يد النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ اليد، فلا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال: فيها إصبع وإصبعان ولا كف، ولا يمين ولا شمال، ولا ساعد.

السادس: أن اقتران لفظ الطيّ والقبض والبسط، والإمساك باليد يجعلها يدًا حقيقية.

السابع: أن حمل اليد في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] على القدرة يسقط الفضيلة التي خص الله به آدم؛ لأن جميع المخلوقات خلقت بالقدرة، وما كان كذلك فهو باطل.

الثامن: أن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقة.

التاسع: أن الله لم ينكر على اليهود إثبات اليد له، وإنما أنكر عليهم وصفها بالنقص والعيب، وهذا يدل على ثبوت اليد له تعالى[(٣)].

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤). وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٠٣) والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٣٠٦).

(٢) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٦٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي (١١١) [طبع ونشر مدرسة الإلهيات، دار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، والإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني (١٥٥) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وأساس التقديس للرازي (١٦١ ـ ١٦٧) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة]. والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية لأحمد بن حجر البنعلي (١/ ١١٥، ١١٦) [دار الكتب القطرية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٣٧٢ ـ ٣٧٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، =

العاشر: أن تأويل اليد أو الكف ونحوهما بالعناية والاهتمام بالشأن فاسد لمصادمته النصوص الصريحة في معناها كقوله ﷺ: «**فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله على صدري فعلمت ما في السماوات والأرض**»[(١)]. فالتعبير عن الاهتمام والاعتناء بمثل هذا اللفظ ظاهر البطلان في اللغة حقيقة أو مجازًا[(٢)].

الحادي عشر: أن تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة ونحوهما في مثل قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ممتنع؛ لأنه إذا أضيف الفعل إلى الفاعل ثم عدي بالباء إلى يده أو يديه فهو مما باشرته يداه[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج/٢)، للأصبهاني.

٣ ـ «الرد على الجهمية»، لابن منده.

٤ ـ «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.

٥ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ ـ «العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية» (ج١)، لأحمد بن حجر البنعلي.

٧ ـ «كتاب التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.

٨ ـ «كتاب التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٩ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

= ١٤٢٦هـ]. ومختصر الصواعق المرسلة (٣٩٩)، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية لأحمد بن حجر البنعلي (١/ ١١٥، ١١٦).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٣٦/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، ونقل عن البخاري مثل ذلك. وصححه الإمام أحمد أيضًا، وقوّاه ابن خزيمة، كما في تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٦) [دار الفكر، ط١].
وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٣٧٢) وما بعدها.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢٧٠) [دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ].

يزيد بن معاوية

اسمه ونسبه:

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، الخليفة أبو عبد الرحمٰن وأبو خالد القرشي الأموي[(٤)]. سمّاه والده أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان باسم أخيه يزيد بن

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٥/ ٣٩٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥، ٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٢٣) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، =

أبي سفيان رضي الله عنهم[١].

مولده ووفاته:

ولد يزيد بن معاوية سنة خمس وعشرين للهجرة، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتوفي في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين للهجرة[٢].

قول أهل السُّنَّة فيه:

يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن يزيد بن معاوية رضي الله عنه من خلفاء المسلمين، الذين لهم حسنات وسيئات، ولكن مع ذلك لا يحبونه ولا يمدحونه، كما يفعل الغلاة فيه، ولا يسبونه ولا يكفرونه، كما يفعل الروافض، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول هو أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله[٣]، وهو المنصوص عن إمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل كما سيأتي قريبًا[٤]، وعليه فأهل السُّنَّة وسط في أمره، كما هو شأنهم في جميع أمور الدين.

أما كونهم لا يحبونه ولا يمدحونه؛ فلِما وقع في خلافته من حوادث فظيعة، وأمور شنيعة، من أنكرها قتل الحسين ووقعة الحرة[٥]، وما لحق بالصحابة في المدينة النبوية من المقتلة العظيمة والمصائب الكبيرة.

روى الخلال بإسناده عن مهنَّا أنه قال: «سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قال: هو فعل بالمدينة ما فعل، قلت: وما فعل؟ قال: قتل بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ وفعل، قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه الحديث ولا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثًا»[٦].

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام فقال: «وقد سئل أحمد بن حنبل، عن يزيد: أيكتب عنه الحديث؟ فقال: لا، ولا كرامة، أليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل؟ وقال له ابنه: إن قومًا يقولون: إنا نحب يزيد. فقال: هل يحب يزيد أحد فيه خير؟ فقال له: فلماذا لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحدًا؟»[٧].

وقال ابن تيمية: «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي تولى على المسلمين بعد أبيه معاوية بن أبي سفيان... وهو الذي

= وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٦٠، ٣٦١) [دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ].

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٢٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٦١)، وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر (٢/ ٣٧٧) [دار البشائر، ط١ ١٩٩٦م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٨٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).

(٦) السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٢٠) [دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ] وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٧) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٩).

قُتل الحسين في خلافته، وهو الذي جرى بينه وبين أهل الحرة ما جرى، وليس هو من الصحابة، ولا من الخلفاء الراشدين المهديين، بل هو خليفة من الخلفاء الذين تولوا بعد الخلفاء الراشدين، كأمثاله من خلفاء بني أمية وبني العباس، وهؤلاء الخلفاء لم يكن فيهم من هو كافر، بل كلهم كانوا مسلمين، ولكن لهم حسنات وسيئات، كما لأكثر المسلمين»[١].

وأما كونهم لا يسبونه ولا يلعنونه فلأمور؛ منها:

أ ـ لِما يعلمونه من إسلامه، وعدم خروجه من الملة، فقد روى الخلال بإسناده عن أبي طالب أنه قال: «سألت أبا عبد الله ـ يعني الإمام أحمد ـ من قال: لعن الله يزيد بن معاوية، قال: لا أتكلم في هذا، قلت: ما تقول؟ فإن الذي تكلم به رجل لا بأس به وأنا صائر إلى قولك، فقال أبو عبد الله: قال النبي: «**لعن المؤمن كقتله**»[٢]، وقال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم**»[٣] وقد صار يزيد فيهم»[٤].

ب ـ أنه كان مع أول جيش غزا القسطنطينية، فقد ثبت من حديث أم حرام عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»[٥].

قال ابن تيمية: «ويزيد هذا الذي ولي الملك هو أول من غزا القسطنطينية، غزاها في خلافة أبيه معاوية. وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له**»»[٦].

وقال ابن كثير في بيان موقف الناس من يزيد: «الناس في يزيد بن معاوية أقسام... وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبونه؛ لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقًا كما تقوله الرافضة، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة، والأمور المستنكرة البشيعة الشنيعة، فمن أنكرها قتل الحسين بن علي بكربلاء»[٧].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مقتل الحسين ودعوى حمل رأسه إلى يزيد وسبي أهل بيته:

يعتقد الروافض أن يزيد بن معاوية

---

(١) المصدر نفسه (٥/١٤١ ـ ١٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).
(٤) السُّنَّة للخلال (٣/٥٢١)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٢٤).
(٦) جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٤٧)، والحديث عن أم حرام بنت ملحان لا ابن عمر كما نبَّه عليه المحقق، ولفظه هو المذكور قبله.
(٧) البداية والنهاية (٩/٢٣٤).

سعى في قتل سبط رسول الله ﷺ؛ تشفيًا من رسول الله ﷺ وانتقامًا منه، وأخذًا بثأر أقربائه، كعتبة وأخي جده شيبة وخاله الوليد بن عتبة وغيرهم، ممن قتلهم أصحاب النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها، وقالوا: تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:

لما بدَت تلك الحمولُ وأشرفت.. تلك الرؤوسُ على رُبى جيرونِ
نعق الغرابُ فقلتُ نُحْ أو لا تَنُحْ فلقد قضيتُ من النبيِّ دُيوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزبعرى الذي أنشده يوم أحد[1].

قال محمد بن جرير الطبري الشيعي في شأن الحسين: «وقتل بكربلاء غربي الفرات، قتله عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن بأمر يزيد بن معاوية»[2].

ونسب الصدوق إلى سكينة أنها قالت: «والله ما رأيت أقسى قلبًا من يزيد... وأقبل يقول وينظر إلى الرأس:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسَل

ثم أمر برأس الحسين فنصب على باب مسجد دمشق. فروي عن فاطمة بنت علي أنها قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق لنا أول شيء وألطفنا، ثم إن رجلًا من أهل الشام أحمر قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. يعنيني، وكنت جارية وضيئة، فأرعبت وفرقت، وظننت أنه يفعل ذلك، فأخذت بثياب أختي، وهي أكبر مني وأعقل، فقالت: كذبت والله ولعنت، ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد (لعنه الله) فقال: بل كذبتِ والله، لو شئت لفعلته»[3].

۞ الرد عليهم:

كل ما ذكره الروافض فيه تلبيس وتدليس وكذب وبهتان، يتضح ذلك من خلال بيان أسباب خروج الحسين إلى العراق، وما ترتب على ذلك من الاعتداء عليه وقتله مظلومًا، على النحو التالي:

بدأ قوم من شيعة العراق يحرضون الحسين على الخروج إليهم من خلال رسائلهم المتتالية، وكتبهم المتعاقبة التي يشتكون فيها من تغيير الشريعة وفشو الظلم، ويطلبون منه أن يأتيهم؛ ليبايعوه وينصروه على إقامة الشرع والعدل، فوافق الحسين على هذا، وأخذ يتجهز

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٨١).
(٢) دلائل الجنة لمحمد بن جرير الشيعي (١٧٨) [مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ].
(٣) الأمالي للصدوق (٢٣٠، ٢٣١) [مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ].

للخروج، وحينئذٍ أشار عليه أهل العلم والفضل كابن عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم بعدم الخروج إليهم، وذكروا له: «أن هؤلاء يغرونه، وأنهم لا يوفون بقولهم، ولا يقدر على مطلوبه، وأن أباه كان أعظم حرمة منه وأتباعًا؛ ولم يتمكن من مراده، فظن الحسين أنه يبلغ مراده، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل، فآووه أولًا، ثم قتلوه ثانيًا، فلما بلغ الحسين ذلك طلب الرجوع فأدركته السرية الظالمة»[(١)] بقيادة عمر بن سعد الذي أرسله عبيد الله بن زياد أمير العراق كما هو ثابت بالنقل الصحيح، وكان عمر بن سعد قد امتنع عن مقاتلة الحسين، حتى أرغبه وأرهبه عبيد الله[(٢)]، فبدأ في تنفيذ الأمر، فطلب منهم الحسين «أن يذهب إلى يزيد، أو يرجع إلى المدينة، أو يذهب إلى الثغر»[(٣)]، لكن عبيد الله بن زياد منعه من ذلك، وطلب من سريته أن تأسر له الحسين، فبدأت هذه السرية في قتاله، و«لم تمكنه من طاعة الله ورسوله، لا من ذهابه إلى يزيد، ولا من رجوعه إلى بلده، ولا إلى الثغر»[(٤)]. فدافع رضي الله عنه هو وأهل بيته ومن كان معهم حتى قُتلوا جميعًا، ولم يبق منهم إلا علي بن الحسين والذرية، وحمل هؤلاء الظلمة رأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، فأخذ ينكت على ثناياه بالقضيب، كما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «أتي عبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن علي، فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئًا، فقال أنس رضي الله عنه: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوبًا بالوسمة»[(٥)].

ثم حمل علي بن الحسين وأهل بيته إلى يزيد، قال ابن تيمية: «الثابتُ أنه لما حُمِلَ علي بن الحسين وأهلُ بيته إلى يزيد وقع البكاء في بيت يزيد ـ لأجل القرابة التي كانت بينهم ـ لأجل المصيبة، وروي أن يزيد قال: لعن الله ابن مرجانة ـ يعني: ابن زياد ـ لو كان بينه وبين الحسين قرابة لما قتله، وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين.

وأنه خيّر علي بن الحسين بين مقامه عنده، وبين الرجوع إلى المدينة، فاختار الرجوع، فجهزه أحسن جهاز.

(١) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨) [مكتبة الفاروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ]، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٢) انظر: رأس الحسين لابن تيمية (١٩٩) [دار الريان، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨)، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٤) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨)، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٤٨).

ويزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولكن أمر بدفعه عن منازعته في الملك. ولكن لم يقتل قَتَلَةَ الحسين ولم ينتقم منهم، فهذا مما أنكر على يزيد»[(١)].

وكلام شيخ الإسلام هذا صريح في أن يزيدَ لم يأمر بقتل الحسين ولم يرضَ به، لكن؛ أساءه ذلك أم لا؟ فإن الرواية في لعنه عبيدَ الله بن زياد؛ لقتله الحسين، دليل على أن مقتل الحسين ساءه، ولكن في ثبوتها نظر؛ حيث أشار إليها ابن تيمية بصيغة التمريض، وهو نوع من التضعيف، وقد ذكر ابن كثير ـ في حديثه عن موقف يزيد من مقتل الحسين رضي الله عنه ـ أن ذلك «لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرض به ولم يسؤه»[(٢)].

وأما القول بحمل رأس الحسين إلى يزيد بالشام وتنكيته على ثناياه بالقضيب، وأن أبا برزة كان حاضرًا وأنكر عليه هذا فليس بصحيح على الإطلاق؛ لمجيئ هذا الخبر بإسناد تالف، إذ فيه انقطاع أو جهالة، ولأن أبا برزة لم يكن بالشام عند يزيد بل كان بالعراق[(٣)].

والذي اتفق عليه المؤلفون في مقتل الحسين، أن رأس الحسين رضي الله عنه لا يعرف مكانه[(٤)]، وذكر بعضهم أنه دفن في البقيع بالمدينة النبوية[(٥)]، وقيل: إنه في الشام على الأغلب[(٦)]، وبهذا يعلم بطلان المشاهد التي يدعى في كل منها أنها موضع رأس الحسين[(٧)].

وأما دعوى سبي ذرية الحسين فهي كذب محض؛ لما هو معلوم من أنه لم يُسب قط في الإسلام أحد من بني هاشم، لا علوي ولا غير علوي، في جميع عصور خلفاء المسلمين من الأمويين وغيرهم، حتى مكّن الروافض كابن العلقمي وغيره الكفار من أهل الكتاب والمشركين من الترك من سبي بعض الهاشميات لما قدموا بغداد، بل لم يقتل بنو مروان أحدًا من بني هاشم، إلا زيد بن علي قتل في خلافة هشام، وكان عبد الملك أرسل إلى الحجاج إياي ودماء بني هاشم، فلم يمس الحجاج أحدًا منهم لا علويًّا ولا عباسيًّا، بل لما تزوج الحجاج بفاطمة بنت عبد الله بن جعفر انتزعها منه؛ لكونه غير كفء لها[(٨)].

ـ المسألة الثانية: وقعة الحرة:

مما له تعلق وثيق بشأن يزيد هذه

(١) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٩، ٨٠)، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦١).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٦٦).

(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٥٨)، ورأس الحسين له (١٩٧).

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٦٦).

(٦) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٦/ ٣٦٦).

(٧) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٥٨).

(٨) انظر: المصدر نفسه (٦/ ٢٦٢).

الوقعة العظيمة؛ وسببها أن ناسًا من أهل المدينة حكوا عن يزيد بعض القبائح والمعاصي، كشرب الخمر وتأخير الصلاة عن وقتها، فعزم أكثر الناس على خلعه، فيقوم الرجل في المسجد فيخلع عمامته ويقول: خلعت يزيد كخلعي هذه العمامة، ويقوم الآخر فيخلع حذاءه ويقول: خلعت يزيد كخلعي هذا الحذاء، وولوا عبد الله بن مطيع على قريش، وعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر على الأنصار، ومعقل بن سنان الأشجعي على قبائل المهاجرين، واعتزل الناس كل من عبد الله بن عمر بن الخطاب وأهل بيته، وعلي بن الحسين زين العابدين، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل[1]. ولما وصل خبرهم إلى يزيد بن معاوية أرسل إليهم «سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة»[2].

قال ابن كثير: «وكذلك من الأمور المنكرة جدًّا وقعة الحرة، وما كان من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية»[3].

وتقدم ما ذكره مُهنَّى، حيث قال: «سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قال: هو فعل بالمدينة ما فعل، قلت: وما فعل؟ قال: قتل بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ»[4].

وقال ابن تيمية: «وأما ما فعله بأهل الحرة، فإنهم لما خلعوه وأخرجوا نوابه وعشيرته، أرسل إليهم مرة بعد مرة يطلب الطاعة، فامتنعوا، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره إذا ظهر عليهم أن يبيح المدينة ثلاثة أيام وهذا هو الذي عظم إنكار الناس له من فعل يزيد»[5].

والشاهد أن ما حدث في وقعة الحرة محسوب على يزيد وسبب لوم عليه، مع التنبيه على أن كثيرًا مما ذكر في يوم الحرة غير ثابت.

موقف المخالفين منه:

المخالفون لأهل السُّنَّة في شأن يزيد بن معاوية طوائف، وهم على طرفي نقيض، ويمكن بيان مواقفهم على النحو التالي:

الفريق الأول: من يحب يزيد ويتولاه:

المحبون له منهم من يظن أنه إمام عدل، ومنهم من يبالغ فيه، حتى يدعي أنه من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ وحمله على يديه وبرَّك عليه،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٤٥، و١١/ ٦١٤).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٥).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٤).
(٤) السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٢٠) [دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ]، وقال المحقق: «إسناده صحيح».
(٥) منهاج السُّنَّة النبوية (٤/ ٥٧٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

بل يعتقد فيه أنه أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل طغى بعضهم في الغلو فقال بنبوته، وهؤلاء هم غالية العدوية والأكراد ونحوهم[(١)]. وقد أشار ابن كثير إلى هذا الصنف فقال: «الناس في يزيد بن معاوية أقسام؛ فمنهم من يحبه ويتولاه، وهم طائفة من أهل الشام من النواصب»[(٢)].

الرد عليهم:

لا شك أن هذا الغلو في يزيد في منتهى البطلان ينبئ عن ضلال صاحبه لأمور؛ منها:

الأمر الأول: أن يزيد ليس من الصحابة فضلًا عن أن يكون من الخلفاء الراشدين المهديين باتفاق العلماء؛ إذ ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كما تقدم في ترجمته، فكيف يعد من الصحابة رضي الله عنهم!؟ وعليه فـ«من قال: إن يزيد هذا كان من الصحابة فهو كاذب مفتر، يُعرّف أنه لم يكن من الصحابة، فإن أصر على ذلك عوقب عقوبة تردعه... ومن جعله من الخلفاء الراشدين المهديين فهو أيضًا ضال مبتدع كاذب»[(٣)].

الأمر الثاني: أن ادّعاء نبوة يزيد أو غيره من الناس بعد النبي محمد ﷺ هذيان محض، لا يستحق أدنى حظ من النظر؛ لمناقضته صريح الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[(٤)].

ولذا قال ابن تيمية: «وأما من قال: إنه كان من الأنبياء فإنه كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[(٥)].

الفريق الثاني: من يصرح بتكفيره[(٦)]، ويلهج بسبه ولعنه، وهؤلاء هم الروافض. فقد حشى الصدوق أماليه بأمور غريبة منكرة حول يزيد؛ منها زعمه أن يزيد سبى ذرية الحسين، وساق في ذلك روايات طويلة، وفيها: «قالت سكينة: والله ما رأيت أقسى قلبًا من يزيد، ولا رأيت كافرًا ولا مشركًا شرًّا

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٨٢).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).
(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٧).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦).
(٥) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٧).
(٦) انظر: إقبال الأعمال لابن طاووس (٣/ ٨٩) [مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ].

منه، ولا أجفى منه»[١].

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا الموقف الرافضي بقوله: «افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق: طرفان ووسط. فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافرًا منافقًا»[٢].

ونسب الكليني إلى أبي عبد الله أنه قال: «ثلاثة هم شرار الخلق ابتلي بهم خيار الخلق... ويزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن علي وعاداه حتى قتله»[٣].

الرد عليهم:

لا شك أن قتل الحسين رضي الله عنه وقع في خلافة يزيد بن معاوية، وهو من الجرائم العظيمة والمصائب الكبيرة، ولكن مع ذلك فإن ما نسجته الروافض حول قتل الحسين من الأكاذيب، ثم الحكم من خلالها على يزيد بالكفر والزندقة والنفاق مردود، وبيان هذا على النحو التالي:

الأول: أن التكفير عند الروافض أمر لا خطام له ولا زمام؛ فقد كفروا خيار الأمة كأبي بكر وعمر وجميع الصحابة إلا القليل النادر منهم، وعليه فتكفير يزيد أسهل عليهم بكثير.

الثاني: أن يزيد بن معاوية لم يقتل الحسين، بل «لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرض به ولم يسؤه»[٤]، كما تقدم بيانه.

الثالث: زعمهم أن يزيد قتل الحسين تشفيًا وأخذًا بثأر من قُتل من أقاربه في بدر والجاهلية كما تفيده الأبيات السابقة التي نسبت إليه وأنه تمثل بها فهو غير صحيح عنه، بل هو مما افتري عليه للنيل منه؛ ولذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال: «إنه قتل الحسين تشفيًا وأخذًا بثأر أقاربه من الكفار، فهو أيضًا كاذب مفتر»[٥].

وقال ابن كثير: «وأما الروافض فيشغبون عليه، ويشنعون ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه، ويتهمه كثير منهم أو أكثرهم بالزندقة، ولم يكن كذلك»[٦].

وأما ما ذكروه من أن يزيد طلب من الناس أن يبايعوه بأنهم عبيد له فهذا كذب مكشوف لا يستحق أدنى حظ من النظر؛ فهناك عدد من الناس لم يخلعوا إمامة يزيد كابن عمر وأهل بيته، ولم يصبهم يزيد بشيء.

المصادر والمراجع:

١ ـ «السُّنَّة» (ج٣)، للخلال.

(١) الأمالي للصدوق (٢٢٨) [مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٨١).

(٣) الكافي للكليني (٨/ ٢٣٤) [تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤].

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).

(٥) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٨).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٣٤).

٢ ـ «جامع المسائل» (ج٥)، لابن تيمية.

٣ ـ «المسائل والأجوبة» لابن تيمية.

٤ ـ «رأس الحسين»، لابن تيمية.

٥ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٤)، لابن تيمية.

٦ ـ «البداية والنهاية» (ج١٠)، لابن كثير.

٧ ـ «تهذيب التهذيب» (ج١١)، لابن حجر.

٨ ـ «كتاب الأربعين»، لمحمد طاهر الشيرازي.

٩ ـ «إقبال الأعمال» (ج٣)، لابن طاووس.

اليسع عليه السلام

اسمه ونسبه:

اليسع بن عدي بن شويلخ بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب. وقيل: هو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ويقال: هو ابن عمِّ إلياس عليهما السلام[1].

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/ ٤٦٤) [دار المعارف، مصر، ط٢]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١/ ٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، والبداية والنهاية (٢/ ٢٨٥) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

معنى اسمه لغة:

اليسع اسم اختلف فيه؛ أهو أعجمي أم عربي؟ والحق أنه اسم أعجمي، إلا أنه يجر بالكسرة، ولا ينوّن[2].

نبوَّته:

ذكر الله سبحانه وتعالى نبيه اليسع في القرآن العظيم في موضعين، فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾ [ص].

المسائل المتعلقة:

الأخبار في اليسع عليه السلام التي لم تثبت: فقد ذكر في قصته عليه السلام أخبار تروى، لكن ليس عليها دليل صحيح يعتمد عليه، ومن ذلك:

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ١٧٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

أ - ما قيل في نسبه:

فقيل: إنه اليسع بن أخْطُوب بن العجوز.

وقيل: اليسع هو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل[(١)].

ب - ما روي من اجتماع اليسع بالخضر عليه السلام كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهما يحجان ويعتمران كل عام، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل، وأنهما لا يزالان أحياء.

وكل ذلك إما موضوع مكذوب، وإما ضعيف جدًّا لا تقوم به حجة؛ كما قال ابن الجوزي[(٢)]، وابن حجر[(٣)].

فتبيَّن إذن أن هذه الأخبار والأقوال «كلها لا تستند إلى دليل صحيح، وفيما ذكره الله عز وجل عنه في محكم كتابه كفاية، والعلم عند الله عز وجل»[(٤)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٤)، وقصص الأنبياء لابن كثير (٣٢٧) [مكتبة نزار الباز، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٩٩، ٢٠٠، و٣/ ٣٠٠) [المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ].

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١١٠، و٢/ ٢٩٣) [دار الجيل، ط١]، والزهر النضر في حال الخضر (٧٥) [مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) قصص الأنبياء القصص الحق (٢١٦) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٢٢هـ].

المصادر والمراجع:

١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج١، ٢)، لابن حجر.

٢ - «تفسير البحر المحيط» (ج٤)، لأبي حيان.

٣ - «تفسير السعدي».

٤ - «تفسير الطبري» (ج٩، ٢٠).

٥ - «تفسير ابن كثير» (ج٢).

٦ - «الزهر النضر في أخبار الخضر»، لابن حجر.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ - «تفسير القرطبي» (ج١٨).

٩ - «قصص الأنبياء»، لابن كثير.

١٠ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

١١ - «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

١٢ - «الموضوعات» (ج١، ٣)، لابن الجوزي.

يعقوب عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام[(٥)]، كما قال تعالى في

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٩٣) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٣٠) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٤٧) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

بشارة سارة زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود]، فدلت الآية على نسبه المذكور. وجاء هذا في حق يوسف بن يعقوب عليه السلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** عليهم السلام»[1].

وجاءت تسمية يعقوب بإسرائيل في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة]. قال ابن جرير الطبري: «وكان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه؛ وإيل: هو الله، وإسرا: هو العبد، كما قيل: جبريل بمعنى عبد الله»[2]. ونص ابن الجوزي على أنه اسم ثانٍ أعجمي ليعقوب، معناه عبد الله[3]، خلافًا لمن اعتبره لقبًا له[4].

وقال ابن كثير: «يقول تعالى آمرًا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام»[5].

معنى اسمه لغة:

سمي يعقوب عليه السلام بهذا الاسم؛ لخروجه وهو آخذ بعقب أخيه[6].

وأما اسمه الآخر وهو: إسرائيل، فمعناه: عبد الله كما ذكر ابن جرير الطبري وغيره[7].

مولده ونشأته:

ولد يعقوب في حياة كل من جده إبراهيم وجدته سارة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود]، وهذا يقتضي وقوعه في حال حياتهما؛ لتقر أعينهما بذلك، وهو الغرض من البشارة. قال ابن كثير: «فقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود] دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده يولد ولده يعقوب؛ أي: يولد في حياتهما؛ لتقر أعينهما به، كما قرت

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٠).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٩٣).
(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٥٩) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٣٠).
(٤) انظر: الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (١٩٥) [دار القلم، ط١].
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٣٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٤٤٧) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].
(٦) انظر: البداية والنهاية (١/ ٤٤٧)، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء (١٩٥).
(٧) تفسير الطبري (١/ ٥٩٣)، وزاد المسير (١/ ٥٩).

بوالده. ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة، ولما عين بالذكر دل على أنهم يتمتعان به ويسران بمولده، كما سُرّا بمولد أبيه من قبله»[(١)].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن يعقوب عليه السلام نبِّئ أيضًا في زمان إبراهيم عليه السلام[(٢)].

نبوَّته:

أخبر الله بأن يعقوب عليه السلام هو من الذين اصطفاهم الله لرسالته، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص]. وذكره سبحانه ضمن أنبيائه الموحى إليهم فقال: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣].

دعوته:

كانت دعوة يعقوب عليه السلام إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك والبعد عنه، حتى إنه في آخر لحظات حياته وجه إلى أبنائه سؤالًا؛ ليعلم مدى تمسكهم بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، فقال كما حكاه الله عنه في محكم تنزيله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة]. قال ابن كثير: «يقول تعالى محتجًّا على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل ـ وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ـ بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له»[(٣)].

وفاته:

جاء يعقوب وأهل بيته من البدو إلى مصر عند ابنه نبي الله يوسف وعمره مائة وثلاثون عامًا، ثم مات بعد أن عاش معه سبع عشرة سنة، ودفن بالمغارة بالشام بجوار قبر أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليه السلام؛ تنفيذًا لوصيته بذلك[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: بناؤه بيت المقدس:

ذكر المؤرخون أن نبي الله يعقوب بن إسحاق عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٧٤).
(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ٣٠٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٧).
(٤) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٢٢٦) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

بعد بناء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بيت الله الحرام، وبه يقول أهل الكتاب أيضًا، ورجحه ابن كثير بقوله: «وهذا متجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث»[(١)].

وكانت المدة بين بناء المسجدين أربعين سنة، ويدل عليه ما جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: **المسجد الحرام**. قال: قلت: ثم أي؟ قال: **المسجد الأقصى**، قلت: كم كان بينهما؟ قال: **أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلّه؛ فإن الفضل فيه**»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: تحريم يعقوب بعض الطعام على نفسه وبيان أسبابه:

أحلَّ الله سبحانه لبني إسرائيل جميع الأطعمة، إلا ما حرمه إسرائيل ـ وهو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ منها على نفسه، وذلك قبل نزول التوراة، فقال سبحانه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد جاء في السُّنَّة بيان سبب هذا التحريم، وهو أنه مرض مرضًا شديدًا، فنذر لله أنه إن شفاه الله من هذا المرض ليحرمن على نفسه أحب الطعام والشراب إليه، فلما برئ نفذ ما نذر به، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي، فكان فيما سألوه: أيُّ الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ **مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمنّ أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟**» فقالوا: اللَّهُمَّ نعم»[(٣)].

ـ المسألة الثالثة: محنته في ابنه يوسف وصبره على ذلك:

نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته من أبيه، فقد شعروا بحب أبيه له أكثر منهم، فكادوا لإبعاده عن وجه أبيهم، فأخذوه من أبيهم بحجة أن يلعب معهم، وبعد مشاورات فيما يفعلون به أجمعوا

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٧٥) ويعني بالحديث حديث أبي ذر الآتي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٣) [دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ]، وصحح إسناده أحمد شاكر، وأورده إبراهيم العلي في الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء (١٠٢) [دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٦هـ].

على إلقائه في الجب ورموه فيها، كما قال الله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ [يوسف: ١٥]، ورجعوا إلى أبيهم يبكون زاعمين أن يوسف أكله الذئب، فلم يصدقهم على ذلك، بل شعر بكذبهم وبمكرهم فيه، ودعا ربه أن يرزقه الصبر الجميل، كما حكاه الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

وحفظ الله يوسف وجاء أناس واستخرجوه وباعوه بثمن بخس على عزيز مصر، وهناك حصلت ليوسف محن سجن بسببها سنين، ثم منّ الله عليه وخرج من السجن ومكنه الله في مصر، حيث أصبح موظفًا على خزائن الأرض، وفي بعض السنين اشتدت المجاعة وجاء إخوة يوسف ليشتروا منه فعرفهم، وجهزهم ولم يأخذ منهم المال وأعلمهم بأنه لن يبيع إليهم إذا جاؤوا للشراء منه مرة أخرى حتى يأتوه بأخ لهم من أبيهم، فأخبروا أباهم، وبعد محاولات أعطاهم إياه، ولما وصلوا إلى يوسف جهزهم، وأدخل صواع الملك في متاع أخيه خفية؛ ليكون ذلك وسيلة لإبقائه معه، ثم أعلن فقدان الصواع، وأخيرًا استخرجها من وعاء أخيه، واعتبره سارقًا وأنه سيبقى محبوسًا عنده، ولما بلغ الخبر يعقوب زاد حزنه وقال كما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف].

وبعد مناشدة إخوة يوسف ليوسف مناشدة طويلة واسترحامه واستعطافه وتكرار المجيء إليه، كشف لهم الغطاء عن حقيقته قائلًا: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف].

بعد ذلك طلب يوسف من أخيه هذا أن يرجع إلى أبيه الذي قد أرهقه الحزن، وكاد يذهب بصره من أجل ذلك، حاملًا معه قميصه ليلقيه على وجه أبيه؛ ليذهب ما به، كما قال الله تعالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾ [يوسف]، ولما جاء البشير وألقى القميص على وجه أبيه ارتد بصيرًا، ثم أتوا بأهلهم أجمعين، وطلب إخوة يوسف من أخيه وأبيهم أن يستغفرا الله لهم، وهكذا منّ الله على يعقوب وابنه عليهما السلام وجمعهما

بعد ردح من الزمان. هذا ملخص محنة يعقوب وصبره عليها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير الطبري» (ج١).

٢ ـ «المنتظم في التاريخ» (ج١)، لابن الجوزي.

٣ ـ «زاد المسير في التفسير» (ج١)، لابن الجوزي.

٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١)، للقرطبي.

٥ ـ «تفسير ابن كثير» (ج١).

٦ ـ «البداية والنهاية» (ج١) لابن كثير.

٧ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٨ ـ «قصص الأنبياء ومناقب القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن»، لأحمد حاج محمد عثمان.

٩ ـ «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور ف عبد الرحيم.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام»، لإبراهيم العلي.

اليقين

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «الياء والقاف والنون اليَقن، واليقين: زوال الشك؛ يقال: يَقِنت، واستيقنت، وأيقنت»[(١)].

اليقين: هو العلم، وإزاحة الشّكّ، وتحقيق الأمر، يقال من ذلك: أيقن يوقن إيقانًا فهو موقن، ويقن ييقن يقنًا فهو يقن، واستيقنَه: علمه وتحققه، واليقين: نقيض الشّكّ[(٢)].

التعريف شرعًا:

اليقين: هو العلم التام، الواصل إلى القلب، الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل والداعي إليه[(٣)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «اليقين: استقرار الإيمان في القلب علمًا وعملًا»[(٤)].

الحكم:

اليقين بالله فرض لازم على كل مؤمن في كل ما يشترط له، كمسائل التوحيد، والإيمان باليوم والآخر، ونحوه، لا يتحقق الإيمان إلا به، وهو رأس العبادات القلبية، وهو قلب الإيمان ولبّه، وهو أعلى درجات الإيمان[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٥٧) [دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٢٤٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٣/ ٤٥٧)، وترتيب القاموس المحيط (٤/ ٦٨٠) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) تفسير السعدي (٣٠، ٧٠٤) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٦٠) [دار عالم الفوائد، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٥) الفوائد (١/ ٨٦).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اليقين: الإيمان كله»[(١)].

الحقيقة:

حقيقة اليقين: هو الإيمان بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته، وبأمره ونهيه، وباليوم والآخر، واستقرار ذلك في القلب، والعمل بموجب ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: «اليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، وتوحيده. وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر»[(٢)].

المنزلة:

اليقين من الإيمان بمنزلة الرّوح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعمل القوم إنّما كان عليه، وإشاراتهم كلّها إليه، وإذا تزوّج الصّبر باليقين؛ ولد بينهما حصول الإمامة في الدّين. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، وخصّ سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات]، وخصّ أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ﴿...وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة]. فاليقين روح أعمال القلوب الّتي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصّدّيقيّة، وقطب هذا الشّيء الّذي عليه مداره[(٣)]، واليقين هو أعلى درجات الإيمان[(٤)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

ومن السُّنَّة ما رواه أبو بكر رضي الله عنه، قال

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الإيمان، ١/١٠) [دار طوق النجاة، ط١]، ووصله الحافظ في التغليق (٢/٢١، ٢٢) [المكتب الإسلامي ودار عمار، ط١] من طرق عدة، وصحح إسناده.

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٧٩) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/٤٥٤، ٤٥٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٦هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/٧٨) [دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٧٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ].

(٤) القول المفيد (٢/٧٨).

النبي ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، واليقين في الآخرة والأولى**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي، فلمّا سكت؛ قال رسول الله ﷺ: «**من قال مثل هذا يقينًا دخل الجنّة**»[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله تبارك وتعالى بقسطه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اليقين: يتضمن اليقين في القيام بأمر الله، وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم ـ يعني: الناس ـ بسخط الله لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك: إما ميل إلى ما في أيديهم من الدنيا: فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم، وإما لضعف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فاليقين: روح أعمال القلوب، التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضًا به، وشكرًا له، وتوكلًا عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات، والحامل لها»[(٥)].

وقال السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾ [النمل]: «أي: بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو العلم التام الواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل، ويقينهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب، وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير»[(٦)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «واليقين أعلى درجات الإيمان، وقد يراد به العلم، كما تقول: تيقنت هذا الشيء؛ أي: علمته يقينًا لا يعتريه شك»[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥٨) وحسّنه، وأحمد (١/ ١٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٣٨) وصححه.

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الأذان، رقم ٦٧٤)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٧٣٥) وصححه، وحسنه الألباني في تحقيق المشكاة (رقم ٦٧٦) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م].

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٠٣) [دار الكتب العلمية]، وابن أبي الدنيا في الرضا عن الله (١١١) [الدار السلفية، بومباي، ط١، ١٤١٠هـ] واللفظ له.

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٥١).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥).

(٦) تفسير السعدي (٧٠٤).

(٧) القول المفيد (٢/ ٧٨).

المراتب:

مراتب اليقين ثلاث، منصوص عليها في القرآن الكريم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين: ما علمه بالسماع، والخبر، والقياس؛ مثل من علم بالإيمان، أو أخبره به من يصدقه، أو وجد من آثار أحوال أهل الإيمان ما يدله عليه.

وعين اليقين: هو ما شاهده وعاينه بالبصر؛ مثل من يعاين أحوال أهل الإيمان واليقين والصدق، ما يعرف به مواجيدهم، وأذواقهم، وإن كان هذا في الحقيقة لم يشاهد ما ذاقوه ووجدوه، ولكن شاهد ما يدل عليه، لكن هو أبلغ من المخبر، والمستدل بآثارهم.

وحق اليقين: ما باشره، ووجده، وذاقه، وعرفه بالاعتبار، فيحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اشتراط اليقين في الاعتقاد:

ما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ما أوجبه الله من ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وكذلك يجب الإيمان بما أوجب الله الإيمان به، كاليقين بالوحدانية، والإيمان باليوم الآخر، وأمثالها، لكن مما لا يجب فيه اليقين أمران:

أحدهما: كتفاصيل الثواب والعقاب، ومعاني بعض الأسماء والصفات، ونحوها.

الثاني: ما وقع فيه النزاع من المسائل الدقيقة قد لا يقدر فيه على دليل يفيد اليقين، وليس على المؤمن أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قوى غالب ظنه، لعجزه عن تمام اليقين، بل ذلك هو الذي يقدر عليه، لا سيما إذا كان مطابقًا للحق[2].

فلا يشترط إذًا اليقين في جميع مسائل الاعتقاد؛ لأن من مسائل العقيدة ما اختلف فيه العلماء، وما كان مختلفًا فيه بين أهل العلم فليس يقينًا؛ لأن اليقين لا يمكن نفيه أبدًا، فمثلًا اختلف العلماء رحمهم الله في عذاب القبر: هل هو واقع على البدن، أو على الروح؟ واختلف العلماء رحمهم الله أيضًا في

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط٢]، ومدارج السالكين (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/ ٤٥٤، ٤٥٥).

الذي يوزن؛ أهي الأعمال، أم صحائف الأعمال، أم صاحب العمل؟ فالحاصل: أن مسائل العقيدة ليست كلها مما لا بدَّ فيه من اليقين؛ لأن اليقين أو الظن حسب تجاذب الأدلة، وتجاذب الأدلة حسب فهم الإنسان وعلمه[(١)].

ـ المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

معنى الآية: ليزداد يقيني، أو ليزداد إيماني، روى ذلك ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ عن جماعة من أئمة السلف: منهم سعيد بن جبير، وقتادة بن دعامة، والضحاك بن مخلد، والربيع بن أنس، وإبراهيم النخعي، وغيرهم[(٢)].

قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ: «يريد لأزداد إيمانًا إلى إيماني، بذلك جاء التفسير»[(٣)].

وقد احتج بها أبو عبد الله البخاري في صحيحه على زيادة الإيمان ونقصانه[(٤)].

قال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ الآية...، فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنًا، فإذا كان محتاجًا إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره»[(٥)].

ـ المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر].

معنى اليقين: ما يوقن به من الموت، وما بعده باتفاق أئمة السلف[(٦)]؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو موقنٌ به، ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[(٧)].

فذكر هذا القول الذي عليه أهل التأويل، ولم يذكر قولًا غيره.

ويدلُّ على ذلك حديث أم العلاء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في

(١) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٣٠٧) [دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/٦٢٠) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/٨٣٣) [دار الراية، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) صحيح البخاري (٦٠).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٧٣) [جامعة الإمام محمد بن سعود].

(٦) انظر: الرد على الشاذلي في حزبيه لابن تيمية (٥١) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٧) تفسر الطبري (١٤/١٥٤).

أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغُسِّل وكُفِّن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ. فقلت: رحمةُ الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أن الله أكرمه**». فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ فمن يكرمه الله؟ فقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي**». قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا[(١)].

وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على المعنى المذكور؛ منهم ابن القيم حيث قال: «وهو الموت بإجماع أهل العلم كلهم»[(٢)].

وقد خالف القرامطة والباطنية ومن وافقهم من جهال المتصوفة في معنى اليقين، وفسَّروه بسقوط التكاليف والواجبات الشرعية، على من يعتقدونهم من الأولياء الواصلين.

ومن المعلوم أنَّ هذا خلاف دين الإسلام؛ وأنه قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد من الأولياء، ولا عن شيءٍ من واجباتها إلا لعذر شرعيٍّ، مثل سقوط الطهارة للعجز عن استعمالها لعدم أو خوفِ ضررٍ وسقوطها بالجنون وسقوط فعلها بالإغماء وفي وجوب القضاء نزاع مشهور، ونحو ذلك مما هو معروف في مواضعه[(٣)].

الثمرات:

يثمر المقامات العلية، كمحبة الله تعالى، والتوكل عليه، والشكر له، والرضا به، والخوف منه، والإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل بها.

ومن ثمرات اليقين: أنه يورث الطمأنينة والسكينة، وثباتًا في العقيدة، ورسوخًا في الإيمان، فينفي الشك، ويزيل الهم والغم[(٤)].

ومن ثمراته أنه هو والصبر ينال العبد المؤمن بهما الإمامة في الدين؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

مذهب المخالفين:

أهل الكلام من المعتزلة، والأشاعرة وغيرهم يقولون: إن مسائل العقيدة، أو المسائل الخبرية، وهي ما يسمونها بأصول الدين يجب فيها اليقين القطعي،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٣).

(٢) بدائع التفسير (٢/١٠٨) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ]. وانظر: الإجماع في التفسير لمحمد الخضيري (٣٣٤) [دار الوطن].

(٣) الرد على الشاذلي (٥٠) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) مدارج السالكين (٢/٣٧٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ].

ولا يجوز عندهم الاستدلال عليها إلا بالأدلة التي يزعمون أنها تفيد القطع كالعقل، وقد يوجبون القطع فيها على كل أحد[١].

وهذا الذي قالوه باطل مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة؛ بيانه من وجهين[٢]:

أحدهما: أن الأدلة والتي يزعمونها هي كثيرًا ما تكون من الأغلوطات، فضلًا عن أن تكون من الظنيات، فضلًا عن أن تكون من القطعيات.

الثاني: يجب اليقين فيما أمرنا فيه باليقين: كاليقين بالوحدانية، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، ونحو ذلك مما أمرنا فيه باليقين مما يمكن إثباته بأدلة يقينية، وأما ما لا يجب علينا فيه اليقين؛ كتفاصيل الثواب والعقاب، ومعاني بعض الأسماء والصفات، أو مما تنازع فيه العلماء من دقائق المسائل، فهذه إذا اعتقدها الإنسان اعتقادًا قوّى غالب ظنه، بحسب طاقته وقدرته فهو اعتقاد ينفع صاحبه، ويسقط به عنه الفرض، إذا لم يقدر على أكثر من ذلك.

(١) انظر: شرح الفقه الأكبر للماتريدي (١٥) [طبع على نفقة الشؤون الدينية، قطر]، وشرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي (١١). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣١٣)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/ ٤٥٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/ ٤٥٤، ٤٥٥).

المصادر والمراجع:

١ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٢ ـ «الرضا عن الله بقضائه»، لابن أبي الدنيا.

٣ ـ «الزهد الكبير»، لأبي بكر البيهقي.

٤ ـ «الزهد»، لابن أبي الدنيا.

٥ ـ «الصبر والثواب عليه»، لابن أبي الدنيا.

٦ ـ «الفوائد»، لابن القيم.

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

١٠ ـ «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لمجموعة من الباحثين.

١١ ـ «اليقين»، لمحمد العلي.

يوسف عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، كما ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في يوسف: «**الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن**

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»[(١)].

معنى اسمه لغة:

يوسف اسم أعجمي عبراني، معناه: يزيد[(٢)]. ونقل الجوهري في ضبطه ثلاث لغات، فقال: «قال الفراء: يوسُف ويوسَف ويوسِف ثلاث لغات، وحكى فيه الهمز أيضًا»[(٣)].

نبوته:

جاءت البشرى بنبوة يوسف في رؤيا صالحة رآها يوسف في حال صغره وأخبر بها أباه يعقوب، كما أخبر الله عنه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، ففسرها أبوه بالنبوة؛ ولذا أمره بكتمانها عن إخوته؛ حرصًا على سلامته، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

وذكر الله نبوة يوسف عليه السلام ذكرًا صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر].

وذكره عز وجل في سياق تضمّن ذكر عدد من أنبيائه ورسله عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].

دعوته:

كان يوسف عليه السلام يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة وإفراده بخصائصه، ونبذ الشرك وعبادة غير الله، والبراءة منها ومن أهلها، ويؤكد أنه في هذا تابع للملة الحنيفية السمحة، التي كان عليها آباؤه أئمة التوحيد: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ثم حقّر شأن المعبودات من دون الله، وبيَّن عدم استحقاقها للألوهية الحقة، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٠).

(٢) انظر: المعرَّب للجواليقي (٦٤٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (٢٠٢، ٢٠٣) [دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ].

(٣) الصحاح (٤/١٣٣١) [دار العلم للملايين، ط٤]، وانظر: القاموس المحيط (٧٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

قومه وموقفهم منه:

قومه هم أهل مصر القبط، بعثه الله إليهم رسولًا بعد موت ملكهم[(١)]، يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، وكان عزيزَ مصر فأطاعوه في الظاهر؛ طمعًا فيما عنده من الوزارة والجاه الدنيوي، وأما في قرارة أنفسهم فقد كانوا في شك من نبوته ودعوته الحقة، وكانوا ينتظرون موته، ولما مات قالوا: لن يبعث الله من بعده نبيًّا؛ لكفرهم به، قال الله تعالى مخاطبًا أهل مصر قوم موسى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولًا من قبل موسى، وهو يوسف عليه السلام، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولًا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ﴾؛ أي: يئستم فقلتم طامعين: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: كحالكم هذا»[(٢)].

وفاته:

توفي يوسف عليه السلام في مصر ودفن فيها، ثم أخرج منها على يد نبي الله موسى عليه السلام، لما رواه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري قال: «أتى النبي ﷺ أعرابيًّا فأكرمه، فقال له: ائتنا، فأتاه، فقال رسول الله ﷺ: **سل حاجتك**، قال: ناقة نركبها، وأعنزًا يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: **عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى**

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٣١٢) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٧/١٤٣) [دار طيبة، ط١، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٢/٨٩) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، وتفسير السعدي (٧٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٤٣). وانظر: تفسير السعدي (٧٣٧).

لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته، فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه: أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة ـ موضع مستنقع ماء ـ فقالت: أنضِبوا هذا الماء، فأنضَبوا، قالت: احتفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار»[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ما وهب الله يوسف عليه السلام من الجمال:

كان نبيُّ الله يوسف عليه السلام جميلًا جدًّا، يدل عليه ما حكاه الله عز وجل من قول النسوة لما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف].

ولا غرابة فيما حصل للنسوة؛ إذ وهب الله نبيه يوسف شطر الحسن كما في حديث المعراج الطويل وفيه: «**ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم. قيل: وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير**»[2].

وفي شطر الجمال الذي أوتيه يوسف عليه السلام عدة أقوال: منها: أنه على النصف من جمال أبينا آدم عليه السلام، قال ابن كثير رحمه الله: «قال السهيلي وغيره من الأئمة: معناه: أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام؛ لأن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه، ويوسف كان على النصف من حسن آدم»[3].

وقيل: إنه أعطي شطر الجمال مطلقًا، قال المناوي: «حظًّا عظيمًا من حُسن أهل الدنيا»[4]، وقيل: إنه أعطي الناس

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/٢٣٦) [دار المأمون للتراث، دمشق، ط١]، وعنه ابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٧٢٣)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٥٢٣) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢)، واللفظ له.

(٣) البداية والنهاية (١/٢٣٦) [ط إحياء التراث].

(٤) فيض القدير (٢/٢) [المكتبة التجارية الكبرى].

في زمانه شطر الجمال وهو أخذ الشطر الآخر، أو أن المعنى أنه أعطي بعض الجمال؛ حكى ذلك ملّا علي القاري عن بعض أهل العلم: فقال: «أن يكون المعنى: نصف جنس الحسن مطلقًا، أو نصف حسن جميع أهل زمانه. وقيل: بعضه؛ لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقًا»(١). وقد استبعد القاري القول الأخير.

وقيل: إنه أعطي شطر الحسن الخَلقي وأعطي نبينا محمد ﷺ الكمال في الحسن خَلقًا وخُلقًا، قال ابن هبيرة: «والذي أرى أن كل الحسن ما شمل الخُلق والخَلق في المعنى والصورة فلما كان يوسف عليه السلام قد ملك أحد قسمي الحسن وهو الصورة كان ذلك شطر الحسن، والذي أراه أنه جمع لمحمد ﷺ الحالان في الخُلق والخَلق، المعنى والصورة، فأعطي الحسن كله»(٢)، وقيل: إن يوسف عليه السلام أعطي شطر الحسن الذي أعطيه نبينا ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله: «قالت طائفة: المراد منه: أن يوسف أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا محمد ﷺ، فالنبي ﷺ بلغ الغاية في الحسن، ويوسف بلغ شطر تلك الغاية،

قالوا: ويحقق ذلك ما رواه الترمذي من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا»(٣)»(٤).

قال ابن القيم: «والظاهر أن معناه: أن يوسف عليه السلام اختص عن الناس بشطر الحسن، واشترك الناس كلهم في شطره، فانفرد عنهم بشطره وحده، هذا ظاهر اللفظ، فلماذا يعدل عنه؟ واللام في (الحسن) للجنس لا للحسن المعين والمعهود المختص بالنبي ﷺ، وما أدري ما الذي حملهم على العدول عن هذا إلى ما ذكروه. وحديث أنس لا ينافي هذا، بل يدل على أن النبي ﷺ أحسن الأنبياء وجهًا وأحسنهم صوتًا، ولا يلزم من كونه ﷺ أحسنهم وجهًا، أن لا يكون يوسف اختص عن الناس

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٦٦) [دار الفكر، بيروت].

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ١١٦) [دار الوطن].

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل (رقم٣٠٣) [دار إحياء التراث العربي]، عن قتادة مرسلًا. وفيه حسام بن مصك، وهو مطروح الحديث كما قال الإمام أحمد، وضعفه غير واحد، وعدّ الذهبي هذا الحديث من مناكيره. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢١) [دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م]. والحديث ضعفه الألباني في أصل صفة الصلاة (٢/ ٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٧هـ]. والذي في الشمائل للترمذي بلفظ «ما بعث الله نبيًّا إلّا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيّكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت وكان لا يرجّع». وقد ذكره كثير من أهل العلم باللفظ الذي ذكره ابن القيم رحمه الله هنا.

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١١٦٧) [دار عالم الفوائد].

بشطر الحسن، واشتركوا هم في الشطر الآخر، ويكون النبي ﷺ شارك يوسف فيما اختص به من الشطر، وزاد عليه بحسن آخر من الشطر الثاني والله أعلم»[1].

والأظهر والله أعلم أن الأرجح في معنى هذا: هو القول الأول وهو أنه اختص بشطر حسن آدم عليه السلام، أو أن الحسن جعل شطران فكان في يوسف أحد شطريه واقتسم الناس الشطر الآخر، كما رجحه ابن القيم رحمه الله. والله أعلم.

- المسألة الثانية: ابتلاء يوسف بكيد امرأة العزيز:

لما أجمع إخوة يوسف على إبعاده عن وجه أبيهم ألقوه في غيابة الجب، ولما جاء قوم من المارة إلى البئر وأدخلوا دلوهم تعلق به يوسف وخرج إليهم، ففرحوا به وباعوه على أهل مصر، فقال الذي اشتراه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]، وترعرع يوسف في بيت العزيز، وبعد أن شب افتتنت امرأة العزيز بجماله، وراودته عن نفسه، وغلّقت الأبواب، ثم دعته، لكنه استعصم وأبى أن يلبي طلبها، كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف]، ولما يئست منه قامت إليه، فتسابقا إلى جهة الباب، يريد يوسف الفرار منها، وتريد هي الإمساك به، فسبقها ومسكته من قميصه فقُد من خلف وتمكن يوسف من الخروج من البيت والفرار خارجه، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف].

وبعد ثبوت براءة يوسف عليه السلام لزوجها قال لها: إنه من كيدكن، وأمرها بالاستغفار، وأمر يوسف بالإعراض عن هذا الموضوع، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، حيث لامت بعض نساء المدينة امرأة العزيز على مراودتها لفتاها، فإذا بالمرأة تسعى لتسويغ ما فعلت، فجمعت أولئك النساء، وأعطت

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١١٦٦، ١١٦٧).

كل واحدة منهن سكينًا، وأخرجت عليهن يوسف لتريهن جماله الباهر، لعلهن يعذرنها في مراودتها إياه، فإذا بالنسوة يقطعن أيديهن وهن ينظرن إليه، ويقلن: حاشى لله ما هذا بشرًا. فتجيبهن امرأة العزيز بأن هذا الجمال الذي رأيتُنّه هو الذي حملني على المراودة، وهددت بسجن يوسف إن لم يفعل ما تأمره به، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف]. ويستجيب زوجها لمطلبها فيسجن يوسف بغير جريرة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف].

ومكث يوسف في السجن مدة طويلة يضيق المقام عن سرد جميع ما وقع فيها، وخلاصتها: أنه دخل السجن، ودخل معه فتيان وسألاه عن رؤيا لهما، كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف]، وبعد أن دعاهما إلى الإيمان بالله وتوحيده والبعد عن الشرك، وبيَّن لهما بطلان ألوهية غير الله، نبأهما بتأويل الرؤيا، وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكر شأني عند الملك، فخرج الناجي ونسي أمر يوسف، وبقي يوسف في السجن سنين طويلة، حتى رأى الملك رؤيا وأراد تفسيرها من قومه، فلم يجد أحدًا يفسرها له، فحينها تذكر الرجل يوسف وعلمه بتأويل الرؤيا، فطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف ليخبرهم بتأويل الرؤيا، فأذن له وذهب وسأل يوسف عنها فأخبره بتأويلها.

ولما سمع به الملك أمر بإخراجه من السجن، فرفض يوسف الخروج حتى تظهر للناس براءته من تهم النساء، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف]. وبعد ظهور براءة يوسف للعيان، إذا بالملك يطلب إحضار يوسف إليه؛ لاستخلاصه لنفسه، وهكذا مكّن الله ليوسف في

الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف]. وبعد موت الملك حل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ محله، وصار عزيزَ مصر وصاحب الأمر فيها.

- المسألة الثالثة: مكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماوات:

جاء في الصحيح ما يثبت كون يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الثالثة، كما في حديث مالك بن صعصعة الطويل في الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ وفيه: **«ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح»**[1].

المصادر والمراجع:

١ - «المعرَّب من كلام الأعجمي»، للجواليقي.

٢ - «تفسير القرطبي» (ج١٥).

٣ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٤ - «تفسير ابن كثير» (ج٧).

٥ - «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٦ - «تفسير السعدي» (٧٣٧).

٧ - «قصص الأنبياء»، للنجار.

٨ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور ف. عبد الرحيم.

٩ - «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» لعثمان الخميس.

١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمه ونسبه:

هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، كذا جاء اسمه في الصحيحين من حديث أبي بن كعب الآتي ذكره. وزاد بعض المؤرخين أن نونًا هو ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[2].

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٤) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، والمنتظم في التاريخ (١/ ٣٧٧)، والكامل في التاريخ (١/ ١٧٤) =

وجاءت الإشارة إلى يوشع في القرآن الكريم بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف].

وعن أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**قام موسى خطيبًا في بني إسرائيل فقيل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى؛ عبد من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتًا في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه، قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام، قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى** ﴿...قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف] الآية، قال: ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به، قال له فتاه يوشع بن نون: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣] الآية، قال: فرجعا يقصان في آثارهما فوجدا في البحر...»[(١)].

= [دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ]، والبداية والنهاية (٢/ ٢٢٧) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

۞ معنى اسمه لغة:

يوشع هو بالعبرية يشوع ولما عرِّب قدمت الواو على الشين فصار يوشع. وأصله بالعبرية: يهوشع ويهوشوع، ومعناه: الله هو الخلاص[(٢)].

۞ نبوَّته:

دلَّت على نبوة يوشع بن نون عليه السلام السُّنَّة الصحيحة، إذ هو المقصود بما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع...**»[(٣)]. وسيأتي تحت دلائل نبوته التصريح بأن النبي الذي حبست له الشمس هو يوشع بن نون عليه السلام، وأن تلك القرية المشار إليها هي بيت المقدس، وأما القول بأنها أريحا فلم تثبت الرواية في ذلك[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٢٧)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).
(٢) انظر: المعرّب للجواليقي (٦٤٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (٢٠٣، ٢٠٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٢٤)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٤٧).
(٤) وانظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٧٧)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٩٦، ٣٩٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

وقد بعث الله يوشع بن نون بعد نبي الله موسى عليه السلام[(١)].

قال ابن جرير: «إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبيًّا فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدقوه فهزم الجبارين واقتحموا عليهم فقتلوهم»[(٢)].

دلائل نبوَّته:

أعطى الله نبيه يوشع بن نون عليه السلام معجزة عظيمة لم ينلها أحد من الخلق سواه، وهي حبس الشمس له، وذلك حين توجه بالمؤمنين إلى فتح بيت المقدس، وكاد يدركه الليل قبل أن يدخلها، فسأل ربه أن يحبسها فحبست، كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس»**[(٣)]، قال ابن كثير: «فيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام»[(٤)].

كتابه:

ذكر ابن الجوزي أن يوشع بن نون عليه السلام كان يدعو الناس إلى توراة موسى عليه السلام، ويقيم أحكامها عليهم[(٥)].

وفاته:

قيل: إنه توفي عن عشر ومئة سنة، وقيل: عن عشرين ومئة، وقيل: عن سبع وعشرين ومئة سنة، بعد وفاة موسى عليه السلام بسبع وعشرين سنة[(٦)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ما قيل من تحوُّل النبوة من موسى إلى يوشع بن نون:

ذكر بعض العلماء أن نبي الله موسى في آخر عمره حولت النبوة منه إلى يوشع بن نون، ولم تبق عنده حتى الممات، وكان يسأل يوشع عما أحدث الله إليه من الأوامر والنواهي، حتى قال له: يا كليم الله، إني كنت لا أسألك عما يوحي الله إليك، حتى تخبرني أنت ابتداء من تلقاء نفسك. فعند ذلك كره موسى الحياة، وأحب الموت[(٧)].

---

(١) انظر: الأخبار الطوال لأحمد الدينوري (١٢) [دار إحياء الكتب العربي، ط١]، وتاريخ الطبري (١/ ٢٥٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والكامل في التاريخ (١/ ١٧٣) والبداية والنهاية (٢/ ١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٥) [مؤسسة قرطبة بمصر (مصورة عن المطبعة الميمنية)]، وصحَّح إسنادَه: ابنُ كثير في البداية والنِّهاية (١/ ٣٧٦، و٦/ ٣١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وابنُ حجر في فتح الباري (٦/ ٢٢١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٠٢).

(٤) البداية والنهاية (٢/ ٢٣٦).

(٥) انظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٧٧).

(٦) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٦١)، والمنتظم (١/ ٣٧٩).

(٧) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٥٥)، والبدء والتاريخ =

وهذا القول باطل؛ لخلوِّه عن الحجة والبرهان، ولمناقضته ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فردَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر**»[1]. فهذا يدل على استمرار نبوة موسى عليه السلام حتى الممات. قال ابن كثير في رد هذا الادعاء: «لم يزل الأمر والوحي والتشريع والكلام من الله إليه في جميع أحواله، حتى توفاه الله عز وجل، ولم يزل معزَّزًا مكرّمًا مدلّلًا وجيهًا عند الله، كما قدمنا في الصحيح من قصة فقئه عين ملك الموت، ثم بعثه الله إليه إن كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها، قال: ثم ماذا؟ قال: الموت. قال: فالآن يا رب. وسأل الله أن يدنيه إلى بيت المقدس رمية بحجر، وقد أجيب إلى ذلك صلوات الله وسلامه عليه»[2].

ـ المسألة الثانية: فتح بيت المقدس على يدي يوشع بن نون عليه السلام:

لقد ذكر جمهور أهل العلم أن هارون عليه السلام توفي في التيه، وبعده بنحو سنتين توفي نبي الله موسى عليه السلام، ثم بعث الله نبيه يوشع بن نون عليه السلام، وخرج بالقوم من التيه وقصد بهم بيت المقدس[3]. وقد تقدم في حديث أبي هريرة أن نبي الله يوشع بن نون عليه السلام منع أن يكون في جيشه من هو معلق قلبه بأمر يوهن عزمه على الجهاد في سبيل الله، ويشعّب عليه أفكاره، ويعوق تفانيه في قتال أعداء الله ورسوله، حيث قال لهم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللَّهُمَّ احبسها علينا فحبست، حتى فتح الله عليه،

= للمقدسي (٣/٩٦) [مكتبة الثقافة الدينية]، والكامل في التاريخ (١/١٧٢)، والبداية والنهاية (٢/٢٢٨).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/٢٢٨).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ (١/١٧٤)، وصحيح قصص الأنبياء للهلالي (٢٧٩) [دار غراس، ط١].

فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني: النار ـ لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»[(١)]. وقد أمر الله تعالى أتباع يوشع بن نون عليه السلام أن يدخلوا المدينة التي فتحوها بفضل من الله سجّدًا قائلين: حطة؛ أي: حط عنا ذنوبنا التي سلفت، فلم يمتثلوا أمر الله، بل عاندوا وبدلوا كلام الله وحرَّفوه عن مواضعه[(٢)]، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة]، وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجّدًا وقولوا: حطة، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة**»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٢ ـ «الأخبار الطوال»، لأحمد الدينوري.

٣ ـ «تاريخ الطبري» (ج١).

٤ ـ «البدء والتاريخ» (ج٣)، لابن طاهر المقدسي.

٥ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج١)، لابن الجوزي.

٦ ـ «الكامل في التاريخ» (ج١)، لابن الأثير.

٧ ـ «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٨ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٩ ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ج١)، للألباني.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام»، لإبراهيم العلي.

اليوم الآخر

التعريف لغةً:

اليوم: الياء والواو والميم: كلمة واحدة هي: اليوم الواحد من الأيام،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: صحيح قصص الأنبياء للهلالي (٣٨١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٣)، ومسلم (كتاب التفسير، رقم ٣٠١٥).

وهو مذكر، وجمعه أيّام، وأصله أَيْوامٌ.

وقد يراد باليوم: الوقت مطلقًا، ليلًا كان أو نهارًا، قليلًا كان أو كثيرًا، كيوم الدين؛ لعدم الطلوع والغروب حينئذ، وكقولهم: ذخرتك لهذا اليوم؛ أي: لهذا الوقت[(١)].

الآخر: الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، ويأتي الآخر في اللغة بعدة معان، منها: الباقي، والتالي للأول، والغائب، ونقيض وخلاف المتقدم، ومقابل الأول، ولا يتعدد[(٢)].

التعريف شرعًا:

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، والذي تعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتبعث فيه الخلائق للجزاء والحساب[(٣)].

سبب التسمية:

سمي بذلك؛ «لأنه آخر يوم، لا يوم بعده سواه»[(٤)]، وقال ابن حجر: «قيل له ذلك؛ لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة»[(٥)].

الأسماء الأخرى:

اليوم الموعود، ويوم القيامة، ويوم الحساب، ويوم الدين، والساعة، ولكل اسم دلالته الخاصة.

الحكم:

والإيمان به واجب على الإجمال، وعلى التفصيل فيما ثبت عند المكلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «على كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده، من أن الرسول أخبر به وأمر به، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به، ولم يمكنه العلم بذلك، فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلًا، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام»[(٦)].

ومنكره كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

الحقيقة:

التصديق الجازم بمجيئه وما يقع فيه من أهوال يوم القيامة من محاسبة العباد وعرض الأعمال، ووزنها، والمرور على الصراط، ودخول الجنة أو النار، وغير

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٥٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١٢/ ٦٤٩) [دار صادر، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٤/ ٦٨٥) [دار الفكر، ط٣]، والنهاية في غريب الحديث (٥/ ٣٠٣) [دار الفكر]، والكليات (٩٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٧٠)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٩) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ]، ولسان العرب (٤/ ١٥، ١٤)، وترتيب القاموس (١/ ١٢٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، ومعالم التنزيل (١/ ٦٥) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٧١).

(٥) فتح الباري (١/ ١١٨) [دار الفكر].

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٧).

ذلك مما يقع في هذا اليوم العظيم مما دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

وقال ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأولى**»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الأمور التي يتضمنها الإيمان باليوم الآخر:

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور: الإيمان بأشراط الساعة التي هي من مقدماته، والبرزخ وما يجري فيه إذ هو أول منازل الآخرة، والنفخ في الصور فالبعث وما بعده إلى الاستقرار في دار القرار[(٣)].

ـ المسألة الثانية: هل يعلم وقت اليوم الآخر؟

لقد استأثر الله تعالى بمعرفة اليوم الآخر ومتى تقوم الساعة، وهو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

الثمرات:

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة؛ منها[(٤)]:

١ ـ حث العبد على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات رغبة في الثواب الكائن في ذلك اليوم.

٢ ـ دفع العبد إلى ترك المعاصي والمنكرات؛ خوفًا من العقاب الكائن في ذلك اليوم.

٣ ـ تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤ ـ وقوف العبد على فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ له. وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥٨) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٤٩)، وأحمد (١/ ١٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٣٨) وصححه.

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٤٠ ـ ١٨٤)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٥٤ ـ ٧٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٣٧)، وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة (١٩).

مذهب المخالفين:

خالف في اليوم الآخر الفلاسفة والدهرية والباطنية وغيرهم(١).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإيمان باليوم بالآخر»، للحمد.

٢ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج٤)، لابن كثير.

٣ ـ «تلبيس إبليس»، لابن الجوزي.

٤ ـ «رسائل الآخرة» (ج١)، للعبيدي.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

٦ ـ «فتح الباري» (ج١)، لابن حجر.

٧ ـ «القيامة الكبرى» الأشقر.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣)، لابن تيمية.

٩ ـ «الملل والنحل» (ج٢)، للشهرستاني.

١٠ ـ «النهاية في الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

يوم الحساب

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

(١) انظر: الملل والنحل (٢/٥٨، ٢٣٥) فما بعد [دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/١٣٧) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وتلبيس إبليس (١٢٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/٢٩، ٣١)، ودائرة المعارف الإسلامية (٧/٤٠٤) فما بعد [دار الفكر].

يوم الحسرة

التعريف لغةً:

الانحسار: الانكشاف، يقال: حسرت كمي عن ذراعي أحسره حسرًا: كشفت. ورجل حاسر لا عمامة على رأسه، وامرأة حاسر؛ إذا حسرت عنها ثيابها، ورجل حاسر: لا درع عليه ولا بيضة على رأسه(٢).

التعريف اصطلاحًا:

أشد الندامة، والتلهف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه. وهي الغم الذي يصيب الكافر على ما فاته، والندم على عصيانه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه، قال تبارك وتعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١](٣).

(٢) ينظر: مفردات الراغب (٢٣٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (٤/١٨٧) [دار صادر].

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٦/٨٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، ومفردات الراغب (٢٣٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٤/٣٥٢) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

الحقيقة:

حقيقة يوم الحسرة على الإجمال:

هو يوم الحساب، أضيف اليوم إلى الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، ولكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما أضاعوا فيه من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم وإن كان يوم فرح بالنسبة إلى الصالحين[(١)].

حقيقة يوم الحسرة على التفصيل:

فيه أقوال، أشهرها ما يأتي:

القول الأول: سمي يوم الحسرة كذلك لأن الكفار يرون أعمالهم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله، ومعاصيهم وآثامهم حسرة وندامة يوم القيامة، ويتحسرون لم عَملوها؟ وهلا عملوا بغيرها مما يُرضي الله تعالى ذكره، فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة؛ إذ رأوا عقابها وجزاءها من الله؛ لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم. كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة] وقد نقل هذا القول أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جماعة من المفسرين، ومال إليه[(٢)].

القول الثاني: إن يوم الحسرة حين يرى الكفار مقاعدهم من الجنة لو كانوا مؤمنين؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يريهم أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب غيرُهمْ بطاعته ربَّه ما كان الله أعدَّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنِّعم، فصار ما فاتهم من الثواب ـ الذي كان الله أعدَّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا؛ إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك ـ أسًى وندامةً وحسرةً عليهم. فأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة[(٣)].

ومما استدل به أصحاب هذا القول ما رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء؛ ليزداد شكرًا. ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن؛ ليكون عليه حسرة**»[(٤)].

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٣٥٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣، ٧٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٦٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٤، ١٦/ ٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٩).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ في قصة ذكرها ـ فقال: «فليس نَفْسٌ إلا وهي تنظر إلى بَيتٍ في الجنة وبَيتٍ في النار، وهو يومُ الحسرة. قال: فيرى أهلُ النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عَملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهلُ الجنة البيتَ الذي في النار، فيقال: لولا أن منَّ الله عليكم»[(١)].

القول الثالث: يوم الحسرة هو يوم ذبح الموت، فاستيقن الكفار عندئذ الخلود فى النار، فلو مات أحد فرحًا مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا مات أهل النار، وهو قول الجمهور، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**»[(٣)].

قال الآلوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]: «إن ظاهر الحديث... كما لا يخفى على المتتبع قاض بأن يوم الحسرة يوم يذبح الموت وينادى بالخلود. ولعل التخصيص لما أن الحسرة يومئذ أعظم الحسرات لأنه هناك تنقطع الآمال وينسد باب الخلاص من الأهوال»[(٤)]. ومما يقوي هذا القول:

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٣/ ٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٥١٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، قال أحمد شاكر رحمه الله: «وهو كما قالا»، وقال قبل ذلك: «الحديث موقوف من كلام ابن مسعود ولكنه ـ وإن كان موقوفًا لفظًا ـ فإنه مرفوع حكمًا؛ لأنه في صفة آخر الزمان، وما يأتي من الفتن، ثم فناء الدنيا، ثم البعث والنشور والشفاعة، وما إلى ذلك، مما لا يعلم بالرأي» اهـ. انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

(٤) روح المعاني (١٦/ ٥٧٥) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]، وينظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٤٧٩) [غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ].

نص حديث أبي سعيد رضي الله عنه المذكور سابقًا، كما أن قراءة النبي ﷺ الآية بعد ذكره ذبح الموت تدل على أن المراد بيوم الحسرة هو يوم ذبح الموت[(١)].

القول الرابع: قيل يوم الحسرة المراد بذلك يوم القيامة مطلقًا، وهو مروي عن بعض السلف، منهم ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)]، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[(٣)]. وذلك أن أهل النار من أول أمرهم وهم في سخط الله، فهم في حال حسرة لكثرة الحسرات والتأسف على ما فرطوا، وهذه الحسرات تقع لهم في مواطن عديدة. ومن هنا قيل: المراد بالحسرة جنسها فيشمل ذلك حسرتهم فيما ذكر وحسرتهم عند أخذ الكتب بالشمائل وغير ذلك[(٤)].

قال الرازي: «وأما يوم الحسرة فلا شبهة في أنه يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من أهل النار»[(٥)].

ويمكن الجمع بين الأقوال كلها بأن يقال: إن يوم القيامة كله حسرة على الكافرين، وأشده حسرة عليهم يوم يذبح الموت، فيستيقن الكافر يومئذ أن مصيره إلى النار خالدًا مخلدًا فيها، والله أعلم.

عموم الحسرة للخلق كافة:

ذهب بعض العلماء من المفسرين وغيرهم إلى أن الحسرة يوم القيامة عامة تشمل المؤمن والكافر، فالمؤمن يتحسر على قلة عمله وإحسانه، والكافر يتحسر على تفريطه وعصيانه. قال الرازي: «وقيل: يتحسر أيضًا في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية والأول هو الصحيح؛ لأن الحسرة غم، وذلك لا يليق بأهل الثواب»[(٦)]. وقد يجاب عن قول الرازي بأن الحسرة تكون في عرصات القيامة قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ ولكن يشكل عليه قوله جل جلاله: ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]؛ أي: فُرغ من الحساب، وفُصل بين الفريقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وذُبح الموت ونُودي كل من الفريقين بالخلود[(٧)]. ويمكن أن يقال بأن الحسرة تشمل عصاة الموحدين ممن سيدخل النار ثم يخرج منها، أما من دخل الجنة ابتداء فلا، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٣٥٤).
(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ٥٤٧) [دار هجر، ط١].
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤) [دار طيبة، ط٤].
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤).
(٥) تفسير الرازي (٢١/ ٢٢١) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].
(٦) تفسير الرازي (٢١/ ٢٢١).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤).

٢ ـ «الجامع لشعب الإيمان» (ج٢)، للبيهقي.

٣ ـ «العاقبة»، لعبد الحق الإشبيلي.

٤ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.

٥ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.

٦ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج٢)، للسفاريني.

٧ ـ «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.

٨ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج٢)، لابن عيسى.

٩ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

١٠ ـ «القيامة الكبرى»، لعمر الأشقر.

يوم القيامة

التعريف لغةً:

يوم: قال ابن فارس: «الياء والواو والميم كلمة واحد، وهي اليوم واحد الأيام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم»[(١)]. واليوم: هو النهار، وقيل: «مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها»[(٢)]. القيامة: مصدر من قام يقوم، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب[(٣)]، والقيام ضد الجلوس[(٤)].

التعريف شرعًا:

يوم القيامة: هو يوم البعث والقيام من القبور، وهو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، وهو يوم يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم[(٥)]؛ ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا إما بدار النعيم وإما بالعذاب الأليم[(٦)].

سبب التسمية:

قال السيوطي في سبب تسمية يوم القيامة بهذا الاسم: لقيام الخلق من قبورهم، وقيامهم لرب العالمين، ولقيام الروح والملائكة صفًّا[(٧)]، وقيل في تسمية يوم البعث والحشر يوم القيامة أربعة أقوال: «**الأول**: لوجود هذه الأمور فيها [أي: المحشر والوقوف ونحوهما]. **الثاني**: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، **والثالث**: لقيام الناس لرب العالمين، كما روى الشيخان

---

(١) مقاييس اللغة (١١١١) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ٦٤٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٧هـ].

(٣) التذكرة (٢/ ٥٤٧) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) لسان العرب (٧/ ٥٤٤) [دار الحديث ط١٤٢٣هـ].

(٥) تهذيب اللغة (٩/ ٣٦٠).

(٦) انظر: معجم ألفاظ العقيدة (٤٥٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ].

(٧) البدور السافرة (١٤٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ].

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين] قال: «**يقوم أحدهم في رَشْحِه إلى أنصاف أذنيه**»[١]، قال ابن عمر: يقومون مائة سنة، ويروى عن كعب: يقومون ثلاثمائة سنة، **والرابع**: لقيام الروح والملائكة صفًّا، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ [النبأ: ٣٨]»[٢].

الأسماء الأخرى:

الآخرة، الآزفة، الحاقة، الزلزلة، الصاخة، الواقعة، الطامة، الغاشية، القارعة، يوم البعث، يوم التغابن، يوم التلاق، يوم التناد، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الخروج، يوم الخلود، يوم الدين، يوم الفتح، يوم الفصل، الساعة[٣].

الحكم:

الإيمان به ركن من أركان الإيمان الستة من أنكره أو شكّ فيه بعد قيام الحجة عليه فليس بمسلم.

الحقيقة:

يوم القيامة يوم حقيقي، يقوم فيه الناس بأجسادهم وأرواحهم لرب العالمين.

المنزلة:

الإيمان بيوم القيامة ركن من أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل المشهور.

الأهمية:

تظهر أهمية يوم القيامة في أنه يوم الجزاء، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران].

الأدلة:

الأدلة على قيام يوم القيامة كثيرة جدًّا، منها قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران]، وقوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣﴾ [الإسراء]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٢).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢/٥٤٧)، والبحور الزاخرة للسفاريني (١/٦٢١) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) البدور السافرة (١٤٣، ١٤٤).

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ [طه].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال القاضي عياض: «من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بالإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترًا»[(٢)].

وقال السفاريني: «قد دلَّ على قيام الناس من الأجداث الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة»[(٣)].

الأقسام:

١ ـ القيامة الصغرى، وهي موت الإنسان، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «قيامة الرجل موته»[(٤)]، وقال علقمة عن رجل قد مات: «أما هذا فقد قامت عليه قيامته»[(٥)].

٢ ـ القيامة الكبرى، وهي التي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ له.
وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الشفا (٢/ ٢٩٠) [دار الكتب العلمية].
(٣) البحور الزاخرة (١/ ٦٠٧) [شركة غراس، ط١].
(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٢٣/ ٤٦٨) [دار هجر، ط١].
(٥) المرجع السابق.

المراتب:

يوم القيامة ليس منزلًا واحدًا، بل فيه منازل مختلفة، تبدأ بالنفخ في الصور، بعده البعث والحشر، والموقف والشفاعة، والحساب وفصل القضاء، والميزان والحوض، والصراط والقنطرة، ثم دار القرار.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: تسمية يوم القيامة بيوم الحسرة:

سمي بذلك؛ لأن الكافر يتحسر على ما فرط ويندم على ما قدم[(٦)].

والحسرة: أشد الندامة، والتلهف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه. وهي الغم الذي يصيب الكافر على ما فاته، والندم على عصيانه[(٧)].

وأضيف اليوم إلى الحسرة؛ لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، ولكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما أضاعوا فيه من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم، وإن كان يوم فرح بالنسبة إلى الصالحين[(٨)].

(٦) ينظر: مفردات الراغب (٢٣٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (٤/ ١٨٧) [دار صادر].
(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٨٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، ومفردات الراغب (٢٣٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٣٥٢) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٨) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٣٥٢).

ـ **المسألة الثانية: سبب حسرة الكفار:**

في ذلك أقوال، أشهرها ما يأتي:

القول الأول: لأن الكفار يرون أعمالهم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله، ومعاصيهم وآثامهم حسرة وندامة يوم القيامة، ويتحسرون لم عَملوها؟ وهلا عملوا بغيرها مما يُرضي الله تعالى ذكره؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة، إذ رأوا عقابها وجزاءها من الله؛ لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة] وقد نقل هذا القول أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جماعة من المفسرين، ومال إليه[١].

القول الثاني: أن يوم الحسرة حين يرى الكفار مقاعدهم من الجنة لو كانوا مؤمنين؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يريهم أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب غيرُهمْ بطاعته ربَّه ما كان الله أعدَّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنِّعم. فصار ما فاتهم من الثواب ـ الذي كان الله أعدَّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك ـ أسًى وندامةً وحسرةً عليهم. فأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة[٢].

ومما استدل به أصحاب هذا القول ما رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء؛ ليزداد شكرًا. ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن؛ ليكون عليه حسرة**»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ في قصة ذكرها ـ فقال: «فليس نَفْسٌ إلا وهي تنظر إلى بَيتٍ في الجنة وبَيتٍ في النار، وهو يومُ الحسرة. قال: فيرى أهلُ النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عَملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهلُ الجنة البيتَ الذي في النار، فيقال: لولا أن منَّ الله عليكم»[٤].

القول الثالث: يوم الحسرة هو يوم ذبح الموت، فاستيقن الكفار عندئذ الخلود في النار، فلو مات أحد فرحًا مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣، ٧٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٦٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٤، ١٦/ ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٩).

(٤) تقدم تخريجه.

مات أهل النار. وهو قول الجمهور.

ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]»[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**»[٢]. قال الآلوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]: «إن ظاهر الحديث... كما لا يخفى على المتتبع قاض بأن يوم الحسرة يوم يذبح الموت وينادى بالخلود. ولعل التخصيص لما أن الحسرة يومئذ أعظم الحسرات لأنه هناك تنقطع الآمال وينسد باب الخلاص من الأهوال»[٣]. ومما يقوي هذا القول: نص حديث أبي سعيد رضي الله عنه المذكور سابقًا، كما أن قراءة النبي ﷺ الآية بعد ذكره ذبح الموت تدل على أن المراد بيوم الحسرة هو يوم ذبح الموت[٤].

القول الرابع: قيل يوم الحسرة المراد بذلك يوم القيامة مطلقًا، وهو مروي عن بعض السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[٦].

وذلك أن أهل النار من أول أمرهم وهم في سخط الله، فهم في حال حسرة لكثرة الحسرات والتأسف على ما فرطوا، وهذه الحسرات تقع لهم في مواطن عديدة. ومن هنا قيل: المراد بالحسرة جنسها، فيشمل ذلك حسرتهم فيما ذكر وحسرتهم عند أخذ الكتب بالشمائل وغير ذلك[٧].

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

(٣) روح المعاني (١٦/ ٥٧٥) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]. وينظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٤٧٩) [غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٣٥٤).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ٥٤٧) [دار هجر، ط١].

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤).

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال كلها بأن يقال: إن يوم القيامة كله حسرة على الكافرين، وأشده حسرة عليهم يوم يذبح الموت، فيستيقن الكافر يومئذ أن مصيره إلى النار خالدًا مخلدًا فيها، والله أعلم.

- المسألة الثالثة: عموم الحسرة للخلق كافة:

ذهب بعض العلماء من المفسرين وغيرهم إلى أن الحسرة يوم القيامة عامة تشمل المؤمن والكافر، فالمؤمن يتحسر على قلة عمله وإحسانه، والكافر يتحسر على تفريطه وعصيانه. قال الرازي: «وقيل: يتحسر أيضًا في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية والأول هو الصحيح؛ لأن الحسرة غم، وذلك لا يليق بأهل الثواب»[(١)]. وقد يجاب عن قول الرازي بأن الحسرة تكون في عرصات القيامة قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ ولكن يشكل عليه قوله ﷻ: ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [مريم: ٣٩]؛ أي: فُرغ من الحساب، وفُصل بين الفريقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وذُبح الموت ونُودي كل من الفريقين بالخلود[(٢)]. ويمكن أن يقال: بأن الحسرة تشمل عصاة الموحدين ممن سيدخل النار ثم يخرج منها، أما من دخل الجنة ابتداء فلا، والله أعلم.

- المسألة الرابعة: وقت قيام الساعة:

لا يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وسأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ بقوله: متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[(٣)]، فإذا كان لا يعلمه أفضل الملائكة وأفضل الرسل، فغيرهما من باب أولى؛ فلا يعلمه إلا الله تعالى، قال ابن رجب: إن الله استأثر بعلم الساعة، ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وهو من مفاتح الغيب الخمس التي لا يعلمها إلا الله[(٤)].

- المسألة الخامسة: مدة يوم القيامة:

ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن مقدار يوم القيامة: خمسون ألف سنة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد**

(١) تفسير الرازي (٢١/ ٢٢١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٧٠).

فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: **ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر**[(١)] **أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.** قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: **ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء**[(٢)] **تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**[(٣)].

الآثار:

من آثار الإيمان بيوم القيامة السلوك الحسن، والطمأنينة القلبية والصحة النفسية فيجتنب العبد ما يسخط الله ﷻ، ويبذل جهده فيما يرضيه؛ لأن أعمال العباد ليست ضائعة بل سيجزون بما عملوا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه].

الحكمة:

من حكمة يوم القيامة أن تجزى كل نفس بما كسبت، ويظهر عدل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

مذهب المخالفين:

١ ـ المنكرون ليوم القيامة، وهم مشركو العرب الذين ردّ الله تعالى على زعمهم فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

---

(١) أي: بسط لها ومد لها بأرض مستوية.

(٢) العقصاء: الملتوية القرون، والجلحاء: التي لا قرون لها، والعضباء: التي انكسر قرنها الداخل.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧).

ﵟءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦ﵞ [الجاثية]، وقد ردّ الله ﷻ على زعم مشركي العرب فقال: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ [الإسراء].

٢ ـ المتأولون ليوم القيامة والحشر والنشر والحساب والنعيم والعذاب في القيامة، وهم الباطنية، فإذا ورد ذكر القيامة في كلام الباطنية فهم لا يقصدون بها ما يقصد بها الأنبياء وأتباعهم، بل الباطنية يقصدون بها ما يسمونه قيام القائم المنتظر لديهم[(١)]، واستدل أحد دعاتهم أن المراد بالقيامة هو قيام المنتظر لديهم بأدلة عقلية وتأويلات باطنية للنصوص، ثم قال: «وأما غيبته ولم يظهر له أثر من وقت غيبته فهذا ما شرطه الله تعالى ذكره في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه]، والعلة في خفائها أن دعوته علمية لا عملية كدعوة الرسل، والدعوة العلمية لا تدرك ولا تصاب إلا بجد واجتهاد في الطلب، والدعوة العملية بالقهر والقسر»[(٢)].

وقد صرَّح بعض الإسماعيلية الباطنية أن القيامة هي قيام قائم القيامة الكبرى، صاحب البطشة العظمى، محمد بن إسماعيل[(٣)]، وقال أحد دعاة الإسماعيلية الباطنية: «والقيامة موسومة أيضًا بيوم الفصل؛ لأن الفصل إنما يكون بعد الخصومة والمنازعة، وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر، وألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها»[(٤)]، لذا جعلهم الغزالي من الزنادقة وقال عنهم: «فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب،

---

(١) قال عارف تامر الإسماعيلي الباطني: معنى قيام القيامة لدى إخوان الصفاء: هو ظهور القائم المنتظر. انظر: جامعة الجامعة (٨٨) [دار مكتبة الحياة، ط٢].

(٢) كتاب الافتخار للداعي الإسماعيلي أبي يعقوب السجستاني (١٩٤) [دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠م].

(٣) الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٤٨) [إدارة ترجمان السُّنَّة]، نقلًا بالواسطة عن أحد الإسماعيلية المعاصرين. أصول الإسماعيلية [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: إثبات النبوءات لأبي يعقوب السجستاني الإسماعيلي (١٩١) [دار المشرق، ط٢]، والإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٢) نقلًا عن إثبات النبوات للسجستاني.

فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام، وهؤلاء أيضًا زنادقة: لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله وباليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، لإحسان إلهي ظهير.

٢ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٣ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج١)، لابن القيم.

٤ ـ «الجامع لشعب الإيمان» (ج٢)، للبيهقي.

٥ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.

٦ ـ «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.

٧ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج٢)، للسفاريني.

٨ ـ «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.

٩ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج٢)، لابن عيسى.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

(١) المنقذ من الضلال (٧٧) [دار الأندلس، ط٦].

فهرس الآيات

٣ ـ آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾	١٧٣	٩٧٠، ٣١٤٩، ٣١٥٠
﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾	١٧٤	١٤٠٣
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١٧٥	١١٩٨، ١١٩٩
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾	١٧٨	١٠٣٣
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾	١٧٩	٢٥٧٢
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾	١٨٠	٣١٢٢
﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾	١٨١	٦٣٢، ١٦٠٩، ١٦١٤، ٢٤٣٩
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٩٦١
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾	١٨٤	٢٧٤٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾	١٨٥	٧٩٨، ٣٢٥١، ٣٢٥٦
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾	١٩٣	٢٤
﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾	١٩٥	٤٦٤
﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾	١٩٨	٢٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾	١٩٩	٩٢٥

٤ ـ النساء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٤٩٨، ١٤٢٦، ١٤٣٧، ١٧٢٥، ٢٦٧٣
﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾	٥	١٣٩
﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٦	٩٤٥، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٢، ٢٢١٤، ٢٤٢٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾	١٠	٥٠٢، ٢٢٨٩، ٣١٢٢، ٣١٢٤، ٣١٣٠، ٣١٤٧
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾	١١	٢٢٥٠، ٣٢٠٧
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ﴾	١٣	١٠١٢، ٣١١٤
﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾	١٧	٧٣، ٧٤، ٧٦٢، ٧٦٧، ٢٨٥٩، ٢٨٦٠
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾	١٨	٧٣، ٧٤، ٧٦٢، ٢٨٥٩، ٢٨٦٠
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾	١٩	٣١٧١
﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾	٢١	٢٩٠٨
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾	٢٣	٢٥٢٦
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ. . .﴾	٢٦ ـ ٢٨	١٢٤، ٧٦٠، ١٠٣٧، ٢٥٢٧، ٢٥٨٩
﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾	٣٠	٢٢٨٩

٦ ـ الأنعام

٨ ـ الأنفال

١١ ـ هود

١٢ ـ يوسف

فهرس الآيات

فهرس الآيات

١٦ ـ النحل

 فهرس الآيات

١٧ ـ الإسراء

١٩ ـ مريم

٢٠ ـ طه

٢١ ـ الأنبياء

٢٣ ـ المؤمنون

٢٦ ـ الشعراء

٣٠ ـ الروم

٣١ ـ لقمان

٣٢ ـ السجدة

٣٣ ـ الأحزاب

٣٦ ـ يس

٣٩ ـ الزمر

٤٠ ـ غافر

٤١ ـ فُصِّلَت

٤٢ ـ الشورى

فهرس الأحاديث

طرف الحديث | رقم الصفحة

طرف الحديث — رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
اللَّهُمَّ بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا	٥٦٩
اللَّهُمَّ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي	٢٠٩٧
اللَّهُمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير	٥٢٩
اللَّهُمَّ ثبِّت قلبي على دينك	٧٠
اللَّهُمَّ حبب عُبَيدك هذا ـ يعني: أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك	٣٠٥٤
اللَّهُمَّ خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها	١٤٣٣
اللَّهُمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة	٢١٨، ٦٨٢، ٨٦١، ٢٢٣٦، ٢٨٠٣، ٢٨٠٤، ٢٩١٦
اللَّهُمَّ ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم	٤٠٦، ٥٣٧، ١٩٥٠، ٢٤٥٩
اللَّهُمَّ ربّ الناس مُذهب الباس اشف أنت الشافي	١٦٣٢
اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى	٧٧
اللَّهُمَّ صلِّ على آل أبي أوفى	١٥٧٤
اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وأزواجه وذريَّته، كما صليت على آل إبراهيم	١٨٥٠
اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمَّد، كما صليت على إبراهيم	١٨٥٠
اللَّهُمَّ علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب	٢٧٣٠، ٢٧٤٠
اللَّهُمَّ علِّمه الكتاب والحساب وقه العذاب	٢٧٣٠
اللَّهُمَّ فشفِّعه فيّ وشفعني فيه	٨٢٤
اللَّهُمَّ فقّهه في الدين	١٩٩٦
اللَّهُمَّ في الرفيق الأعلى	١٤٤٤
اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٤٤٧، ١٦٧٢
اللَّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت	١٩٤٦
اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت	١١٠١
اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن	٩٩٦، ١٣٨٧، ٢٧٨٢، ٢٨١٨، ٣٠٠٦، ٣٠٠٩
اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّام السماوات والأرض	٢٤٢١
اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض	٢٤٢١
اللَّهُمَّ لك الحمد كله، اللَّهُمَّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت	٢٣٠٨
اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه	٦٤٤، ١١٨٨، ٢٧٢٠
اللَّهُمَّ مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	٢٧٨٩
اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان	٢٨٥٢
اللَّهُمَّ من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم	٣٦١، ٣٧٣
اللَّهُمَّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اللَّهُمَّ اهزم الأحزاب، اللَّهُمَّ اهزمهم وزلزلهم	٩٢٥
اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا	٢٠
ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة	٢٨٣٧
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة	٩٧٩
أليس من أهل بدر، فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم	١٧٦٣
أليسوا يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه، ويحلون ما حرم فتحلّونه؟	١٦٥٥
أمّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه	٢٧٢٧

طرف الحديث	رقم الصفحة
أما أبوه فحواري النبي ﷺ ـ يريد الزبير ـ، وأما جده فصاحب الغار	١٩٩٠
أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء	٢٧٧٠
أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُه؛ فكذابٌ يحدِّث بالكذبة، فتُحْمَل عنه	٢٠٢٥
أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته	١٣٢٩
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلّوه	٥٩١، ١٦٥٦
أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: أني قمت من الليل فتوضأت	١٣٣٣
أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني...	٢٧٣٥
أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب	٢٩٢٦
أما بعد؛ ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب	١٥
أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد	٢٨٩٧
أما بعد، فإن من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات	٥٤٥
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي	٢١٣٦
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟	٢٢٤٢
أما عثمان فقد جاءه والله اليقين	١٩٨٧
أما هذا فقد قامت عليه قيامته	٣٢٥٢
أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير	١٧٠٩، ٣٢٣١
أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له	٦٨٥
أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك	١٩١٥، ١٩١٧، ١٩١٨
الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمن، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأئمة واغفر للمؤذنين	١٣٩٨
أَمُتهوِّكون فيها يابن الخطاب؟!	٤٠٧، ٨١١، ١٤٦٦، ٢٣٥٠، ٢٤٦٢
أمر امرأة ماتت أمها وعليها صوم أن تصوم عن أمها	٣٩٦
أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته، وأن يعرف لهم قدرهم	١٠٠٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلٰه إلا الله...	٢٢٦، ٢٢٩، ٦٩٣، ٢٥٤٠
أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله...	٤٧١، ٥٥٠، ١٧٠٦، ٢٥٤٥
أمَّرنا خير من بقي، ولم نَألُ	١٧٦١
أمروها كما جاءت	١٨٣٢
أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا	٩٦٢
أمعك من القرآن شيء؟	١٧٢٧
إن آل أبي ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين	٣١٥٦
إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة...	٣٠٢٦
إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين...	١٤٤٧
إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر	١١٧٩
إن ابني هذا سيِّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين	٨٨٠
إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين	٢٧٣٨
إن أبي وأباك في النار	٤٣٤، ٢٦٤٣
إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا	٧٥٦
إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمٰن	٣١٦٤

طرف الحديث	رقم الصفحة
إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة	٣٩٩
إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	٧٦٥
إن الله ستِّير يحبّ السَّتْرَ	١٥٣٦
إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة	١٧٨٠
إن الله ﷿ إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها	٢٥٢٥
إن الله ﷿ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء	١٨١٣، ٢٩٨٣
إن الله ﷿ حيي ستِّير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر	١٠٩٢، ١٥٣٦
إن الله ﷿ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية	٢٦٧٩، ٢٦٨١
إن الله ﷿ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء	١٤٣٩، ٢٩٣٣
إن الله ﷿ قد وكَّل بالرحم ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة...	٢٨٠٧
إن الله ﷿ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه	١٣٣٩، ٢٧٨٧، ٣٠٨٢
إن الله ﷿ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار..	١٩٣١، ٢٣١٠، ٣٢٠٤
إن الله ﷿ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة	٢٩١١
إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...	٥٩٦، ٢٦٦٣، ٣١٨٠
إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء	٢٥٢٤، ٢٧٠٨
إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر	٣١٦٣
إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين	٣١٦٤
إنّ الله كتب الإحسان على كل شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة	٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٢٧٣
إن الله كتب التوراة بيده	٢٤٤١
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة	٢٤٣٤
إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي	٢٤٣٩
إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام	٢٤٣٩
إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال	١٥٠٦
إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور	١٨٢٣، ٢١٨٦، ٢٩٦٥
إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة	٩٤٨، ٢٥٠١
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد	٢٦٧
إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه	١١٢
إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه	١٣٣١
إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه	١٣٣٩
إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا	١٣٢٤
إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم	١٥٤٥
إن الله ما كلم أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك وكلمه كفاحًا	٥٧٧
إن الله محسن يحب الإحسان إلى كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة	٢٦٢٣
إن الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم	١٠١٦، ١٠٢٢
إن الله هو الخالق القابض الباسط الرّزّاق المسعر	١١٨٧، ١٨٦٤
إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله...	١٧٤٣
إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله...	١٥٦٦

طرف الحديث	رقم الصفحة
انتدب الله لمن يخرج في سبيله، لا يخرجه إلا الإيمان بي والجهاد في سبيلي...	٤٤١
أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء	١٦٣
أنتم خير أهل الأرض	١٧٦٣
أنذرتكم النار، أنذرتكم النار	٢٩٢٠
انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا	٧٣٥
أُنزل (أو: أُنزلت) عليَّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوِّذتين	٢٣٥٤
أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان...	٤٠٦
أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان	٨١٢، ١٧٧٨
أنزلت علي آنفًا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾	٢٥٢١
أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حقٌّ إلا قام	١٩٠
أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟	٨١٠
الأنصاب حجارة كانوا يذبحون لها	٤١٥
الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق	٥٣٤، ١٧٥٩
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٢٩٧٢
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها	٣١٦٦
انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام	٢١٣٧
إنك امرؤ فيك جاهلية	٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٥
إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى	٧٧٤
إنك تقاتل عليًّا وأنت ظالم له؟	١٤٦٩
إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى	٧٩٤
إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...	٦٩١
إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله	٢٦٤٠
إنك لم تنل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا وإياك ومذاق الأخلاق ودناءتها	١٤٨٦
إنّك لن تدع شيئًا لله ﷻ إلّا أبدلك الله به ما هو خير لك منه	٣٠٩٧
إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: ﴿...كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾	٢٨٩٤
إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ	٣٠٥٤
إنكم تفتنون في قبوركم	٢٨٣٩
إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا	١٦١٢
إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً	٣٤، ٩٧٩
إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى	١٨٩٣
إنما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني	١٣٩٠، ٢٠٦٢
إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه	٢٧٣٧
إنما أنا رحمة مهداة	٢٩٣١
إنما أهلك من كان قبلكم اختلافُهم في الكتاب	٣٠٥
إنّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم	٣٠٦
إنما الشؤم في ثلاث	٦٢٧
إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والدار والدابة	٦٢٦

طرف الحديث	رقم الصفحة
إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا	١٠٨٥
إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا	٢٦٩٠
إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبدًا: كتاب الله وسُنَّتي	٢٨٤
إنّي لأتمنّى أن يزيد الله ﷻ معاوية من عمري في عمره	٢٧٣٤
إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن	٢٩٩٣
إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك إما ساجدٌ وإما قائمٌ	٢٨٠٥
إنِّي لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً	٢٦٦٧
إنِّي لأُنذِرُكموه، وما من نبيٍّ إلا أنذره، لقد أنذر نوح قومه...	٣٠٠٣
إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه	١٢٧٣
إني لكم فرط على الحوض،..	٨٣٩
إني والله لأنظر إلى حوضي الآن	١٠٨٦
إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة؛ ولكن جمعتكم لأن تميمًا...	١٢٠٩
اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد	٢٠٠٤
أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه	١٩١٦
أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها...	١٧١٣
أوتحبين ذلك؟	٢٦٣٥
أوجب طلحة	١٩٢٨
أوصاني خليلي بثلاث	١١٧٧
أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة	٧٤٨
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا	٢٨٩٧
أوَغير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها	١٧٠٨
أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم	٤٤٧، ٤٤٩، ١٢٧٣
أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا	٣١٦٤
أوكلكم يجد ثوبين؟	٣٠٧٧
أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى	١٩٣٣
أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا	٢٧٤٠
أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم	٣٢١٣
أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له	٣٢١٣
أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل	٢٥٧
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم	١١٢٧، ١٣٠٨
أولُ ما خلق الله القلمُ	٢٣٨١، ٢٤٥١
أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر	١٠١٢
أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٩٤٨
أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء	٢٣٧٧
أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة	٢٥٨
أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير...	١٩٩٠
أوّلُ هذا الأمر نبوَّة ورحمة، ثمّ يكون خلافة ورحمة، ثمَّ يكون ملكًا ورحمة...	٢٧٣١

طرف الحديث	رقم الصفحة
الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه	١٥٦٣
الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور	١٤١٠، ٢٨٥٢
الحمد لله الذي أخرجه بي من النار	٧٣٠
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي	٢٤٢٦
الحمد لله الذي أنقذه من النار	٧٦، ٧٢٩، ٢٨٦٢
الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة	٢١٥٥
الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا	١٨٠٣
الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأعفى.	٥٤٩
الحمد لله الذي هداك يا عم	١٩١٧
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	١٦١٠، ١٦١٥
الحمد لله رب العالمين الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين...	٢٢١٣
الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم	٢٨٣٧
الحنيفية السمحة	١٠٧٤
الحياء خير كله	١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٩
الحياء شعبة من الإيمان	١٠٩٦
الحياء كله خير	١٠٩٧، ١٠٩٩
الحياء لا يأت إلا بخير	١٠٩٦، ١٠٩٧
الحياء من الإيمان	١٠٩٦
حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خير لكم..	١٦٠٠
خدمت رسول الله ﷺ، قبل البعثة خمسة عشر سنة...	١١٢٦
خدمت النبي ﷺ عشر سنين...	٢٣٢٥
خذهن واجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود	٣٠٥٥
خذوا شطر دينكم عن الحميراء	١١٣١
خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين	٥٦٩
خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة	٣١٣٥
خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود	١٧
خرجنا حجاجًا أو عُمّارًا ومعنا ابن صائد	١٨٧٨
خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام	١٢٨١
خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي	١١٣٧
خُفف على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج	١٢١٦، ١٤٦٤
الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا	٩٦٢
الخلافة في أمتي ثلاثون سنة	١١٦٥
خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك ـ أو ملكه ـ من يشاء	٩٦٢، ١١٦٤، ٢٠٠٦
خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا	١٨٧١، ١٨٧٢
خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلَّم على أولئك	١٠
خلق الله الخلق، فلما فرغ منه، قامت الرحم، فأخذت بِحَقْوِ الرحمٰن...	٩٩٨
خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد...	٦

طرف الحديث	رقم الصفحة
رأيت جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا أقربُ من رأيتُ به شبهًا دحية بن خليفة	٨٦٥
رأيت ربي تبارك وتعالى	١٣٣٤
رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه	٢٦٣٨
رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر	١٥٥٩، ٢١٤٩
رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه	٥٢٤، ١٦١٠، ١٦١٣، ١٦١٥
رأيت رسول الله يعقد التسبيح	٦٠٦
رأيت السد مثل البُردِ المحبَّر. قال: رأيته	٣١٨٨
رأيت الليلة رجلين أتياني قالا: الذي يوقد النار مالك...	٢٥٨٥، ٢٩١٦
رأيت النبي ﷺ وكان الحسن يشبهه	٩٦٢
رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر	١٥٦٠
رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم...	٢٦٥٠
رأيت عليًّا رافعًا حضنيه يقول: اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من دم عثمان	٢١٤٠
رأيت عمرو بن عامر الخزاعيَّ يَجرُّ قُصْبه في النار	١٦٧٤
رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أُحد رجلين عليهما ثياب بياض	٨٦٣، ٢٩١٧
رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليبٍ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا...	٢١٥٧
رأيت ليلة أسري بي موسى،... ورأيتُ مالكًا خازن النار	٢٥٨٥
رأيت نورًا	٢١٤، ١٣٣١
رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شُلَّت	١٩٢٨
رأيتك في المنام يجيء بك الملَك في سرَقَة من حرير	١٩٧١
رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طليحة	٢١٥٨
رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره	٥٦٠
رب أعنّي ولا تُعِن عليّ، وانصرني ولا تنصر علّي	١٠٨، ٣٩١، ٢٧٦٥
رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم	٧٥٨
ربِّ اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم	٣٢٨، ٢٤٨٤
رب اغفر وارحم، وتجاوز عمَّا تعلم؛ إنك أنت الأعزُّ الأكرم	٢٠٥٦
رب ائذن لي فيمن قال: لا إلٰه إلا الله	١٦٨٩
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه	٢٨٣٩
رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحُمَة، والنملة	١٤١٩
رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ...	٢٠٨١، ٢٤٦٩
رفعت الأقلام، وجفَّت الصحف	٢٤٤٦
الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	١٣٠٨
رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة	١٣١٠، ١٣١٥
الرؤيا تجيء على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة	١٣١٥
الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله...	١٣١٦
الرؤيا من الله والحلم من الشيطان	١٣١٦
الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب..	١٥٢٩
زيِّنوا القرآن بأصواتكم	٢٥٦٣

طرف الحديث	رقم الصفحة
كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض	٧٢٩
كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهدًا في العبادة	٢٠٣١
كان الكفل ـ وفي رواية: ذو الكفل ـ من بني إسرائيل، لا يتورع من ذنب عمله	١٣٠٤
كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود	١٣٨١
كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح	٢١٠
كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم	٢٦٣٨
كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن؛ فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم	٨٣٩
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر	٨٤٧، ٨٧٨
كان نبي الله سليمان إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه	١٥٩٢
كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر	١٥٣٠
كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطَّه فذاك	١١٨
كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة	١٣٨١
كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم	٦٧٤
كان يَحْثي على رأْسه ثَلاثَ حَثَياتٍ؛ أَي: ثلاث غُرَفٍ بيديه، واحدتها حَثْيَة	٩٢٧
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...	١١١٢، ١٣٩٥
كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض	٢٨٧٤
كانت الرسل والمؤمنون تستضعفهم قومهم ويقهرونهم	٢٥٧٨
كانت رؤيا الأنبياء وحيًا	١٣١٠
كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها، في جهينة واحد	١٩١١
كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق	٦٧٩
كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهره	٥١٣
الكبائر الإشراك بالله ﷻ، والأمن من مكر الله	٣٨٨
الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب	٢٤٣٣
كبر كبر	٢٨٨٩
الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار	٢٠٦٩
كتب الله أعمال بني آدم وما هم عاملون إلى يوم القيامة	٢٤٥١
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض	٢٤٤٧
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة	٥٤، ٦١٤، ٦١٥، ٨٠٢، ٢٠٤٧، ٢٠٥٠، ٢٣١٩، ٢٣٨١، ٢٤٤٩، ٢٥٦٩
كتب في كتابه ـ وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش...	١١٦٢
كتب لك التوراة بيده	١١٦٢، ٢٤٣٩، ٢٤٤٠، ٢٤٤١
كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية	١٧٦٢
كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك	١٨٥٩
الكرسي موضع القدمين	٢٤٧٩
الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره	٢٣٤٠، ٢٤٧٩
الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل	٢٣٣٩، ٢٣٤١
كرسيه علمه	٢٤٨٠

طرف الحديث	رقم الصفحة
الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب	١٤٣، ٣٢٢٢
كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلاً	١١٤٢
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	١٠٠٤، ١٠١٤، ٢٦٥٠
كل بدعة ضلالة	٥٠٠
كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة	٤٩٦
كل تسبيح في القرآن فهو صلاة	٦٠٦
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز	٣١٦، ٢٣١٩، ٢٣٢٨
كل شيء غير السعادة والشقاء، فإنهما قد فُرِغ منهما	٢٤٥٣
كل ما هو آت قريب إلا أن البعيد ما ليس بآت	٢٧٠٨
كل مسكر خمر، وكل خمر حرام	٢٠٨٢
كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم	٦٤٥، ٦٤٨، ٦٥٧، ١٨٦٧، ٢٢٨٩، ٢٧٢١
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه	١٠٧٧، ١٧١٦
كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله	٢٠٣٢
كلا والذي نفسه بيده؛ إن الشملة لتلتهب عليه نارًا	١٧٠٨
الكلب الأسود شيطان	١٧٣٢
كلكم ضال إلا من هديته...	١٠٧٦، ١٠٧٧
الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم	٢٢٥٣
كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان	٦٠٩، ٢٠٦٨، ٢٩١٠
كلمتان خفيفتان	٢٩١٣
كلها في النار إلا السواد الأعظم	١٦٢٢
كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة	٥٠٢
كلهم في الجنة	٢٦٦١
كلهم من هذه الأمة	٢٦٦٥
كما تدين تدان	١٢٥٣
كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث	١١٢٥
كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم...	١١٢٩، ٢٦٧٥، ٢٦٧٧
كمل من الرِّجال كثير، ولم يكمل من النّساء: إلا آسية...	١٩٧٠
كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل	١٤٨٦، ٢١٩٢
كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم	٢١٥١
كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا	١٧٦١
كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر...	٦٨١، ٢١٦٠
كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر	١٦٣
كنّا نعد على عهد رسولِ الله ﷺ أنّ الرياء الشرك الأصغر	٣١٣٨
كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي	٣١٢٦، ٣١٣١، ٣١٤٦
كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء	١٩٩٥
كنت عند أبي الدرداء إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله فقال: أين تركت أبا ذر؟	١٢٨٤

طرف الحديث	رقم الصفحة

طرف الحديث | رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال	٢٦٩٦
من حلف بغير الله فقد أشرك	١٠٤٢
من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	٨١٨، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٦٤٥
من حلف على يمين، ثم رأى أتقى لله منها، فليأت التقوى	٧٠٠
من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إلٰه إلا الله	١٠٤٤، ١٦٤٦
من حمل علينا السّلاح فليس منّا، ومن غشّنا فليس منّا	٣١٣٩
من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل	١٢٠٠، ٢٩٨٦، ٢٩٨٧
من خاف الله أخاف اللهُ منه كلَّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء	١٢٠٠
من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	١٣٦، ٣٩٧
من رآني فقد رآني	١٣١٤
من رآني فقد رأى الحق	١٣١٤
من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي	١٣١٤
من رآني في المنام فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي	١٣١١
من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنَّ الشيطان لا يتمثّل بي	٢٠٠٩
من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه	٨٧٨
من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٣٧٩
من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك	٦٢٥، ١٦٤٦
من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه	٢٨٥٦
من سأل الله القتل في سبيله صادقًا من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة	٦٣٨
من سأل الناس أموالهم تكثّرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر	١٥٠٧
من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين	١٠٨٩
من سَرَّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره؛ فليصل رَحِمَه	٢٣١١
من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات	٥٩٣
من سَرَّه أن ينسَأَ له في أَجَلِه، فليصل رَحِمَه	٦٠، ٦١
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين...	٤٣٦، ٢٩٨٤
من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به	١٤٥٩
من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	٣٩٧، ٤٩٨
من سيدكم؟	١٦٢٨
من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويخفِض آخرين	١٣٣٩
من شبرمة؟	٤٠٠
من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء	١٥١٤
من شهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، حرّم على النّار	٣١٢١
من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله	٢١٨٠، ٢٩١٩
من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم	٢٢٧، ٢٣٠
من صلّى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلّى الله عليه	١٨٤٩
من صلّى علي واحدة صلّى الله عليه عشرًا	١٠٠٧، ١٨٤٨
من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ	٦٤٥، ٦٤٨، ٢٧٢٠

طرف الحديث — رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
نجيء نحن يوم القيامة. . .	١٧٩٩
نحن أحق بالشَّك من إبراهيم	٣٨
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة	٩٠١
نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق	٢٣٧٧
نزل جبريل فأمَّني، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه	٨٦٢
نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان	١٢١٣، ٢١٨١، ٢٦٣٩، ٢٨٧١
نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	٢٠٣٠
نِعْم البدعة هذه	٤٩٩، ٤٩٧
نعم المال الصالح مع الرجل الصالح	١٤٠
نعم ترجمان القرآن ابن عباس	١٩٩٦
نعم، حُجّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟	٣٩٥، ٤٠٠
نعم صليها	٥١٤، ٣١٦٧
نعم، ليكرن عليكم، حتى يؤديَ إلى كل ذي حق حقه	٢٣٧٦
نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار	١١٤٩، ١٩١٥، ١٩١٦
نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح	١٩١٦
نعم وفيه دخن	٨٧٨
نفس المؤمن تخرج رشحًا، ونفس الكافر تخرج من شدقه	٧١، ٢٨٥٧
نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه	١٤٤٨
نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها	٢٣٠٤
نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه	١٥٠١
نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء	٢٣٠٤
نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا	٦٤٥
نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم	٣٦٩
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	١٤٩٨
نور أنّى أراه؟!	٢١٤، ١٣٣١، ٣٠٠٦
نور السماوات والأرض	٣٠٠٦
ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون	٢٩٢٩
ها هنا من بني فلان أحد؟	١٤٤٩
هاتان زوجتا نبيي الله، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما	٢٥٧٧
هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم شرًّا فوجبت له النار	١٧١١
هذا خالي فليُرني امرؤ خاله	١٥٥٩
هذا ممن قضى نَحبَه	١٩٢٨
هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنَّاء، وكأنَّ نخلها رؤوس الشياطين	٢٩٦٠
هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فيسجدون له	١٨٧٥
هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم	٥٥٦
هل ترون قبلتي ها هنا، والله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم	١١٣٦
هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟	٢٨٩٤

طرف الحديث	رقم الصفحة
هل تضارون في القمر ليلة البدر وتبقى هذه الأمة	١٣٣٢
هل تضارون في القمر ليلة البدر؟	٢٦٠١
هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم	١٣٣٢
هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم	٣١٦٠
هل عليه من دين؟	٣٩٩
هل كان فيها عيد من أعيادهم؟	٤٤٧، ١٢٧٣
هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟	٤١٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ١٢٧٣، ١٢٧٥
هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثًا ـ	٢٢٠٨
هلمّ إلى الغداء المبارك	٢٧٣٠، ٢٧٤٠
هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون	٧٧٩
هم أمة محمد، ورّثهم الله كل كتاب أنزله	٢٦٦١، ٢٦٦٦، ٣١١٧
هم الشعث رؤوسًا الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات	١٠٨٦
هما ريحانتاي من الدنيا	٩٦٢، ٩٧٤، ٣٠٩٩
هو الذي أمّن الناس من ظلمه، وآمن من آمن به من عقابه	٢٥٨٢
هو بحيال الكعبة من فوقها	٥٥٧
هو تنزيه الله من كل سوء	٦٠٧
هو من عمل الشيطان	١٥٤٥
هو نهر أعطانيه الله ﷻ في الجنة، ترابه المسك	٢٥٢١
هي الشفاعة	٢٧٧٤
هي من عمل الشيطان	٢٩٦٠
واجعلني لك مخبتًا	١٠٧
وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	١٦٧
وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد	١٨١٧
وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون	١١٢، ١٣٩٥
وأعوذ برضاك من سخطك	١٦٩
وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي	٢٠٦٧
وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات	٧٠
وأعوذ بكلمات الله التامات	١٦٩
والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	١٥٩٧
والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم	٢٣٦٦
والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله	٤٩٢
والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها	٢٥٢٢
والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...	٤٤، ٢٢٣، ١٠٠٣، ١٢٥٧، ١٢٦٠، ١٣٧٠، ١٣٨٩، ١٥١٥، ٢٣١٣، ٢٤٠٩، ٢٦٥٣
والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن	٢٣٥٣
والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله...	٦٧١
والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها...	١٠٩٠

طرف الحديث	رقم الصفحة
والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره...	١٥٠٦
والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم...	٨٢، ٢٣٥، ٦٧٧، ١٣٤٥
والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب	١٨٥٩
والذي نفسي بيده؛ لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي	١٥
والذي نفسي بيده لو كان موسى ﷺ حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني	١٢٥٧
والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا...	٢٩٥٦
والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا	٢١٨٢، ٢٩٥١
والذي نفسي بيده؛ ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل...	١٤٦٤
والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله	١٧٢٢
والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن	٢٦٣٤
والله إني لرسول الله حقًّا وإن كذبتموني	١٩٩٨
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن	٣١٣٤
والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا...	٣٠٥٩
والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرن الصليب	٢٩٥٥
والله ما آلو أن أختار خياركم	٢٧٣٤
وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة: فإنه إبراهيم	١٤٤٧
وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة: فذاك إبراهيم عليه السلام	١٤٤٧
وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر	٢٦٩٠
وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا...	٢٥٢٥
وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان	٢٦٧
وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة	٢٦٨٩
وإن الشيطان لا يتراءى بي	١٣١٤
وإن الكافر... تعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه	١٨٨٦
وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة، وجنته نار	١٨٣
وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد	١١١٢، ١٣٩٥
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء	١٩٥٣، ١٩٥٥، ٢١٣١
وأنزل على إبراهيم عشر صحائف	١٧٧٧
وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف	٨١٢، ٨١٣، ٢٨٨٥
وأنزل عليك التوراة	٨١٠
وإنما يستخرج به من البخيل	٢٩٤٢
وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي	١١١٢، ١٣٩٥
وإنه سيؤتى برجال من أمتي	١٠٨٧
وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور	٢٢٦٦
وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت	٢٠٥٧
وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي	١٥
وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله	٢٥٧٦
وبعثت إلى كل أحمر وأسود	١٣٨٩

طرف الحديث	رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
يحبهم ويحببهم	٣٠٩٥
يحشر الله العباد أو قال: الناس عراة غرلاً بُهمًا	١٢٥٤
يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس	٩٧٩
يحشر الناس حفاة عراة، فأول من يلقى بثوب إبراهيم عليه السلام	٩٧٨
يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين	٢٩٢٨
يحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال: العباد ـ عراة، غرلاً، بُهمًا	١٢٥٣
يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، فمن رجحت حسناته..	٩٧٨
يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً	٩٧٨، ٢٨٩٤
يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء	٩٧٨، ٢٨٩٣
يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى: أين المتقون	٩٧٨
يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع	١٩١١
يحمل الأرض على إصبع	٢٧١
يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى...	٢٩٥٣
يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم	٢٦٩٥
يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين	٢٦٩٣
يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث	٢٨٤٣، ٢٨٤٧
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين	٢٦٦٧
يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير	٣١٢٧، ٣١٣١
يَخلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار	٢٣٧٧، ٢٣٨٢، ٣٠٣٨
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	١٣٣٩، ٣٢٠٧
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب	٨٢٩، ١١٤٨
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا	٢٨٠٢
يدرَس الإسلام كما يدرَس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام	٢٣٦١
يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه	١٧٨٠
يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم	٢٦٣، ٢٥٨
يرحمها الله، والَّذي نفسي بيده لقد كانت أحبَّ النّاس...	١٩٦٩
يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم	١٨٠١
يشرب بها المقربون صِرْفًا، ويمزج لأصحاب اليمين مزجًا	٢٥
يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق	١١٤
يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة	١٤٥٠
يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك	٥٥٧
يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة	١٨٨٢
يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز	١٧٩٩
يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى	٣٢٠٨
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات	٢٠٥٢
يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير	١٧٨٢
يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك	٢٠٢٩

فهرس المصطلحات

فهرس مواد الموسوعة حسب الترتيب الموضوعي

المواد المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات

المواد المتعلقة بأسماء الله تعالى

الموضوع — الصفحة

المواد المتعلقة بنبينا محمد ﷺ

المواد المتعلقة بالأولياء والكرامات

المواد المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر

المواد المتعلقة بأشراط الساعة

المواد المتعلقة بالحياة البرزخية

الموضوع	الصفحة

المواد المتعلقة بالحياة الآخرة

المواد المتعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر

المواد المتعلقة بالصحابة

المواد المتعلقة بالإمامة والخلافة

المواد المتعلقة بالأسماء والأحكام

المواد المتعلقة بالبدع

المواد المتعلقة بأعمال القلوب

فهرس مواد الموسوعة حسب الترتيب الهجائي

المجلد الأول

المجلد الثاني

حرف التاء

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

المجلد السادس

حرف النون